تامر عزت

خلطة إبليس

مؤسسة الشريف للكتاب



الكتاب تنفيذ وإخراج وطباعة

مؤسسة الشريف للكتاب

٠١٠٦٠٢٢١١٣٠

بطاقة الكتاب

اسم الكتاب: خلطة إبليس

اسم الكاتب: تامر عزت

نوع الكتاب: رؤية إجتماعية

المقاس: ١٤x ٢٠

رقم إيداع: ١٧٢٨٢/ ٢٠١٨

ISBN:978-977-85421-9-6

الطبعة الأولى

تمهيد

حينما شرعت في كتابة أولي صفحات هذا الكتاب كانت خطتي مختلفة بشكل كبير عما خرج عليه في نتيجته النهائية، إذ أنني كنت قد أعددت لإخراجه مراجع محددة، وما أن بدأتُ في الكتابة والجمع حتي ظهر لي من المراجع ما لم يكُن في الحُسبان، لكنها وبصدق كانت أهم بكثير من المراجع التي كُنت قد أعددتها في بادئ الأمر، وهذا من تيسير الله ومِنَتِه التي يجب أن تُشكر ونعمته التي يجب أن تُذكر في هذا الاستهلال لهذه الطبعة من الكتاب.

إعلم قارئي العزيز أنني ما شرعت في تأليف هذا الكتاب إلا من أجلك أنت، حتي لا تأخذك أبالسة الشر في طرقٍ غير ممهدة، وأفكار ضالة معقدة، فتهيم مع الهائمين وتضل فلا تجد للرجوع سبيل إذ خَطَتْ في قلبِك أقلامُ الضُلالِ عَقائدَها، وأصبح عقلُك منقاداً لقائدها، والأمرُ جد خطير فلا تمر عيناك علي الأسطر القادمة مر الكِرام ولا تستهين بما جُمع فيها من الكلام، فأنت أنت المستهدف من موضوع هذا الكتاب سائلاً المولي الكريم أن يلهمني وإياك سبيل الصواب.

ملحوظة:

لم أكتب هذا الكتاب وأؤلف بين موضوعاته كي أنال درجة الدكتوراه أو الماجستير فألتزم بطرائق البحث العلمي ، إنما أحيانًا أُشرق وأُغرب وأضرب الأمثلة وأربط الموضوعات بالواقع وأرجع للماضي وأستشرف المستقبل، هذه طريقتي في

الكتابة والتأليف، وكُل ذلك إلي جانب نقولات العلماء ما هو إلا جهد المقل ورأي رأيته من متابعتي للأحداث الماضية والحالية وقراءاتي في الأحداث الأكثر قدمًا وأطروحات العلماء الذين قضوا وتركوا لنا ذلك التراث الفكري العظيم في شتي مجالات الحياة، فإن كان من توفيق فمن الله وإن كان من خطأ وزلل فمني ومن الشيطان، لكني أدين الله أن هذا هو الحق الذي أعتقد، فإن وافقتني فلله الحمد والمنة ، وإن خالفتني فلا أعدم منك نصيحة وتوجيه إلي الحق إن كان خلافًا لما ورد في كتابي في وجهة نظرك، وليكون بيننا عهد أن لا نتكلم إلا بدليل وحجة وإلا فهو حديث لا طائل منه ولا فائدة.

تامر عزت

11 /10 /٢٠١٧

Tamer3zzat@gmail.com

مُقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحديث عن الشر وأهله فيه تحذير من سُبلهم وأحابيلهم وشباكهم التي يصطادون الناسَ بها، ومستنقعاتهم التي يستقطبون الناس لها ، وكان من فقه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قوله « كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي » [1] وفى نفس المعني يقول الشاعر:

عرفت الشرَ لا للشرِ ولكن لِتَوَقِيهِ ومن لا يعرفُ الشرَ من الخيرِ وقَعَ فيه

(١) صحيح البخاري ١٩٩/٤

ولا يستفحل أهلُ الشر وينتَفِشوا إلا إن سكتَ أهلُ الحقِ وانحسروا وتكاسلوا عن الدور الذي خُلقوا لأجله، وقتها يفرح إبليسُ وذريتُه بالنصر ويرقصون ويشربون نخبهم على شرف البشرية وهلاكها .. لكن هذا لم يحدث في التاريخ قط! إذ قيّض الله لأهل الشر من أهل الخير من يقفون في وجههم يردون باطلهم ويكشفون تدليسهم وتلبيسهم على العباد ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: «وَاللهِ مَا أَظُنُّ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ الْيَوْمَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَى الشَّيْطَانِ هَلَاكًا مِنِّي» فَقِيلَ: «وَكَيْفَ؟» فَقَالَ: «وَاللهِ إِنَّهُ لَيُحْدِثُ الْبِدْعَةَ فِي مَشْرِقٍ أَوْ مَغْرِبٍ، فَيَحْمِلُهَا الرَّجُلُ إِلَيَّ، فَإِذَا انْتَهَتْ إِلَيَّ قَمَعْتُهَا بِالسُّنَّةِ، فَتُرَدُّ عَلَيْهِ »[1] يعني حينما تصل البدعة إليه ينسفها بالسُنة الصحيحة والأدلة الواضحة الصريحة.

ولا يُرهق إبليس وحزبه من الإنس إلا موافقة السنة في كُل شيء، فالمسلمين إن وافقوا السنة فقد ضاعت جهود إبليس

(١) شرح أصول أهل السنة والجماعة ٦١/١

اللعين، وهذا ما لا ولن يرضاه، فكان سبيلُه الأعظم في إضلال البشرية إغوائهم ، ويكون ذلك عن طريق صدهم عن الحق الذي وُضْحَ ورُسم لهم بدقة مُتناهية، فرسَمَ لهم إبليسُ طريقاً آخر يدلهم إلي جهنم وساقهم إليه بحده وجنده!

بداية الغواية:

لما أراد إبليسُ إغواء آدم وذريته وإضلالهم لم يبدأ معهم بالكفر بالله، لعلمه أن هذا مستحيل، وإنما بدأ بتحسين فعل ما أمر الله بتركه وتزيينه لهم حتي سقط آدمُ في المخالفة وأكل من الشجرة وخرج من الجنة، فبان لأولي الألباب من بعد آدم عليه السلام غاية إبليس في عالمنا وأنها غواية الخلق وإضلالهم بتحسين ما قبحه الله وتبشيع ما جمله الله، وقد صرح بذلك إبليسُ ولم يُخفه عليهم حين (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) [1]

(١) سورة ص ٨٢

كانت غواية آدم عليه السلام هي أول تجربة حقيقية، إن نجحت فقد فُتحت له أبواب النجاح في إضلال البشرية (إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ)، فهو يعلم أن العقولَ تتشابه إلي حد كبير، والخُطوة الأولي دائماً صعبة لكنها سترسم له ما يجب فعله بعد ذلك.

ظهر إبليس اللعين في ثوب الناصح الأمين لآدم وزوجته (وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ) [1] ومع أنه يستحيل أن يكون ناصحاً أميناً لكنه استطاع بلين الكلام وتلبيسه على الأبوين الكريمين أن يغويهما ليأكُلا من الشجرة مستخدماً المنطق والحوار العقلي فقال (مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ) [2] يعني أن الله يكره أن تكونا ملكين ، ويكره أن تُخلدا في الجنة، ولذلك منعكُما من الأكل منها، ومن هُنا دخلَ عليهم مكرُه لما عرف

(١) الاعراف ٢١
(٢) الأعراف ٢٠

أنهما يُريدان الخلودَ فيها، وهذا باب كيده الأعظم الذي يدخل منه على ابن آدم، فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجري الدم حتي يُصادق نفسه ويُخالطها ويسألها عما تُحبه وتُؤثره، فإن عرفه استعان به على العبد ودخل عليه من هذا الباب [1]

صدَّق الأبوان الكريمان خدعة إبليس فأصابهم العقاب من الله في حينها (قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا) [2] ونزل آدمُ وذريته في ظهره ليحملوا الأمانة الكبرى، وخلفهم إبليس بذريته وقد عاهد نفسه أن يُضلهم أجمعين.

وكان لزامـاً عليه تجهيز أسلحته الفتاكة لإضلال البشرية وهي أشبه بخلطة سحرية وضع فيها من كُل الحيل، واستعان فيها بشياطين الإنس والجن يؤزون الناس على الشر أزاً، ومضت الأيامُ وقامت الحروبُ المتتالية بين إبليس وذريته وبين أهل الحق في كُل زمان بل وبين كُل الجنس البشري، بداية من

(١) اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان

(٢) البقرة ٤٨

خدعته الأولي لآدم عليه السلام، ثُم نوح النبي الذي دعي للحق الف عام إلا قليلاً (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) (1) ثم من بعد طول التعب وقلة المُستجيب (قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا) (2) فنجح إبليسُ اللعين في غواية قوم نوح حتي أهلكهم إلا عباد الله المخلصين الذين نجوا وركبوا سفينة النجاة مع نوح، وكلما نجحت أسلحةُ إبليس مع قوم استخدمها مع غيرهم ، بل طور وغير وعَدَّل وتفنن وأبدع فيها حتي تتناسب مع كُل زمان، ومع التطور الكبير الذي حدث في العالم كان لزامـًا على إبليس مواكبة العصر، فابتكر ما أكمل به خطته وحَسَن به خلطته حتي خرجت في شكلها النهائي الذي نراه اليوم في زماننا الصعب ،

(١) العنكبوت ١٤

(٢) نوح ٥

فهو زمن الغربة عن الدين وتهافت الأفكار الضالة والمنحرفة علي عقول الناس.

إنها باختصار ثورة إبليس علي البشريةِ وربها (ورَبُه قَادِر عليه)، فوعد وتوعد أن لا يترك منهم إلا من عصمه الله وحماه، ليس رأفة بهم ولكن لعلمة أنهم معصومين من كيده بوعد ربهم لهم ، فثار ثورةً لن تنتهي إلا بنهاية الخلق وانتصار الحق وغلق صفحة التاريخ علي قصة بدأت مع آدم عليه والسلام وستنتهي بالدجال ونزول عيسي بن مريم حتي يدين له الخلق بالطاعة وفي إثر ذلك قيام الساعة كما أخبر الحبيب صلي الله عليه وسلم. [1]

وبما أن غواية إبليس للخلق مُهمة ليست سهلة وتحتاج إلـي أسلحة ومُعدات، وخدع ومناورات، وقد جُربت هذه الأسلحة مع آدم ومع أقوام الأنبياء من بعده فنجحت، قرر إبليسُ تكرارها مع جميع الخلق، وأقوي هذه الأسلحة على الإطلاق من وجهة نظري هي خلطة وضعها إبليسُ بيدية يُدعم

(1) المقصود ظهور الدجال وبعدها قيام الساعة ونهاية العالم

بها خطته ويستكمل بها ثورته، وضع فيها خُلاصة جهده وعُصارة فكرة، هذه الخلطة تعتمد على مكونين أساسيين هما «**الإعلام والدهماء!!**» أو نقول ما يُقدمه الإعلام من محتوي علي تنوعه وكيف يستقبل الناس (**الدهماء**) هذه المواد المقدمة ونماذج منها مع نقدها، وأسرار قبولهم لتلك الأفكار واستساغتهم لها مع ما فيها من خطر ومن خلل واضح يراه كُل صاحب فطرة، والكتاب يتناول الموضوعات كُل علي حدة مع الربط بين كل ما يرتبط ببعضه محاولاً أن أجمع الأدلة علي صحة ما نقلتُ وما جمعت قدر المستطاع والله المستعان، هذه الخلطة هي محتوي كتابنا وسبب تسميته بـ «**خلطة إبليس**».

من القواعد المستقرة عند إبليس «وصف الحق وأهله بالصفات القبيحة المُستهجنة من باب التنفير منهم» وهذه القاعدة الخطيرة استخدمها إبليس اللعين علي مدي تاريخه الأسود وعلَّمها طُلابه، كما أن من قواعده المستقرة تسمية الباطل بالأسماء الجميلة المستحسنة حتي يقبلها الناس ويلتفوا

حولها، لذلك سمي عبادة القبور بتعظيم الأولياء، وسمي الخمر بأُم الأرواح، كذلك يُسمون دعاوي نسف الدين وتبديل الملة وسلخ المسلمين من أصولهم (**تجديد!!**) والدعارة والعُري فن ، والبلطجة والجريمة إبداع .. وهكذا.

كما عَلَّم إبليسُ إخوانَه وطُلابَه من الإنس أنهم إذا أرادوا أغراضهم الفاسدة من بعضهم بعضاً أن يدخلوا عليهم من الباب الذي يُحبونه ويهوونه، فإنه باب لا يُخذل عن حاجته من دخل منه، ومن رام الدخول من غيره فالباب عليهم مسدود. [١]

بدأت الخطة قديماً قديماً، ووضع إبليس ملامح الصرح الإعلامي الكبير من يوم اللعبة الدنيئة التي نفذها مع الأبوين الكريمين آدم وحواء حتي أخرجهما من الجنة، ثم لعبها بنفس الدهاء مع قوم نوح الذي دعي قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً وما آمن معه إلا قليل، فكان الإعلام الفاسد هو القائد للمعركة بين أهل الحق (نوح ومن معه) وأهل الباطل وهم أهل

(١) وليد بن راشد السعيدان – شرح نواقض الاسلام – الشريط الاول

الكُفر ومنهم ابن نوح عليه السلام ومع والد سيدنا إبراهيم عليه السلام، وزوجة لوط عليه السلام، وعم النبي ﷺ أبو طالب الذي كان بينه وبين الإسلام خطوة واحدة وما منعه إلا تدليس الإعلام الفاسد المتمثل في أبي جهل الكافر العتيد حينما قال له أتترك دين عبد المطلب؟! فاختار المسكين دين الكفر ومات عليه بسبب توجيه شيطاني خبيث، وغيرهم خلق كثير لا حصر لهم، .. ثم مع كل الأقوام التي لحقت بهم حتي يومنا هذا، القاعدة واحده مستقرة (وهي قاعدة التدليس).

لكن ليس الأمر دائماً يبدوا جلياً للجميع، فقد يرضي إبليسُ بأشياء يري الناسُ غيرَها أشد إهلاكاً منها، لكن لإبليس ترتيبات أخري وحِكماً لا يعلمها من المخلوقات إلا هو ، ومن ذلك قول النبي ﷺ «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا [1] ، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ

(١) كذا وكذا يعني ربما قتل أو سرق أو فعل ما هو أشد من التفريق بين الرجل وزوجته، لكن هذا لم يرضه.

أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ» [1] فربما يري أحدُنا أن التفريق بين الرجل وزوجته أدني بكثير من القتل والسرقة وغيرها، لكن إبليس له خُططًا مستقبلية يبني عليها تصوراته، وفى الطلاق من الشر ما فيه من ضياع الأسرة وتشرد الأطفال وتسهيل الأمر أكثر وأكثر لإغواء هؤلاء كُلاً على حده، ففي تجمعهم قوه وفي تفرقهم ضعف، كما أن فيه ما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالي من الإيقاع بهم في الحيل فقال "الشيطان وحزبه قد أغروا بإيقاع الطلاق، والتفريق بين المرء وزوجه، وكثيراً ما يندم المُطلق، ولا يصبر عن امرأته، ولا تطاوعه نفسه أن يصبر عنها إلى أن تتزوج زواج رغبة تبقى فيه مع الزوج إلى أن يموت عنها أو يفارقها إذا قضى منها وطره، ولابد له من المرأة، فيهرع إلى التحليل وهو حيلة من عشر حيل نصبوها للناس" [2] إذن هو فخ نصبه إبليس لهم

---

(١) صحيح مسلم – باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس

(٢) اغاثة اللهفان ٢٨٠/١

وله في ذلك مآرب أخري وأهداف أبعد وإن ظهر الأمر لك أنه عادي.

إذن الأمر ليس ما تراه وتفهمه بعقلك، ولكن الأمر أبعد بكثير، فالتحريش بن الناس وشق عصاهم وتفريق وحدتهم هدف رئيسي لإبليس ومن هُنا كان التحذير الشديد من الفرقة والترغيب الشديد في الوحدة والجماعة، قال تعالي (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) [١] وقال النبي ﷺ "يَدُ الله مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ من فارق الجماعة يرتكض" [٢]

من أجل ذلك التفريق والتحريش بين الناس وُضعت الأحابيل، ونُصبت المصائد وصنعت المكائد ووضع الشَرَك [٣] على هوة

(١) آل عمران /١٠٣

(٢) س حبان ٤٣٨/١٠ ، وإسناده صحيح

(٣) الشِرك هو حباله الصائد ، يعني شبك يضعه الصياد ليمسك صحيته .

سـحيقة ظاهرهـا النُصـح والحـب والعطـف، وأسـفلها الشـر المحض والكراهية والانتقام من ذرية آدم الـذي فضـله الله علـي إبليس وأمره أن يسجد له!!

*****

الباب الأول: الإعلام

في التراث قيل أن سهل ابن هارون قال عن شهود الزور في زمانه: كان في البصرة أُناس يشهدون الزور مقابل درهم، وآخرون يشهدون الزور مقابل أربعة دراهم، وآخرون يشهدون الزور مُقابل عشرون درهماً، فأصحاب الدرهم يشهدون ولا يحلفون، وأصحاب الأربعة يشهدون ويحلفون ، وأصحاب العشرين يشهدون ويحلفون ويُجادلون. [1] الصنف الثالث يساويه في زماننا الإعلام برمته إلا من رحم ربي وهُم قليل ولا أدري أين هذا القليل في الغُثاء المنتشر! وما نراه من مواقف اعلامية دليل علي أن الأغلبية العظمي كشهود الزور الذين باعوا ضمائرهم للدرهم والدينار.

---

(1) المصداقية في الإعلام العربي صـ ٧

وتحكـــي الأســـطورة اليونانيـــة أن عملاقـــاً يُـــدعي (بروكروست) كان لديه سرير حديدي يُجبر كُل المارة علي النوم عليه، فإن كانت قامة النائم أقصر من السرير أخذ يمد أجسادهم مهما تخلعت حتي يصيروا بطول السرير، وإن كانت قامة النائم أطول من السير قطع سيقانه حتي يساويه بالسرير، هذا الخصام المُبيت من العملاق للبشر يشبه ما يُكنه عملاق الإعلام مع البشر، والمعني هو وضع العالم في قالب حتي لو كان مقاس القالب مختلف ، فيجب علي العالم التأقلم مع القالب المُعد له ، لكن لا يُمكن تغيير القالب، والقالب يتحكم به رؤوس الأموال وأصحاب المصالح، والإعلام خادم أمين لهم وهذا ما سنحكيه.

التعريف الاصطلاحي لكلمة إعلام هو "التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير وروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت" أي أن الإعلام يجب أن يكون صادقاً مجرداً عن الميول

والأهواء غير متحيز، قائماً علي أساس من التجربة الصادقة متمشياً مع الجمهور الذي يوجه إليه" [1]

هذا تعريف علمي لكن هل هذا واقع في عالمنا المعاصر؟ أم الحاصل هو ما أراده إبليس و الساسة؟ سنري أن الحاصل هو توجيه الإعلام في عكس اتجاهه!؟

قال آرثر سالزبورجر [2] "إحجب المعلومات الصحيحة عن أي إنسان أو قدمها إليه مشوهة أو ناقصة أو محشوة بالدعاية والزيف تُدمر كُل جهاز تفكيره وتنزل به إلي ما دون الإنسان".

وقال هتلر النازي "أعطنني إعلاماً بلا ضمير أُعطيك شعباً بلا وعي" وهو تصريح يحسم قضية الإعلام المُدار من قبل الدُول أو إن شئت قُل الإعلام المُسيس أو الموجه، وهو الغالب في عالمنا.

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزه - الإعلام ياريخه ومذهبه صـ ٢٧

(٢) آرير سالز بورجر : مؤسس مجله نيويورك يايمز

على خُطي إبليس اللعين مشي الإعلام في العالم بأسره، الخُطط باتت مرسومة وواضحة، والأهداف صارت مفهومة وفاضحة، وصاحب الرسم والتخطيط جلس على كرسيه الذي وضعه لنفسه على الماء تشبُهًا بخالقه ﷻ ليُدير مملكة الأباليس (الإنسية والجنية) وأول عصا أحكم قبضته عليها هي الإعلام، وقاعدته الذهبية التي قَعَدَها لهم هي (ضَلِل - كَرِر)

في ليلة من شهر نوفمبر عام ١٩٣٨م كان ستة ملايين أمريكي يُتابعون برامج شبكة CBS الإذاعية تبثُ حفلاً موسيقيًا من أحد الفنادق الفخمة في نيويورك بمناسبة عيد القديسين، وفجأة انقطع البث لإذاعة خبر عاجل يقول إن مركبة فضائية غريبة الشكل هبطت على أطراف المدينة!

أُصيب الناسُ بحالة ذعر عارمة فشرع البعض يتْلُون الصلوات وهُم يبكون من الخوف، وسارع البعض إلي الهروب، وتلقت الشرطة الاف الاتصالات التي تستفسر وتطمئن .. !!

تبين أخيراً أن ما تبُثه الإذاعة إنما هو عمل فني (مسرحية) مستوحاه من رواية حرب العوالم .. !!

تحولت هذه الحادثة إلي موضوع بحثي رئيسي لعدد ضخم من الأبحاث والدراسات في مجالات متعددة نفسية واجتماعية وإعلامية، لكن الجميع أدركوا مدي خطورة الإعلام وحجم تأثيره على الجمهور، فقد بات سلاحًا لا يقل فتكًا عن الأسلحة النووية! [1]

منذ ظهور المذياع لعب دوراً كبيراً جداً في هيمنة الحكومات على المواطنين، وهذا ليس اجتهاداً ولا تخمينًا ولكن هذا ما ذكرة الساسة أنفسهم عن أنفسهم فقال جوزيف جوبلز وزير إعلام ألمانيا النازية "لم يكُن مُمكنًا لنا تولي السلطة أو استخدامها بالأسلوب الذي فعلنا دون المذياع، فالإذاعة هي الوسيط الأهم والأشد تأثيراً على الحركة الروحية والأُمة وبين الفكرة والشعب".

(١) هندسة الجمهور صـ ٦

وقال الباحث الإيطالي ماركو باللا متحدثًا عن موسوليني "كان للحضور الدائم للدولة الذي جعله المذياعُ مُمكنًا أشد فاعلية مما تستطيعه أي آداه أُخري".

قبل عام ١٩٢٠ كانت الدعاية تتركز حول جودة ومزايا المُنتج سواء كان منتجًا سياسيًا أو تُجاريًا، ولكن بعد ١٩٢٠ لم تعد صفات المُنتج هي الأهم، فقد اكتشف (إدوارد بيرنيز) [١] أن إعادة صياغة الجمهور رُبما تكون أسهل من تغيير المُنتج!!! [٢] قد نُسمي هذا الاكتشاف بالنظرية التي استلهمها بيرنيز من عمه (فرويد) عالم النفس الكبير وهذه النظرية هي (أن الناس تحتاج لمن يوجهها في رسم الانطباعات وأخذ القرارات تجاه معظم القضايا في الحياة، حيث ترى هذه النظرية أن الإنسان بطبعه متردّد وأن الإغراءات والضغوط والتوجيه تلعب دوراً لا يستهان به في اتخاذ القرارات وإن كانت خاطئة! وعليه، فإن

(١) إدوارد بيرنيز : ولد سنة 1891 وتوفي سنة 1995 وهو نمساوي أمريكي يعتبر منشئ ما يسمى العلاقات العامة والبروباغاندا

(٢) المصدر السابق

أسلوب التكرار أو الضغط المُمنهج سيحقق مآربه ولو بعد حين مع الكثير من الناس مالم تواجهه حملات أكثر قوة على الإقناع والتوجيه ولفت الانتباه".

الأمرُ بسيط، هُناك آليه تُحرك الناس، إذا استطعنا فهم الآلية التي تحرك الجماهير فإننا يمكن لنا ان نسيطر على سلوك هذه الجماهير و دون ان تعرف هذه الجماهير أننا نُحركها ونُسيطر عليها.

هذا المعني الذي أشار إليه إدوارد بيرنيز أكده الكاتب والفيلسوف اليهودي ناعوم تشومسكي حين وصف هذه الفكرة وصفاً دقيقاً سماه بـ (تصنيع الإجماع) بمعني جعل الرأي العام يوافق على أشياء لا يرغبها بالأساس عن طريق استخدام وسائل دعائية، يقوم بهذه الوظيفة طبقة معينة من المتخصصين (وهُم النُخبة) وقد وصف تشومسكي هذه النُخبة أنهم يتمتعون بنسبة عالية من الذكاء تُتيح لهم فهم الأمور وإدارتها.[1] ولفظ النُخبة

(١) السيطرة على الإعلام صـ ٣٦

لم يستخدمه فقط تشومسكي، بل استخدمه غيره كثير ومنهم باولو فلير حيث قال "إن تضليل عقول البشر (أداة للقهر)، إنه يمثل إحدى الأدوات التي تسعى **النخبة** من خلالها إلى تطويع الجماهير لأهدافها الخاصة [1].

تلك النظرية ليست لتشومسكي، وإنما يظهر لي أنها نظرية عالمية إذ أن هيكل رحمه الله أشار إلي نفس النظرية في إحدى كتاباته بقوله "كُنت أقول دائماً ولا أزال أنه حينما يضيع الحلم فإن الأنظمة لا يبقي أمامها غير طريق واحد بدايته قناه تليفزيونية أو محطة إذاعية أو جريدة ، ونهايته دبابة أو مدفع أو طائرة، لأنه إذا عجزت الأنظمة عن تطويع إرادة الناس بالكلام تولي السلاح مهمة إخضاعهم بالنار" [2] فهيكل أيضاً تحدث عن فكرة تطويع إرادة الناس لفكرة ما، وكلامه يحمل نفس معني فكرة تصنيع

(١) باولو فيلر – المتلاعبون بالعقول

(٢) الصحافة والسياسة صـ ٨

الإجماع كما سماه تشومسكي فالكل يدور في فلك التحكم في إرادة الجماهير.

نظرية ماركسية ديمقراطية لينينية ليبرالية:

تلك النظرية التي تحدثنا عنها ووضحها تشومسكي وأشار إليها هيكل وغيرهم وصفها تشومسكي بأنها نظرية ماركسية لينينية ليبرالية ديمقراطية إذ أنهم جميعًا يعتمدون على قيادة الجماهير الغبية باتجاه عالم غير قادرين على فهمه لشدة غبائهم وعدم أهليتهم، وقد دعم ليبمان [1] هذا الاتجاه بتقديم نظرية مفصلة عن الديمقراطية التقدمية خلاصتها " قلة من الناس تتحكم في زمام الأمور وباقي الناس هُم القطيع الحائر".

هذه الفكرة واضحة تمامًا فيما يقدمه الكيان الصهيوني كمثال من (Propaganda) إلي العالم الغربي عن الإسلام، حتي قال روجيه جارودي [2] "إن الدعاية الصهيونية منظمة تنظيمًا

(١) والير ليمان: كاتب وسياسي أمريكي وأ حد أهم منظرى أفكار «الرأي العام» و«ثقافة الجمهور» توفي عام ١٩٧٤

(٢) روجيه جارودي: كاتب وفيلسوف فرنسي ولد ١٩١٣ وتوفي عام ٢٠١٢ معروف بعداءه للصهيونية ، أسلم عام ١٩٨٢.

مُحكمـًا في الغرب، وهي تُمثل أحد العوائق الأساسية أمام تفهـم العالـم الغربـي للحقـائق وفهمـه الصـحيح للإسـلام" [1] بـل أقـول بقلـب مسـتريح أن إسـرائيل مـن الـدول التـي جنـدت إعلامهـا المحلـي والعـالمي لنقـل صـورة واحـدة فقـط ورؤيـة واحـدة لا غيرهـا، بـل ووصـف كُـل مـن يخـالف هـذه الرؤيـة بالمعـادين للسـامية وغيرهـا، وهـذا واضـح في تنـاول الإعـلام الإسـرائيلي والمسـاندين لـه [2] فيما يخص قضـية فلسـطين أو أي قضـية تكـون إسـرائيل طرفـًا فيها.

الإعلام للربح:

مسألة أخري ضرورية وهـي أن وسـائل الإعـلام مـا هـي إلا وسـائل للـربح في المقـام الأول، وهـذا مـا أشـار إليـه الـدكتور عبـد اللطيـف حمـزة بقولـه "كانـت الصـحافة في بـداوتها رسـالة

---

(1) الاعلام الإسرائيلي ذراع الجلاد صـ 11

(2) قالت هيلاري كلينتون في مذكراتها (كانت سياسات الولايات المتحدة الامريكية الخارجية تعطي أولوية لمكافحة الإرهاب ودعم إسرائيل في المقام الاول) خيارات صعبة صـ 324 ولذلك فإنَّ الإعلام العالمي بشكل عام هو حلقات متصلة بخدم قضايا واحدة كلها تصب في مصلحة أمريكا وإسرائيل على حساب الشرق الاوسط وخصوصاً المنطقة الملتهبة (فلسطين) ثم باقي الدول العربية خاصة مصر والعراق وسوريا .

فقط، فأصبحت الصحافة في دور حضارتها صناعة وتجارة قبل أن تكون رسالة، وكانت الصحافة في دور البداوة تبدو وكأنها سيدة نفسها، ومالكة أمرها، لا سبيل لأحد عليها، ولا يستطيع حاكم من الحُكام أن يُخضعها لسلطانه، فأصبحت الصحافة في دور حضارتها عبداً ذليلاً للإعلان، عبداً ذليلاً لرأس المال". [١]

وبناءً عليه فالقضية ليست إظهار الحقيقة ولا احترام ميثاق الشرف الإعلامي ولا أياً من تلك الشعارات الرنانة، وإنما إظهار ما يريد صاحب المؤسسة الإعلامية إظهاره باعتبار أنه هو من سيدفع فاتورة القناة ومصاريفها، وهو بشكل أوضح ما يُعرف مهنياً بـ (سياسة القناة) فغالباً هي سياسة صاحب القناة أو سياسة الممولين لها، لكن تحسين الاسم يُعطيه قبولاً إلي حد كبير، يشهد لما ذكرت ما قالته إحدى المذيعات المستقيلات من قناة الجزيرة حيث قالت لوكالة فرانس برس "أن الاستقالة اتت نتيجة تراكمات خمس أو ست سنوات

---

(١) أزمة الضمير الصحفي صـ ٥

وبسبب سياسة لا تحترم قواعد المهنة فالموظف لا يعامل على حسب مؤهلاته وخبراته وإنما يُحاسب على مزاجية بعض المسؤولين" [1] لكن رُبما لم تدرك المتحدثة أن الأمر لا يسير حسب مزاجية بعض المسؤولين في القناة، وإنما الأمر أعقد من ذلك، فالأمر متعلق بمزاجية المسؤولين عن المنظومة الإعلامية العالمية التي تُحرك الجزيرة وغير الجزيرة! لأن نفقات الصرح الإعلامي كبيره وتحتاج إلي دعم أكبر من مجرد إعلانات لشركات صغيرة، الأمر يحتاج إلي دعم شركات كبيرة مُهيمنة فإن وسائل الإعلام هي نفسها من إفرازات النظام الرأسمالي الهادف للربح ومصالحها متماثلة مع المؤسسات الكُبرى العابرة للقارات والمهيمنة على الاقتصاد العالمي، ومن هُنا من حقنا أن نسأل من أين يكون الدعم ؟

القنوات الإعلامية من أين يأتيها الدعم؟

[1] بهاية عصر الجزيرة صـ ٢٩٤ ، وكانت الاستقاله لجمس مذيعات دفعه واحدة وهن " جلنار موسى من لبنان ، جمانة بمور من لبنان ، لينا زهر الدس من لبنان ، نوفر عفلق من تونس ، ولوبا الشبل من سوريا ."

نشر موقع وجريدة الفجر برئاسة عادل حمودة بتاريخ ٢١ يونيو ٢٠١٣ تقريراً حول دعم القنوات الإسلامية، جمعت القائمة أربعة عشر قناة إسلامية وهي "الناس – الرحمة – الحكمة – نور الحكمة – الشباب – الخليجية – الحافظ – البركة – الصحة والجمال – أمجاد – الشعب – الندي –الفتح " وكذلك صحف ومواقع اخبارية إسلامية مثل " المصريون – الفتح – حزب النور".

وذكرت صاحبة البحث أن أمريكا و المملكة العربية السعودية وتركيا وقطر هم الجهات الداعمة لهذه القنوات، واستدلت علي ذلك بدليل قوي! (١) وهو تصريح أحمد راسم النفيث ممثل الشيعة في مصر!! حيث قال "إن الممول الرئيسي لكافة القنوات و الصحف الدينية الأن في مصر هي الولايات المتحدة الأمريكية وتركيا والمملكة العربية السعودية وقطر بالإضافة إلى تنظيم الإخوان الدولي وتستخدم هذه الجهات

(١) قولي ان الدليل قوي هو من باب السخرية ليس إلا .

هذه القنوات وفق استراتيجية تستخدمها في قمع مخالفيها تحت ستار الدين.

ثم استدلت صاحبة البحث بدليل آخر بنفس قوة الدليل السابق!! وهو كلام لعضو مجلس الشوري السيدة مارجريت عازر حيث قالت "أن معظم تمويل قنوات و صحف التيار الإسلامي في مصر تأتى من خلال منظمات غير حكومية مرتبطة بالتيار الديني مقرها الرئيسي على أرض غير مصرية سواء في دول الخليج العربي أو مراكز قوى إسلامية وإخوانية بالدول الغربية".

رُبما كان الباحث الفرنسي ستيفان لاكروا [1] أكثر إنصافًا من الباحثين والكُتاب العرب حيث أنه تجرد في مسألة التمويل من انتماءاته وتوجهاته وقال في بحثه "ثمة اعتقاد شائع بين المتابعين لأنشطتها [2] بأن الهبات السخية التي تقدّمها

(١) ستيفان لاكروا أستاذ مساعد في العلوم السياسية في معهد الدراسات السياسية في باريس .

(٢) يقصد الدعوة السلفية بالإسكندرية

مؤسسات وأفراد في منطقة الخليج، هي التي وفّرت للدعوة الموارد المالية للتوسّع والنمو، لكن من المستحيل إثبات ذلك"[1] وطالما أنه يستحيل اثبات ذلك فليس حقاً ولا يُبني عليه بحث ولا تصور كالذي أشرتُ إليه في جريدة الفجر، لكن السؤال الذي بَدَأَتْ به صاحبة البحث مشروع ومنطقي وضروري، من أين يأتي التمويل، لكن إحقاقاً للحق فهو سؤال مشروع على الكُل، وتمويل القنوات الإسلامية الضعيف كان ظاهراً في استوديوهاتهم وتغطيتهم الإعلامية ومستوي الخدمات التي تقدمه هذه القنوات لا ترقي أبداً أن يكون تمويلها من الولايات المتحدة الأمريكية وتركيا والمملكة العربية السعودية وقطر، بل لا ترقي إلي مستوي أقل قناة اعلامية أو حتي قناة منوعات موجودة على الساحة، ومن هُنا من حقنا أن نسأل من أين يأتي تمويل هذه المنظومة الضخمة وهذا السؤال لستُ أول من يطرحه بل طرحه العديد من الكُتاب ومنهم السيد الغضبان

(١) مركز كارنيجي في البيرق الإوسط ، بحث بعنوان السلفيون البراغماتيون

في جريدة الوفد المصرية حيث قال "الحديث عن مصادر تمويل القنوات الفضائية الخاصة يفرض نفسه علي الساحتين الإعلامية والسياسية بقوة ويطرح الكثير من الأسئلة التي لا تجد من يستطيع أن يقدم إجابات شافية لها.. وإذا كان حديث التمويل الأجنبي لمنظمات المجتمع المدني قد بدأ يعثر علي إجابات واضحة للعديد من الأسئلة المتعلقة بمصادر وأهداف هذا التمويل بعد أن وصل الموضوع إلي ساحة القضاء فإن الحديث الصاخب عن مصادر تمويل الفضائيات الخاصة لم تزل أسئلته جميعها معلقة لا تجد من يقدم إجابات واضحة عن مصادر التمويل وأهدافه" [1] ثم أشار الكاتب في مقاله إلي قناة CBC المملوكة لرجل الأعمال مُحمد الأمين وسماها الكاتب إمبراطورية الحاج أمين التي جمعت صفوة الإعلاميين والتي تقفز مرتباتهم إلي أرقام خيالية ويصعب جداً جمع كُل هؤلاء

---

(1) تمويل الفضائيات الخاصة – السيد الغضبان – بوابة الوفد الإلكترونية ٢٠١٢/٢/١٥

تحت منظومة إعلامية واحدة، ولكن الحاج محمد الأمين يستطيع ذلك!!

حتي يتضح الأمر أكثر ونُعطي لسؤالنا مزيداً من الشرعية دعونا نتحدث باختصار عن تكلفة انشاء قناة فضائية واحدة فقط:

بغض النظر عن الإجراءات الروتينية كم تتكلف إنشاء قناة فضائية؟

الإعلامي أسامة الشيخ مدير شبكة قنوات النهار يؤكد، أن تكلفة إنشاء القناة تبدأ من ١٠ ملايين إلى ٣٠٠ مليون، وعندما نضع مواصفات القناة نعرف بالضبط ما تحتاجه، منها طبيعة القناة (عامة، أو أخبار، أو أفلام) هل تنتج البرامج ؟ أم تشتريها ؟ تبث كام ساعة بث مباشر؟ كذلك قوة التردد، ومساحة الاستديو، المذيعون نجوم؟ أم مذيعين مبتدئين؟ هذا الكلام بشكل عام.

استئجار ستوديو بمساحة ١٥٠م بدون تجهيزات ولا أجهزة مدعم فقط بشبكة إضاءة تتراوح قيمته الإيجارية من ٥٠ الف إلي ٧٠ الف جنيه شهريًا، أي بما يُعادل ٦٠٠ الف جنيه سنويًا، وإيجار التردد سنويًا ٣٠٠ الف دولار!! أي بما يُعادل ٤٥٠٠٠٠٠ (اربعة ملايين وخمسمائة الف جنية) سنويًا وهذا وقت كتابة هذه السطور والله أعلم كم ستكون بعد ذلك، ولذلك أكد المهندس هشام شكري مدير عام الاستديوهات في مدينة الإنتاج الإعلامي أن تكلفة أقل قناة عادية تحتاج إلي ٤ ملايين جنيه بدون العمالة والديكورات.(١)

لاحظ نحن نتكلم عن أقل تكلفة لأصغر قناة فضائية، فما بالك بمن يمتلكون سلسلة قنوات النهار، وسلسلة قنوات CBC ، وسلسلة قنوات الجزيرة، وسلسلة قنوات MBC ، وسلسلة قنوات الحياة ، وسلسلة قنوات DMC ، وغيرها من القنوات . . لماذا تنفق كُل هذه الأموال ومن الذي ينفق؟

(١) البوابة نيوز - كيف تنبيى قناة فضائية داخل مدينة الإنتاج الإعلامى ٢٠١٥/٥/٧

رُبما يظن البعض أن المُتحمل لهذه النفقات العملاقة أصحاب الشركات الكُبرى التي تضع اعلاناتها على هذه القنوات، لكن الأمر أعتقد أنه أبعد من ذلك، ويتأكد هذا الأمر حينما تعرف أن هذه الشركات الكبرى تسير حسب خطة مرسومة، وهذا الأمر عام في جميع القنوات والصحف حتي العالمية منها كـBBC والجارديان وغيرها، فهي أيضاً نظم دعائية لصالح النُخبة [1] وهنا حقائق يجب أن تعلمها فيما يخُص الشركات المُعلِنة:

حقائق يجب أن تعلمها:

- هُناك مائة شركة كُبري تُسيطر على الإنتاج العالمي، هذه الشركات باختصار شديد كانت سبباً رئيسياً في تعميق الفقر وتوسيع الفجوة التكنولوجية بين الدول المتقدمة والدول المستهلكة "النامية" وهذه الشركات الكُبرى استطاعت أن تغزوا العالم العربي بمنتجاتها وتسيطر عليها، بل صارت الدول العربية تعتمد اعتماداً كُليا على ما تستورده من هذه الشركات

([1]) دافيد إدواردز ودافيد كروميل - حراس السلطة وأسطورة وسائل الإعلام الليبرالية صـ ٢٢

دون التحرك ولو خُطوه واحدة إلي تطوير منظومة تكنولوجية تُقلص هذه الفجوة الكبيرة.

- تحتل الشركات العملاقة مكانة أقوى في البلدان النامية ، وعلى الرغم من مزاعمها بتحفيز مجريات التنمية في تلك الدول ، غير أن تلك المساهمة لا ترتبط بتنمية فعلية في الاقتصاد، حيث إنها لا تُطور النشاط الصناعي وتُعرض الصناعات الوطنية الوليدة في الدول النامية للخطر. (١)

- ٤٤٪ من هذه الشركات تمتلكها الولايات المُتحدة الأمريكية و٣٠٪ يمتلكها الاتحاد الأوروبي ، ومعظم هذه الشركات يمتلكها كبار رجالات السياسة في العالم فعلى سبيل المثال كان جورج بوش الأبّ يمتلك شركة زابتا للبترول والشركة المتحدة للفاكهة، و كان اعتراض رئيس بنما الأسبق الجنرال عمر توريخوس على سياسات الشركتين سببًا في اغتياله من قبل

(١) شبكة محيط – ماجد صقر - « البيركات متعددة الجنسيات».. أداة الغرب لـ «الهيمنة» على اقتصاد الدول النامية.

حسب الخبير الاقتصادي جون بركنز عندما كان جورج بوش الأبّ نائبًا للرئيس الأمريكي.

لم يتوقف الأمر عند هذا الحدّ، فقد تمَّ غزو بنما عندما أصبح جورج بوش الأبَّ رئيسًا للولايات المتحدة بحجة تورط رئيسها الجديد نورويغا في قضايا تهريب مخدرات![1]

- قدّر باحثو (جامعة هارفارد) أن القيمة المضافة التي حققتها الشركات متعددة الجنسية خلال عام واحد بلغت حوالي ٥٠٠ مليار دولار، أي خمس ١/ ٥ إجمالي الانتاج الوطني لكل دول العالم!!

- هذه الشركات تلعب دوراً خطيراً في تشجيع ظاهرة نزيف الأدمغة أي هجرة العقول العلمية والفكرية والتقنية وأصحاب الخبرات المختلفة من دول العالم الثالث إلى الدول التي توجد فيها مقارّ رئيسية لهذه الشركات، وبخاصة الولايات المتحدة، وهذا لا شك أنه ظاهر لا يحتاج لدليل إذا أخذنا مصر كمثال

(١) ساسة بوست - عبد الرحمن باصر - أسئلة حول الشركات متعددة الجنسيات في مصر

وكم من العقول العملاقة والعباقرة تركوا وطنهم للبحث عن فرصة حقيقية في أوروبا أو الولايات المتحدة الأمريكية، وغالب هؤلاء بلا شك يجدون تلك الفرصة، وللأسف الشديد هذا من أخطر سلبياتنا.

- الشركات متعددة الجنسية تمارس سيطرة مركزية كاملة من البلد الأصلي على فروعها المنتشرة في أنحاء العالم، وجميع الفروع تعمل تحت نظام دقيق وفي إطار استراتيجية عالمية وسيطرة عالمية مشتركة، ذلك لأن المركز الرئيس للشركة متعددة الجنسية هو بمثابة الدماغ والجهاز العصبي المركزي ، لهذه الاستراتيجيات.

- تبيّن خلال عشر سنوات مضت أن الشركات المُرابية استردت ٢.٥دولار مقابل دولار واحد وظفته في البلدان الفقيرة ، بمعني أنها استردت ما أقرضته للدول النامية وضعفين ونصف زيادة ، وهكذا تدور الدائرة. [١]

---

[١] شبكة الالوكة – الدكتور زيد س محمد الرمابي – اليبركات دولية النشاط إرهاب اقتصادي

وخُلاصة ما سبق اختصره أحد الكُتاب البارزين في مجال الإعلام بقوله: علينا أن نضع في الاعتبار حقيقتين بارزتين وهُم:

١- أن عالمنا المُعاصر تسيطر عليه مؤسسات عملاقة متعددة الجنسيات.

٢- أن نظام تقارير الميديا نفسه في هذا العالم مكون من مؤسسات عملاقة وفي الواقع فإن مؤسسات الميديا ملك لهذه المؤسسات نفسها وعليها أن تُغطي أعمالها وأخبارها، إنها مشروعات تسعي للربح مملوكة لأفراد غاية في الثراء أو شركات تُمول بشكل كبير عن طريق المُعلنين الذين هُم أيضاً كيانات تسعي للربح والتي تسعي أن تظهر اعلاناتهم في بيئة داعمة للبيع، وتعتمد الميديا أيضاً علي الحكومة ومنشآت الأعمال الضخمة كمصادر للمعلومات، وتتسبب كل من الكفاءات والاعتبارات السياسية والمصالح المُتداخلة في درجة مُعينة من التضامن بين الحكومات ومؤسسات الميديا الضخمة، ولا يخفي علي أحد

أن شبكة (إن . بي . سي) تملكها شركة جنرال الكتريك، والأمر خلاصته ذكرها بيتر جولدن خبير الميديا فقال "باستطاعة مالكي مؤسسات الميديا تحديد الخط التحريري للصحف والمحطات الاذاعية التي يمتلكونها "[1] هذا باعتبار أن شركة الانتاج هي المالكة لشركة الميديا، لكن أيضا يستطيع المُعلن إن كان قوياً أن يوثر في محتوي ما يُقدَم أو الاعتراض علي طريقة ادارة الجريدة أو القناة التليفزيونية والتأثير علي خط هذه القناة أو تلك الجريدة ، كما فعلت جنيرال موتورز حينما سحبت إعلاناتها من واحدة من أكبر الصحف الأمريكية وهي لوس أنجلوس تايمز من أجل اعتراض الشركة المُعلنة نظراً لأخطاء بدت لهم واقعية . [2]

كيف تعمل هذه الشركات؟

(١) دافيد إدواردز ودافيد كروميل - حراس السلطة وأسطورة وسائل الإعلام الليبرالية صــ ٢١ و صـ ٢٧

(٢) المصدر السابق صـ٢٩

كما علمهم إبليس اللعين أن يُلبسوا الحق ثوب الباطل علمهم أيضاً غمس المعارضين في الديون للسيطرة عليهم، غمس الدول في الديون هو السبيل للهيمنة على تلك الدول فتبقي أبد الدهر تحت سيطرة الدول الكُبرى.!

يَحْكي "جون بيركنز" خطة إبليس لذلك الأمر فيقول "إن ما نُتقن صنعته نحن قراصنة الاقتصاد هو أن نبني امبراطورية عالمية، فنحن نُخبة من الرجال والنساء يستخدمون المنظمات المالية الدولية لخلق أوضاع تُخضِع الأُمم الأُخرى لاحتكار الكوربوقراطية [1] التي تُدير شركاتنا الكبيرة وحكومتنا وبنوكنا.

ومثل نُظرائنا من رجال المافيا! نؤدي نحن قراصنة الاقتصاد بعض الخدمات، كمنح قروض لتنمية البنية التحتية، وبناء محطات لتوليد الكهرباء، ومد طرق رئيسية، وإنشاء مواني ومطارات ومناطق صناعية، هذه القروض مشروطة بأن تتولي

(١) مصطلح معناه المسيطرون على الاقتصاد

إدارة هـذه المشـروعات شـركات هندسـية وإنشـائية مـن بلادنـا، جوهر الأمر أن لا يخـرج القـدر الأكـبر مـن أمـوال القـروض مـن الولايات المتحـدة الأمريكيـة بـل تنتقـل مـن مكاتـب البنـوك مـن واشنطن إلي مكاتب البنوك في هوستن أو سان فرانسيسكو.

وبـالرغم مـن أن المـال يعـود بشـكل مباشـر تقريبـاً إلـي مانحي القروض وهُـم أعضـاء منظمـة الكوربوقراطيـة فـإن البلـد التي حصلت علـى هـذه القـروض عليهـا أن تردهـا مضـاف إليهـا قيمة الفائدة.

لكن انتبه جيداً إلي أن نجاح قرصان الاقتصـاد الحقيقـي يتحقق عندما تكون القروض كبيرة لدرجـة تضـمن عجـز الـدول المستدينة عن سداد ما عليها مـن ديـون في ظـرف سـنوات قليلـة، آنـذاك نسـلك سـلوك المافيـا ونطلـب رطـلاً مـن اللحـم مقابـل الدين! وتتضمن قائمة طلباتنا واحدة أو أكثر من التالي (السيطرة على تصويت الدول في الأُمم المتحدة، أو إنشاء قواعد عسكرية، أو هيمنة على موارد الثروة أو قنوات بحرية أو غيرها، المُهـم أن

يبقي المستدين مُثقلاً بالدين فنكون قد أضفنا بلداً آخر إلي إمبراطوريتنا العالمية). [1]

يعتمد هؤلاء علي الكوارث الطبيعية أو الحركات الانفصالية التي يعقبها حرب أو نشوف فوضي عارمة أو حرب بين دولة وأخري كي يدخلوا بذريعة إعادة الإعمار، ثم يبدأ الابتزاز.

وحتي وإن كانت الظروف غير متهيئة لتلك الهيمنة فيكون اللجوء إلي تهيئتها وصناعتها! فإن عُدمت الزلازل والأعاصير والفيضانات والحروب والحركات الانفصالية والفوضي التي تستوجب إعادة بناء للطرق والجسور، فيُمكن أن يقوموا هُم باختلاق حرب تُدمر من خلالها دولة كالعراق مثلاً ثم نُعيد بناءها من جديد علي حساب العراقيين! قال مايك باتلز [2] (قَدمَ الخوفُ والفوضى لنا فرصاً ذهبية) وكان يُلمح إلي

(1) جون ركبر – الاغتيال الاقتصادي للإمم صـ ٢٣

(2) مايك باتلز صاحب إحدي الشركات الإمنية وكان مجبراً لدي وكاله الاستخبارات المركزية الإمريكية

الفوضى التي تلت اجتياح العراق وكيف استفادت شركته الخاصة من تلك الفوضى العارمة وحققت أرباح قاربت مئة مليون دولار أمريكي، فهو مثال حي لشعار الرأسمالية المُعاصرة أن الخوف والفوضى محفزان لكل قفزة جديدة إلي الأمام! [1] وهذه الحرب من ألفها إلي يائها صناعة أمريكية، وحدث هذا أيضاً مع غواتيمالا فكانت غواتيمالا لعبة بأصابع شركة الفاكة المتحدة "يونايتد فروت" والشركات الدولية الكبرى، وفي الخمسينيات من القرن العشرين أنتُخب "أربنز" صاحب مقولة "نريد إعادة الأرض للشعب" رئيسا لغواتيمالا من خلال انتخابات حرة تمت لأول مرة في هذا البلد، بمجرد توليه السلطة تبنى سياسة إعطاء حقوق ملكية الأراضي إلى الشعب وأعلن عن برنامج للإصلاح الزراعي يهدد شركة "يونايتد فروت" ، وتعد تلك الحادثة سابقة خطيرة حيث أراد أربنز الخروج من المنظومة ورفع الهيمنة عن بلاده، فقام

(١) عقيدة الصدمة صـ ١٩

الإعلام الأمريكي بشن حملة دعائية بأنه شريك السوفيت في مؤامرة على أمريكا، في عام ١٩٥٤ خطط الCIA للانقلاب علي الرئيس المنتخب ديمقراطيا، كعادة أمريكا لا تعطى شرعية دولية إلا للحكام المسبحين بحمدها المشاركين في سرقة ثروات بلادهم وهذه هي الديمقراطية، ضرب الطيارون الأمريكيون العاصمة واستبدل "أربنز" بالديكتاتور "كارلوس أرماس" فألغى على الفور الإصلاح الزراعي و الضرائب على الاستثمارات الأجنبية وأعاد بلاده لأحضان الهيمنة مرة أخرى، كما أودع في السجون الآلاف من معارضيه. (١) حدث مثل هذا في فنزويلا بعد تولى شافيز السلطة وتحدى الإدارة الأمريكية وكانت أمريكا في تلك الوقت مشغولة بالتفكير لخطة للعراق وفنزويلا فقامت بغزو العراق عسكريًا، أما شافيز فتكرر له ما حدث لمصدق، دبر رجال الCIA انقلاب عسكري ودفعوا رشاوي لضباط الجيش كما حرضوا العمال على عمل إضراب

(١) المصدر السابق

فعرقلوا العمل، ولكن هذه المرة حدث ما لم يكن في الحسبان، حيث عاد شافيز مرة اخرى إلى سدة الحكم بعد ٧٢ ساعة من الانقلاب عليه، وقعت تلك الأحداث في عام ٢٠٠٢ في الوقت الذي كانت تستعد فيه أمريكا لغزو العراق فلم تستطع أن تُعادي جبهتين في آن واحد.

في كوبا انتخب أغلب الكوبيين كاسترو، فكتب لستردي مالوري نائب مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشئون الدول الأمريكية مذكرة جاء فيها «تدعم غالبية الكوبيين كاسترو، والأسلوب الوحيد لإضعاف هذا الدعم أو تحويله إلي نفور واستياء هو إيجاد مصاعب اقتصادية». [١]

ما علاقة هذه الحقائق بموضوع التمويل؟

إذا علمنا أن الشركات المُهيمنة الكُبرى في العالم هي الشركات التي تدفع اعلانات للمحطات الفضائية في العالم العربي وغيره، وعلمنا أن مُلاك هذه الشركات الكُبرى منهم

(١) الديمقراطية أشد الصادرات الامريكية فتكاً صـ ٢٠١

سياسيين بل ومن كبار السياسيين في العالم، فلا يُمكن أن تكون الشفافية هي المسيطرة على تلك المنظومات، بل أعتقد أن ثم تدخل حاصل في مضمون المحتوي الذي يُبَث، وتدخل صريح في سياسة هذه القنوات يتوافق مع سياسة رأس المال العالمي المُمول الحقيقي لتلك القنوات، دعك من التسمية، فهُم يسمونها اعلانات لكنه في حقيقة الأمر تمويل في ثوب إعلان، كمن أراد شرب الخمر فسماها مشروبات روحية، وكمن أراد الزنا فسماهُ علاقة عاطفية، وكمن أراد قرضاً ربوياً فسماه قرض صندوق النقد الدولي، كُلها مُسميات والحق يعلمه الله، ونحن نعلم أن هؤلاء لا يدفعون أموالهم لله ولا لتنمية بلادنا النامية التي يسمونها دول العالم الثالث، بل خلف كُل هذه المنظومات أهدافاً سياسية إن لم تُحقق يكون الضغط بورقة الاقتصاد كما ذكرنا، ولأنهم يعلمون جيداً ان نقل الأخبار بشفافية يعوق هذه الصناعة (صناعة الإعلام) فإنهم فتحوا الباب علي مصرعيه لعرض الاف الساعات من البرامج التي تشغل العقول وتشتت

الأفئدة مع قليل من الحقيقة المُشوهة والمغلوطة! وهذا يحدث علي المستوي العالمي وعلي المستوي الداخلي للدول التي تتحكم فيها تلك القنوات، فهم يُدلسون علي العالم ويُدلسون علي مواطنيهم، وما علينا إلا تأمل موقع مراقبة الميديا المُسمى: العدالة والدقة في التقرير (FAIR)[1] الذي يصف كيفية قلق مديري الميديا التنفيذيين من أن طوفان الصور المُروعة الذي يتدفق داخل غرف المعيشة في العراق وأماكن أخري لن يُشجع المُعلنين، شرحت ذلك المُتحدثة باسم شركات جنرال موتورز أن شركتها لن تقوم بالإعلان في البرامج التليفزيونية الخاصة بالأعمال الوحشية في العراق، لأنه ببساطة لا أحد يرغب في مشاهدة إعلانات مرحة بعد الصور والحكايات المُروعة.

قال ديفيد إدواردز "إن ما فعله الغرب في العراق شيء يستعصي على العقل تصديقه، لقد أوقعنا أعداداً مهولة من الضحايا والمعاناة علي دولة من دول العالم الثالث، ومع ذلك

(١) www.fair.org/index.php?page=4867

لا نجد لمحة من الحقيقة على شاشات تليفزيوناتنا، لأن الجثث المدفونة والمحترقة تعوق بيع السيارات وخلة الأسنان!! [1]

التضليل الإعلامي نظرية إبليسية قديمة:

ذكرنا في بداية الكتاب قاعدة يبني عليها إبليس عليه لعائن الله المتتالية قواعد مُلكه، وهي نظرية التلبيس "تلبيس الحق ثوب الباطل وتلبيس الباطل ثوب الحق، وتبشيع الحق في أعين الخلق، وتجميل الباطل "وهذه النظرية الخطيرة توارثها ورثة إبليس كابراً عن كابر، بل وطوروها، وما يقدمه الإعلام العالمي هو خير مثال لكشف لهذه القاعدة أو النظرية الإبليسية القديمة، والمسألة لا تحتاج منهم كثير عناء، الأمر ببساطة **"اجعلهم يثقون بك ثم قُل ما تشاء!!"**

دعونا نتذكر سريعاً سر هذه الجملة من فعل إبليس مع الأبوين الكريمين في قوله تعالي (وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلاهُمَا بِغُرُورٍ) والنفسُ تميل إلي الناصح المُحب

(1) جراس السلطة صـ ٢٥

وإبليس يعلم ذلك ، فبدأ معهم بالخطاب العقلي والسؤال المنطقي (مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هذِهِ الشجَرَةِ إِلا أَنْ تَكُونَا مَلَكَين) فرغبهم في شيء عظيم وأقسم لهما أنه ناصح أمين فوقع الأبوان في فخه!!

لكن ثم سرٌ آخر في خطة إبليس، وهو استخدامه لفظ القسم، وإبليس يعلم عظم القسم في قلب آدم وزوجته، ولا يخطر بقلبيهما أنه على وجه الأرض من يقسم بالله كذباً، فكان هذا أيضاً من مكره، قال مطرف بن عبد الله "قال لهما إني خُلقت قبلكما، وأنا أعلم منكما، فاتبعاني أرشدكما وأقسم لهما بالله العظيم، وإنما يُخدع المؤمن بالله "قال قتادة "وكان بعض أهل العلم يقول من خادعنا بالله خُدعنا له"، فالمؤمن غِرٌ كريم والفاجر خِبٌ لئيم، وفى الصحيح: "أن عيسى بن مريم ﷺ رأى رجلا يسرق، فقال: سرقت؟ فقال: لا والله الذى لا إله إلا هو، فقال المسيح: آمنت بالله وكذبت بصري"[1]

---

[1] رواه النسائي رقم ٥٤٢٧ ، وابن ماجة رقم ٢١٠٢ والحديث صحيح

ما ذكرت لكم من مكر إبليس هو هو ما يفعله الإعلام، بل هي نفس القواعد التي يستخدمها أصحاب تلك الصناعة وأباطرتها، وسأذكر في هذا القسم طرفاً من هذه الحقائق التي قد تغيب علي البعض توضح للقارئ الكريم حجم الخداع والمكر والتحيز الكبير الذي تقوم عليه تلك الآلة الإعلامية الجبارة، وما نذكره أَقَرَ معناه كثير من المُراسلين بقولهم" إن الجو الذي يعمل فيه المراسلون مشحون بالعواطف المُبالغ فيها عما ينبغي أن يُقال ومالا ينبغي أن يُقال، فمن الصعب أن يكون استيفاء الأخبار موضوعياً في البلاد التي استقلت حديثاً أو التي تقف موقفاً عدائياً من الذين كانوا يستعمرونها أو في جو العداء السافر بين العرب واليهود!!" [1] وهذا واضح لا يحتاج لدليل لكن الأمر كما يُقال " الحق ما شهدت به الأعداء "فهو وإن أبدت هذه المؤسسات الإعلامية الضخمة حيادية ومصداقية

(١) أخبار البيرق الاوسط في الصحافة العالمية - دراسة قام بها معهد الصحافة الدولي بمدينة زيورخ بسويسرا - يرجمة الدكتور عبد اللطيف حمزه ص ١١٩

فهي لا يُحركها في الحقيقة إلا المصلحة، وقد أشار صحفي انجليزي أن الصحف الإنجليزية تنقل صورة دقيقة إلي حد ما لمصر وإسرائيل عندما تكون بريطانيا بعيدة عن النزاع، ولكن عندما يمس هذا النزاع شيئاً من المصالح البريطانية تتغير النغمة فيصبح ما يُنشر عن البلدين أقرب بالدعاية منه إلي الأخبار.

أما في الصحافة الأمريكية فيقول خبير من خبراءهم أن أخبار الشرق الأوسط في الصحافة الأمريكية يشوبها التحيز للسياسة الأمريكية أو الميل لإسرائيل ونحو ذلك، وقال أحد المراسلين أن رؤساء الصحف الأمريكية بدون استثناء لا ينشرون الحقيقة عن النزاع بين العرب واسرائيل خوفاً من النفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة الأمريكية.[1]

بلا شك لهم في هذا المنهج المُضَلِل مبررات يَرَوها منطقية، وهذا ما قاله أحد المُراسلين الفرنسيين أن تشويه

(١) المصدر السابق صـ ٢٢

الصورة العامة للشرق الأوسط في بعض الصحف الفرنسية يرجع إلي التحيز السياسي، ولهذا أسباب وهي:

١ - اعتقاد بعض الصحف أن لليهود الحق في إنشاء وطن لهم بسبب الاضطهاد الذي وقع عليهم في أوروبا ، وهذا الاعتقاد يجعل الصحف الفرنسية تقف الموقف المُدافع عن إسرائيل.

٢- عطف فرنسا الطبيعي علي الدول الاستعمارية الكبرى في نزاعها مع الدول التي تسعي لاستكمال استقلالها، ولذلك نجد أن صحف فرنسا عن بكرة أبيها باستثناء الصحف اليسارية المتطرفة ناصرت بريطانيا في نزاعها مع مصر.

٣- سبب آخر هام وهو أن كثير من الأخبار قد تصل عن طريق دبلوماسي أي عن طريق أشخاص غير محايدين في الأصل بحكم وظائفهم الدبلوماسية.

هذا الدور الإعلامي ليس مجرد نقل لأخبار أو وجهة نظر بل هو مشاركة حقيقية في صنع القرار في كل دولة، بل إن الإعلام بات حلقة وصل بين الدول عن طريق تقديم رسائل إلي

الشعوب، ففي خلال الأزمة الروسية وخلال الفترة التي سبقت حرب الائتلاف ضد العراق استخدم كلاً من الرئيسين جورج بوش وصدام حسين وسائل الإعلام لإيصال رسائل إلي الحكومة وإلي الرأي العام في كل من العراق وروسيا، وكذلك حدث بين الرئيس الإيراني والرئيس الأمريكي، وكذلك يحدث في جميع الدول، وقد ظهر جلياً هذا الاسلوب في العلاقات المصرية الأمريكية في فترة ما بعد الثورة ، والخطاب الإعلامي الذي أظهر العداء لأمريكا وأنها مُحرضة علي اشعال الفتن في مصر، هذا الخطاب بلا شك خطاب موجه لكن لا يصح أن يصدر من جهات رسمية ولكن في النهاية الرسالة تكون قد وصلت للحكومة الأمريكية والرأي العام الأمريكي، والسر في استخدام هذه الطريقة أن الدول تستخدمها لإيصال رسائل لا يرغبون إرسالها عبر الحقائب الدبلوماسية فلا يُبني عليها ردات فعل سياسية فهي ليست تصريحات من مسؤولين في الدولة. [1]

---

(١) الوطن العربي في السياسة الامريكية صـ ٢٠٢

دعونـا نبـدأها منـذ منتصـف الحـرب العالميـة الأولـي!
وكيـف لعبـت الولايـات المُتحـدة لعبـة الحـرب وكيـف أقنعـت شعبـًا كاملاً أن الحرب ضرورة في حين كان هذا الشعبُ مُسالمـًا لا يرغب في الحرب، ولو أردنا أن نبدأها من كفار قريش لبدأناها فهي أساليب قديمـة ومتكـررة ، لكـن سـنقرب المسـافات لنصـل إلي حاضـرنا بشـيء مـن الـوعي ولنـربط الأحـداث بواقعنـا وهـو مقصود الكتاب.

كان الـرئيس الأمريكـي لديـه التزامـات لـدخول الحـرب العالميـة في الوقـت الـذي كـان المـواطن الأمريكـي لا يرغـب في ذلـك، قامـت إدارة الـرئيس الأمريكـي وودر ويلسـون (1) بإنشـاء لجنة للدعاية الحُكومية تحت مُسـمي (لجنـة كريـل) وهـي لجنـة إعلاميـة مهمتهـا تشـكيل الـوعي العـام، وفى خـلال سـتة اشـهر نجحت هذه اللجنة في تحويل المواطنين الأمريكيين المُسـالمين

(١) وودرو ويلسون، الرئيس الثامن والعيرون للولايات المتحدة الامريكية بالفيرة من ٤ مارس ١٩١٣ إلى ٤ مارس ١٩٢١

إلــي مــواطنين تــتملكهم هســتيريا الحــرب والــتعطش للــدماء والقضاء علي كُل ما هو ألماني **لإنقاذ العالم**.

كيف حصل هذا؟

قال ريتشارد درايتون [1] "نحن نـدعي الحـق في القصـف بالقنابل والتشـويه والسـجن دون محاكمـة على أسـاس الحـرب ضـد الفاشـية عنـدما ننقلـب علـي أصـدقاء أمثـال نوريیجـا [2] أو ميلوسوفيتش [3] أو صدام حسين [4]، نعـود فنصـفهم بـأنهم مثـل " هتلر" [5]

الذي حصل هـو أن "النخبـة" الأمريكيـة في هـذا الوقـت استخدمت نظريـة إبلـيس في الهيمنـة على العقـل الأمريكـي عـن طريق بث روح الرعـب مـن الطوفـان النـازي بمزيـد مـن الكـذب والفبركة والتزييف للمذابح التي ارتكبها الألمـان، مثـل موضـوع

(١) مؤرخ أمريكي وأستاذ التاريخ في جامعة كامبريدج

(٢) نوريیجا كان رئيس بنما بالفترة من ١٢ أغسطس ١٩٨٣ إلى ٣ يناير ١٩٩٠

(٣) سلوبودان ميلوشيفيتش كان رئيس صربيا ويوغوسلافيا من الفترة بين ١٩٨٩ و ٢٠٠٠

(٤) صدام حسين رئيس العراق ما بين عام ١٩٧٩م وحتى ٩ أبريل عام ٢٠٠٣م

(٥) درايتون - صك أخلاقي على بياض - صحيفة الجارديان - ١٠ مايو ٢٠٠٥

الأطفال البلجيكيين ذوي الأذرع الممزقة، وأن الألمان يأكلون البشر أحياء ويشربون دماءهم، والقاعدة في ذلك أن الدم يُثير الدم، وهذا ما حدث، العالَم النازي سيُدمِر الولايات المُتحدة الأمريكية، سيُمزقونكم كما فعلوا مع غيركم، دافعوا عن هويتكم ووطنكم،.. وهكذا تُبث روح الانتقام.

حينما يستجيب المواطن الأمريكي لتلك الدعوات ويُصبح رأيه موافق لرأي الساسة والنخبة تكون الديمقراطية في أفضل أحوالها، وتؤدي الدور المطلوب منها كأفضل ما يكون، وهكذا يُمكن للمسؤولين الأمريكيين أن يفخروا أن الولايات المُتحدة الأمريكية هي بلد الحُريات والديمقراطيات، وطن يحكُمه المواطنون، القرارات نابعة منكم أنتم أيها الشرفاء، الم يكُن خيار الحرب في أيديكم وأنتم من قررتم، اليس هذا ما حدث، بلي .

الحق أن المواطن تعرض لعملية غسيل مخ وإعادة برمجة بما يتوافق مع سياسة الدولة واتجاهات النُخبة الحاكمة

..! لكن السؤال هل لو خالف المواطن الكتالوج الموضوع له سيكون التعامل بالديمقراطية أم ان هُناك طرق أخري؟ لنري.

- عام ١٩٣٥ فازت الحركة العُمالية بأول نصر تشريعي لها وهو حق التنظيم المعروف باسم قانون "واجنر" [1] وهذا دليل عند النخبة على أن الديمقراطية لا تعمل بشكل صحيح! فلا يجب حسب قواعد اللعبة أن يحقق القطيع الحائر (الشعب) أي نصر تشريعي، كما أنه أصبح بإمكان الناس التنظيم في حين أنه يجب أن يظل الناس منقسمين، إذ أنهم لو وصلوا لمرحلة التنظيم فإنهم سيخرجون للمشاركة وسيتركون كرسي المُشاهِد وهذا خلاف المُخطط له!

في هذا الوقت ثار رجال الأعمال للتأكد من أن ذلك النصر التشريعي سيكون الأخير من نوعه للحركة العُمالية وأنه سيكون النهاية لهذا الانحراف الديمقراطي للتنظيم الشعبوي، يجب أن

(١) قانون ينص على أن مستوى الإنفاق العام يتناسب طردياً مع زيادة مستوى دخل الفرد ، وهو منسوب إلى واضعه الالماني إدولف واجنر.

تعمل الديمقراطية في حدود الخطة المرسومة لها، ويجب أن يؤدي الإعلام دوره في هذا الإطار.

- عام ١٩٣٧ وقع اضراب في غرب بنسلفانيا فبدأ رجال الأعمال في استخدام طريقة جديدة للقضاء علي هذه الحركات العُمالية، وهي طريقة الدعاية المُضادة، وهي طريقة لتحويل عامة الجُمهور ضد القائمين بالإضراب، وتصوير المضربين على أنهم مجموعة من المخربين التي تصب نتائج أعمالهم الإجرامية ضد مصالح الجمهور، وهُم بلا شك يقصدون مصالهم هُم، لأن انتصار الفقراء يشكل خطورة قصوي على الأغنياء، انتصار الضعفاء سيزيل مُلك الأغنياء، إذن الرهان لابد أن يكون على بقاءهم على وضعهم وجهلهم لتَسُوقهم نُخبة من الأغنياء عن طريق الآلة الإعلامية والتدليس.

قال ناعوم تشومسكي تعقيبـاً على موضوع الإضراب "علي كُل حال هذا هو مجتمع رجال الأعمال الذي يسيطر على الإعلام". [1]

المثال السابق هو مجرد مثال يحكي قصة صراع داخلي بين طبقة تُسَمِي نفسها النُخبة وطبقات أخري عُمالية وغير عُمالية هي من نفس الدولة وهي الطبقات الدُنيا أو كما يُسميها البعض بالقطيع أو الدهماء وهم محور الجزء الثاني من الكتاب، ولكن هذا الصراع هو في حقيقته هو نفس الصراع العالمي، ونفس السياسات التي تستخدمها الحكومات مع العقول داخل الدولة هي التي تستخدمها الحكومات الكُبرى مع جميع دول العالم فالعالم كله قطيع حائر بالنسبة للنخبة العالمية ..!

لم تكُن هذه المرة هي المرة الأخيرة التي تلعب فيها الولايات المُتحدة الأمريكية هذه اللعبة، ولكن تكررت هذه اللعبة بشكل واضح وفج في كل الحروب.

(١) السيطرة على الاعلام صـ ١٤

نـذكر مـن ذلـك مـا فعلتـه الولايـات المُتحـدة الأمريكيـة ولجانها الإعلامية في حرب فيتنام حيث كانـت التقـارير المقدمـة عن عـدد القتلـى أنهـم مئة الـف قتيـل، وكانـت المقارنـة بمحرقـة اليهود التي تسمي بالمحرقة النازية وكان عـدد القتلـى فيهـا ٣٠٠ الف قتيـل، إذن نحـن كأمريكـان خُضـنا الحـرب بأقـل خسـائر في الأرواح، هكذا يتم التزييف، فحرب فيتنام الرقم الرسمي للقتلى فيها من ٣ مليون الى ٤ مليون قتيل !!![1]

وكـذلك يفعـل الإعـلام الأوروبـي، فقـد علـق أحـد الصـحفيين الغـربيين علـي تغطيـة الصـحافة الغربيـة والإعـلام الغربي لما حدث في ميدان تيانانمين في الصين عام ١٩٨٩ بقولـه " لقـد ضـخمنا الحـدث متعمـدين وسـميناه مذبحـة رغـم أن الحقيقة تؤكد أنه لم يُقتل فيه شخص واحد وسبب التضخيم هـو مُحاولة لفت الأنظار لمـا يحـدث[2] ومـا حـدث هـو أن مجموعـة

---

(١) السيطرة على الإعلام صـ ١٨

(٢) زيد بن محمد الرماني – اقتصاد العالم أسرار واخبار صـ ١٧

مـن الطلبـة تظـاهروا في ميـدان تيانـانمين مطـالبين بـبعض الإصـلاحات وحاصـر الجـيش الميـدان لتفريـق المتظـاهرين بإطلاق أعيرة نارية لكن لم يسقط قتيل واحد، لكن الإعلام الغربـي وصـفها بالمذبحـة!! ويمكنـك أن تتأمـل هـذه القصـة وتقارنها بما حدث في ثورات الربيع العربي!

<u>في كوبا</u> وبعدما عرض لتسردي مالوري مساعد وزير الخارجيـة الأمريكيـة إيجـاد مصـاعب اقتصـادية مـن أجـل إثنـاء الكـوبيين عـن دعمهـم لكاسترو بـدأت أمريكـا في فـرض حصـار اقتصادي علي كوبا أدي هـذا الحصـار إلـي خفـض الأجـور ممـا أدي إلي حالة من الجوع، في نفس التوقيت تنشر أمريكا دعاية تصل إلي المواطن الكوبي عن طريق صحف أو مجلات تحت عنوان – فيدل كاسترو سابع أغني زعيم دولة في العالم وقدرت ثروتـه بمبلـغ ٩٠٠ مليـون دولار أمريكـي – ومـع أن هـذه

التقديرات لا أساس لها من الصحة لكنها أصابت المواطن الكوبي باليأس والنفور من رئيس كوبا. [1]

في ليبيا أوصلت الدعاية الأمريكية بعض الليبيين إلي أن يعتقدوا أن أمريكا والناتو هما السبيل للخلاص من حكم القذافي الذي يقتل الليبيين ويغتصب النساء وينهب الأموال وبناء ليبيا جديدة قوية ومتحررة ومتقدمة، حتي دعموا التدخل الأمريكي بالقصف حتي لو دُمرت ليبيا عن آخرها ثم بناءها من جديد، وكانت أمريكا تُسمي العمليات في ليبيا تدخلات إنسانية، وكانت تُبرر القصف بأن من يُطالبون بوقفه لا يعلمون بشاعة القذافي ، وقد اعترض علي المتظاهرين الليبيين يوماً أحد الصحفيين الأمريكان بأن مستوي دخل المواطن الليبي هو الأعلى في المنطقة ومتوفر تعليم وعلاج مجاني فهاجموه ولم يسمعوا منه، وعلقت هيلاري كلينتون بعد قتل القذافي وهي تضحك (مات القذافي)، وتخيلوا لو أن وزير خارجية عربي أو

---

(1) الديمقراطية أشد الصادرات الامريكية فتكاً صـ ١٩٩

رئيس جمهورية عربي خرج في تصريح وهو يضحك ويقول عن ١١ سبتمبر لقد مات ثلاثة الاف أمريكي ها ها ها!! فماذا سيكون رد الفعل الدولي!

قال وليام بلوب [١] «كان دمار ليبيا وتحويلها من دولة رخاء إلي أكوام من الأنقاض ومدن أشباح مع قتل الالاف هو ذروة سلسلة من الأضاليل التي نشرها المتمردون الليبيون والقوي الغربية من خلال قناة الجزيرة، بدءاً من الإعلان عن حمام دم وشيك في بنغازي التي كانت تحت وطأة المتمردين، إلي روايات عن اغتصابات جماعية يقوم بها جيش القذافي، وكان للإعلام الأمريكي الدور الأكبر في تجاهل اتهامات ليبيا لأمريكا أن صواريخ التحالف تقتل المدنيين، ونفس الإعلام ظل يُكرر أن ليبيا تستهدف المدنيين وترتكب المذابح ضدهم وهذا هو السبب الحقيقي لتدخل أمريكا والناتو ، وقد لعبت قناة

(١) وليام بلوب هو أحد المتخصص في السياسة الامريكية الجارجية وكان مسؤولاً بوزارة ا لجارجية الامريكية عام ١٩٦٧ لكنه استقال لانه كان من المعارضي لحرب فيتنام ، وهو رئيس يحرر جريدة واشنطن فر رس.

الجزيرة دوراً كبيراً في ترويج تلك الأضاليل ولعبت دولة قطر دوراً كبيراً في دعم المتمردين» [1]

<u>في العراق</u> في حديث جورج بوش في حفل التخرج للأكاديمية الحربية دفعة ٢٠٠٢ قال لجنود المستقبل أن أمريكا تقود حرباً بين الخير والشر وأنه يتعين علي أمريكا الكشف عن خلايا ارهابية في ستين بلداً أو أكثر !! وأول البلاد في القائمة هي العراق، فما الخطة؟

قال تشومسكي "في السنتين اللتين أتي فيهما جورج بوش الأب الى الحكم ٣ ملايين طفل في أمريكا هبطوا تحت خط الفقر، والدين يتزايد، والمستويات التعليمية في حالة متدهورة، والأجور عادت لما كانت عليه في الخمسينيات، ولا احد يستطيع فعل شيء، ولم يعد يشغلهم متابعة المسلسلات ومباريات الدوري، عندئذ يجب اخافتهم من شيء، في الثلاثينات أخاف هتلر الألمان من اليهود والغجر، اذن عليك أن

(١)وليام بلوم - الديمقراطية أشد الصادرات الامريكية فتكاً صـ١٨٦

تحطمهم لتدافع عن نفسك، قديما كانت هناك طريقة جاهزة للاستدعاء وهم الروس، (الروس قادمون) ولكنهم فقدوا جاذبيتهم، لدينا ايضاً أساليب منها الإرهاب العالمي وتهريب المخدرات وصدام حسين هتلر الجديد الذي سيغزو العالم!!! هكذا يمكن إبقاء القطيع الحائر على ما هو عليه حتي لا ينتبه الى ما يدور حوله، هكذا تدار الأمور.

تتكرر الخطة في تضخيم صدام حسين من أجل غزو العراق، وكيف صوروا صدام حسين على أنه راعي الإرهاب في العالم بل وأنه خطر على الولايات المُتحدة الأمريكية كما ذكَرت الوثائق السرية التي تم الكشف عن بعضها أن بيل كلينتون كان قلقاً من صدام حسين في الفترة التي سبقت غزو أمريكا للعراق، حتي أنه قال لتوني بلير الرئيس البريطاني في ذلك الوقت "أن صدام قد يُصبح كابوساً لك ولنا، وإذا عرف الناسُ كم من الأسلحة اكتشف مفتشوا اللجنة الخاصة سوف يفهمون كم أن هذا الأمر مهم"

لم يتم تسجيل الإجراءات المشينة التي تمت في حرب أمريكا على العراق وأفغانستان، فقد استخدمت أمريكا وبريطانيا في حربهما قنابل النابالم واليورانيوم ليس على أنها أفعال وحشية وإنما علي أنها مجرد حركة تحرير اضطرارية وكان الناقل الرئيسي لهذه الصورة هو النظام المعروف باسم الميديا (وسائل الإعلام) [١] وقد برر الكولونيل جيمس آليس قائد الفرقة ١١ من قوات المارينز الجوية استخدام القنابل بأنهم أطلقوا قنابل النابالم على بعض المعابر لكن لسوء الحظ كان فوقها بعض الأشخاص!! [٢] هكذا ببساطة، وعلقت هيلين بوادن مديرة أخبار – بي بي سي – وقتها أن المراسل الدائم للشبكة بالعراق "بوول وود" لم يُرسل تقارير عن أي من هذه الأحداث لأنه لم ير أيا منها!! حتي أن منظمات حقوق الإنسان أصابتها الحيرة بشأن هذه التصريحات التي وصفتها بالكاذبة من بي بي سي.

---

(١) حراس السلطة صـ ١٤

(٢) عدد الاحد من جريدة الإندبندنت ٢٠٠٣/٦/١٠

كان من الأسباب المنطقية للحرب علي العراق كما طرحها مريدوا الحرب ومُديروها هو تحرير الشعب العراقي من القهر الذي كان يُمارسه عليهم صدام حُسين، ويبدوا أن الحقيقة أن هؤلاء كانوا يقصدون تحرير العراقيين من الحياة وليس من سطوة صدام حسين وقهره، فالعراق كانت أفضل حالاً بلا أدني شك قبل الاحتلال الأمريكي البريطاني، كانت دولة تتمتع بالرخاء وكانت بين أكثر الدول سعة وكرماً في العالم العربي وكان لديها أحدث بنية تحتية وأعلي مستوي معيشة في الشرق الأوسط ونظاماً متقدماً للرعاية الصحية ومعالجة مياه متطورة وغيرها. (١)

كذلك كان من ذرائع الحرب الأساسية والقوية في وجهةِ نظرهم طرد صدام حسين مفتشي أسلحة الدمار الشامل من العراق ، وقال جورج بوش "إن النظام العراقي وافق علي التفتيش الدولي ثم طرد المُفتشين" وبناءً عليه تم استغلال

(١) التقرير الدولي للصليب الاحمر عام ١٩٩٩

الإعلام الغربي لنقل صورة واحدة للعالم وهي أن صدام لا يتعاون مع المفتشين الدوليين وهذا خطير علي أمن منطقة الشرق الأوسط، والحق فيما حدث هو أن قرار الحرب كان قد صدر ولا رجعة فيه ولا علاقة له لا بصدام ولا بأسلحة الدمار الشامل، فتم سحب المفتشين من العراق حفاظاً علي أرواحهم لأنهم أمريكيين وبريطانيين وليسوا عرب، وإلا لنفذت الهجمات وقُتلوا مع العراقيين!

مع ذلك أكد سكوت ريتر رئيس فريق المفتشين عن الأسلحة بالعراق أن صدام حسين لم يطرد المفتشين وأن الأوامر صدرت إليهم عام ١٩٩٨ في مستهل عملية ثعلب الصحراء! [(١)]

الأخطر من ذلك أنه في ذلك التاريخ ١٩٩٨ كان قد تم التخلص من البنية التحتية والمرافق بنسبة ١٠٠٪ تم تدمير ١١ محطة عملاقة أساسية لتوليد الكهرباء، و ١١٩ محطة فرعية،

(١) متاهة أخلاقية ، بي بي سي ، ٢٤ يولية ٢٠٠٢

وفي خلال أيام من ذلك توقفت مرافق توليد الكهرباء تماماً، وتم تدمير سدود متعددة الأغراض، وكذلك الطاقة الهيدرولوجية وطاقة الري، تم تدمير أربع محطات ضخ مياه من أصل سبع محطات، تم اتلاف اربع عشرة شبكة تليفونات مركزية بحيث يصعب اصلاحها مع تدمير ٤٠٠ الف خط تليفون من أصل ٩٠٠ الف، تم تدمير ثمانية وعشرين مستشفى مدنية و خمسة وعشرين مركزاً صحيا وتم تدمير ٦٧٦ مدرسة، و ٢٥ مسجداً في بغداد، و ٣٢١ مسجد في جميع أنحاء العراق، تم تدمير سبعة مصانع نسيج واربعة مصانع للكلور، واربعة مصانع لتجميع السيارات، وعدة مصانع لإنتاج مستحضرات التجميل، وتم تدمير إمكانيات تصنيع الأسلحة بالكامل.

ولكن طوني بلير ورغم كُل التقارير التي تثبت أنه لا وجود لأسلحة دمار شامل [1] ولا حتي أسلحة بيضاء بالعراق أراد أن تبقي الذريعة موجودة حتي الاستعداد لهجوم جديد

(١) سي ان ان ، الطريق إلى بغداد ٦ يوليو ٢٠١٦

فقال "إننا لا نعرف ماذا حدث لآلاف من لترات المواد السامة والأنثراكس التي لا حصر لها والتي لم تخضع للفحص حينما غادر المفتشون العراق عام ١٩٩٩" [١]

كيف تعامل الإعلام مع هذه الحقائق والجرائم:

بين براون مسؤول بي بي سي كتب صراحة "صدام هو الذي ادعي أن قرارات الأُمم المتحدة قد اوصلت مواطنيه الي حد الموت جوعًا، وعليه أن يكُف عن نشر هذه الصور لطفل سيء التغذية وأُم يائسة" [٢]

ومثله قال جون داربر مراسل آي.إن.تي قال "الفكرة تتلخص في استهداف عقوبات مهذبة لمساعدة عوام الشعب بينما تمنع في الوقت نفسه زعيم العراق من أن ينحو باللوم علي الغرب بسبب المعاناة التي يكابدونها" [٣]

---

(١) حراس السلطة صـ ٨١

(٢) بي بي سي ٢١ يونية ١٩٩٦

(٣) اي بي ايه ٢٠ فبراير ٢٠٠١

وكتب أحد المُراسلين الأمريكيين مُعلقـًا علي التغطية الاعلامية للشرق الأوسط "يبدوا أن الأمريكيين يُقدمون صورة شاملة لبلاد الشرق الأوسط باستثناء اسرائيل، ففي إسرائيل نجد أكثر المراسلين يعطفون عليها باعتبارها بلداً تُناضل في سبيل وجودها". [1]

بينما كان جون سميسون اكثر تعاطفـًا مع معاناة الشعب العراقي فقال "كانت العقوبات بالفعل قاسية لأنها تسببت في إيذاء الشعب العراقي" [2] هذا كُل ما يُمكن أن يُقال عن قتل مليون مدني علي يد قوات التحالف الأمريكي البريطاني!!

كما لا يجب أن ننسي أن تعامل الدولة مع الإعلاميين المعارضين لسياسات الظلم والقهم دائمـًا تُقابل بالقهر هي الأخرى، وهذا ما حدث مع كُل من تعاطف مع العراقيين من صحفيي بريطانيا وأمريكا، ففي بريطانيا أُجبر على الاستقالة كُلاً

(١) أخبار البيرق الاوسط في الصحافة العالمية صـ١٩
(٢) بي بي سي ١ نوفمبر ٢٠٠٢

من سي آندرو جليجان مراسل الـ بي بي سي، ورئيس مجلس الإدارة جافين دافيز، والمدير العام دايك لأنهم عارضوا الحرب علي العراق. [1]

وفي عام ٢٠٠٤ نشر محرر الديلي ميرور (بيرز مورجان) صوراً توضح معاملة الجنود البريطانيين لسجناء العراق لكن الحكومة البريطانية نفت هذه الصور وقالت أنها مُلفقة وأدانوا المُحرر واتُهم بالخيانة العُظمي! ونشر في حقه مقال بعنوان "مورجان الخائن" وأُعفي من منصفة بعدما هدد المُساهمون الأمريكيون في الديلي ميرور وصرح وقتها محرر شئون الأعمال في الـ بي بي سي جيف راندال "أن هذه المؤسسات لا تضحي بمثل هذه الشخصيات البارزة في الميديا لمجرد التسلية، ولكن لا تغمض عينها عن تصرفاتهم" [2] والأمر كما ذكرنا آنفاً أن الصحافة التجارية ناطقة بلسان الأثرياء الذين

---

(١) حراس السلطة صـ ٣٠

(٢) بي بي سي ١٤ مايو ٢٠٠٤

يمتلكونها، وهذا المحرر وغيره يعملون في مؤسسة صحفية تحمي نظام قائم، ولا يجب أن تخرج التصريحات عن المألوف والمكتوب لهم، لا مجال للتعاطف، قلبُك تحت قدميك.

البريطانيون علموا أنهم خُدعوا، هذا ما ذكرته جريدة الاندبندنت تحت عنوان "نصف البريطانيين يعتقدون أن حرب العراق دمرت سمعة بلادهم" وقال "أن عامة البريطانيين اقتنعوا لفترة في بداية الحرب بأن التدخل العسكري في العراق ضروري لكن بحلول عام ٢٠٠٧ أصبح نحو ٨٣ بالمئة من البريطانيين يعتقدون أنهم خدعوا وانه قد تم استبدال كارثة بأخرى . [١] عام ٢٠٠٥ أي بعد الحرب بعامين قال بيل كلينتون "حرب العراق خطأ كبير!" [٢] وكذلك قال بلير "اجتياح العراق كارثة " [٣] هكذا بمنتهي السهولة وبعد مقتل وتشريد ملايين العراقيين! لا مشكلة إنهم مسلمون.

---

(١) بي بي سي ١٧ مارس ٢٠١٣

(٢) بي بي سي ١٨ نوفمبر ٢٠٠٥

(٣) بي بي سي ١٨ نوفمبر ٢٠٠٦

الإعلام الصهيوني وفلسطين:

الإعلام الصهيوني بلا شك اكثر الجهات الإعلامية في العالم تماسكًا وارتباطًا مع سياسة دولته، فالتقارير تأتي بشكل مباشر من الأجهزة الأمنية، وهذا ما أكده ماكسيم غيلان [1] أن هُناك قسمًا لاستخبارات التضليل الإعلامي في مكتب رئيس وزراء دولة اسرائيل يسيطر علي كافة الأقسام الإعلامية [2] وميثاق الشرف الإعلامي الصهيوني كُتب في القانون ووافق عليه الكنيست عام ١٩٦٥ **وهو كالتالي**:

* بث البرامج التعليمية والتسلية في المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والفنية والعلمية بحيث **تهدف إلي**:

١- إبراز طابع الكيان اليهودي ونضاله وإبداعه وانجازاته.

٢- تنمية الصلة بالتقاليد اليهودية وتعميق معرفتها.

٣- ابراز نمط حياة وثقافة الجماعات اليهودية في العالم.

---

(١) ماكسم غيلان: رئيس يحرر مجله الدراسات الإسرائيلية و الفلسطينية الاسيراتيجية المعاصرة

(٢) باسل يوسف النيرب ، الإعلام الإسرائيلي ذراع الجلاد صـ ١٨

* بث برامج باللغة العربية لخدمة الجمهور المتحدث باللغة العربية.

* بث برامج موجهه ليهود الشتات وبرامج خارج حدود الدولة.

[1]

وكل هذه الأهداف السابقة تعمل في اتساق تام مع أهداف الدولة الأساسية ولا يُسمح بحال من الأحوال الحيدة عن الهدف الأكبر وهو (الكيان الصهيوني) فكل هذه الكيانات الإعلامية ما هي إلا خُدام للكيان الأكبر الكيان الصهيوني.

جوجل يخدم الصهاينة:

حتي محرك البحث الشهير (جوجل) تواطأ مع الصهاينة لإخفاء دمويتهم، فحينما كُنت تبحث عن كلمة إسرائيل على محرك البحث جوجل منذ ثلاث سنوات كانت تظهر صور دموية لاعتدائهم علي الأطفال والنساء والشيوخ، وتظهر صور للمناطق المُدمرة في غزة وصور اعتداءهم على

(١) عدبان أبو عامر – الاعلام الاسرائيلي السلاح الامضى في المعركة ص١٠

المقدسات، جرب هذا الآن بعدما أرسلت القنصلية الإسرائيلية في نيويورك سبعة من الخبراء في الشأن الإعلامي في الولايات المتحدة من بينهم "ديفد شاينكبون" وهو محرر في "ويكيبيديا" من أجل تصوير أشرطة فيديو والتقاط صور لإسرائيل وتثبت هذه الصور في مواقع الكترونيه يُقبل عليها عدد كبير من الأشخاص في مختلف أنحاء العالم فتظهر في مقدمة محرك البحث بديلاً عن الصور الدموية!

جوجل كغيرها من المواقع الربحية المسيسة التي تعمل لأهداف محددة، وما جمع البيانات الضخمة التي تنتهجها شركة جوجل إلا جزء من أهدافها وسيأتي يوم تستخدم فيه كُل تلك البيانات بشكل اوسع، فجوجل باتت ترسم نمط حياة كثير من الشعوب وترسم ملامح السياسة وتقرر اتجاه مسيرة الاقتصاد، والتحذير الذي وجهه جارون لانير واضح كُل الوضوح «أنك لست زبون شركات الإنترنت العملاقة، إنك

مُنتج من منتجاتها»[1] بل وصف فرانك شيرماخر[2] أن من يبحث في الشبكة العنكبوتية يتحول شاء أم أبي إلي مورد للبيانات والمعلومات وأن هذه العملية هي قاعدة الذهب الجديدة في الاقتصاد العالمي![3] وما ذكرته معناه أن جوجل شركة صاحبة مصلحة، ومصلحة جوجل كشركة تهتم بإرضاء رؤوس الأموال الكُبري فبلا شك لن تكون ضد سياسات دولاً بعينها كما ذكرنا.

كذلك موقع "ويكيبيديا" والبحث عن كلمة "إسرائيل" لتجد الحديث عن دولة متقدمة لها سيادة وقانون وأرض، فستجد مقدمة التعريف بالدولة الصهيونية "هي دولة ظهرت حديثًا على أراضي فلسطين التاريخية بعد عام ١٩٤٨م" ثم عرض لمزايا الدولة ومجموعة من الصور التي تبرز الجانب الحضاري لدولة إسرائيل، فتجد صورة للعلم، ثم صورة

(١) ملف جوجل صـ ١٣

(٢) فرانك شيرماخر هو أحد بايبري صحيفة Frankfurter Allgemeine

(٣) المصدر السابق صـ ١٤

للكنيست، ثم صورة عن الدبابة ميركافا، ثم صورة زراعة القمح في بحيرة الحولة شمال إسرائيل، و مبنى كلية علوم الحاسوب – معهد إسرائيل التقني، و مبنى صحن الكتاب في متحف إسرائيل، و ملعب رامات غان، أكبر ستاد في إسرائيل، وصورة لقطار بطابقين، وأخيرا صورة رائعة لمدينة حيفا.

كُل هذه الصور تُظهر دولة إسرائيل الحضارية المتقدمة، لكن لا ذكر لانتهاكات إسرائيل ولا دمويتها، حتي حينما تكلموا عن شرعية الدولة العبرية صاغوها في جملة "التشكيك العربي في شرعية إسرائيل" ثم قالوا "وترفض نسبة كبيرة من الشعوب العربية هذه الدعاوي وترى من وجهة نظرها إسرائيل كدولة محتله لا شرعية لها" فاعتبروها مجرد وجهة نظر، هذه هي صياغة الجُمل بطريقة شيطانية تبرز المعني الذي يريدون تثبيته في عقول المتلقي العربي المسلم وكذلك غير المسلم وكذلك غير العربي، حرب تحرير مصطلحات تدعم وجهة نظرهم وتوجهاتهم.

أخيراً ما يجب التنبه له الفارق الكبير بين استخدام مسمي القدس الشرقية والقدس الغربية في الإعلام العربي في الوقت الذي لا تستخدم وسائل الاعلام الصهيوني إلا مصطلح القدس الموحدة كعاصمة لدولة إسرائيل [1] فهم يعلمون جيداً تأثير المُسميات علي عقول الناس ويريدون ربط مواطني إسرائيل بفكرة واحدة ويجمعون لهذه الفكرة كُل الوسائل والسبل حتي المصطلحات لهم فيها توجه واضح في الوقت الذي تتفرق فيه دولاً إسلامية وعربية بسبب الجنسيات والحدود، بل ويتفاخر بعض السُذج بتلك النسبة فهذا يقول أنا مصري وأفتخر، والآخر يقول أنا سعودي وأفتخر، وغيره يفتخر أنه من حزب كذا، وآخر فخره أنه ينتمي إلي جماعة كذا ، ونسي كُل هؤلاء أن الفخر كُل الفخر لنا جميعـًا هو بإسلامنا، ولا شرف بعد ذلك، بل ويفرح أعداء الإسلام بهذه الفرقة ويتفاءلون كُلما زادت الفرقة واتسع الخلاف، بل ولهم دور كبير في

(١) الإعلام الإسرائيلي ذراع الجلاد صـ٢٨

استمرار هذه الفرقة وأن لا يجتمع المسلمون علي قلب رجل واحد وسيأتي تفصيل ذلك، فمتي نعود بكُليتنا إلي ما قاله سلمان الفارسي حين افتخر بانتمائه للإسلام فقال:

أبـــي الإســـلام لا أب لـــي ســـواه إذا افتخـــروا بقـــيسٍ أو تمـــيمِ

واستحق بذلك سلمان الفارسي رضي الله عنه ثناء الشاعر القائل:

لعمـــرك مـــا الإنســـان إلا بدينـــه فلا تترك التقوى اتكالاً على النسب

فقـد رفـع الاسـلامُ سـلمانَ فـارسِ وَقَدْ وَضَعَ الشِّرْكُ الشَّرِيْفَ أَبَا لَهَبْ

الإعلام الإسرائيلي مُسيس، مُوجه، مُحرض:

حينما تشتعل الحرب في بلد من البلدان يجب على الإعلام المحايد نقل صورة حقيقية عن أعداد القتلى من الجانبين، كذلك نقل صورة عن الوضع العام للحرب من حيث الخسائر في المعدات وغيرها وهذا مالا يفعله الإعلام الإسرائيلي، بل ينقل صوراً تخدم قضيتهم حسب رؤية الساسة الصهاينة.

بـل سـاهمت وسـائل الإعـلام الإسـرائيلية علـي صـنع أجواء الحرب وتعبئة الرأي العام بالمقارنة مع أجواء حرب ٤٨، الامر الذي ساهم بإدخال المواطنين على مختلف انتماءاتهم في دوامـة مـن الخـوف والفـزع [١] كـان الإعـلام مسـانداً للجـيش في دعـوات واضـحة وفاضـحة لقتـل العـرب المسـلمين في فلسـطين حتي نشرت الصحف تقريراً بعنوان "عزيزي الجندي أقتل مزيداً من العرب" [٢] وليست هذه الدعوي جديدة علي اليهود، بل هـي سُنة سبقهم إليها جولدا مائير في تصريح لها قـديم " ادفـع دولاراً تقتل عربيـاً".

لكن هذه الأساليب ليست غريبـة علـي دولـة كإسـرائيل، فإسـرائيل هـو العـدو الوحيـد الظـاهر عداوتـه، لكـن العجيـب أن يكون الإعلام العربي والغربي يتبع نفس الأساليب.

أساليب التضليل الإعلامي:

(١) مجله قضايا اسرائيلية - العدد ٤ صـ ١٢٣

(٢) يديعوت احرونوت ٢٠٠٢/٥/٧

اعتمد الاعلام علي نظريات، وهي كما ذكرنا أساليب وخطط متكررة في كل زمان، ولكن هناك من يطور فكرته ويُحدث أساليبها ومنهم من لا يمتلك هذه الملكة، ومن هذه الأساليب التي ساعدت الإعلام:

١- نظرية التضخيم: وهو يقوم علي فكرة اكتشاف الحادث الصغير وتضخيمه والتهويل منه، وإيجاد نوع من الجدل حوله [1]، وإذا بك أمام حدث كبير ضخم هائل يعطيك صورة مدهشة عن قدرات خارقة! ومثال ذلك ما فعله الإعلام الصهيوني بعد مقتل الشيخ أحمد ياسين فقبل اغتياله اعدت العدة للتهويل من قوة الرجل وأنه خطر علي أمن وسلامة اسرائيل فصدرت الصحف تحمل عناوين مثل "دولة تحت الإرهاب" "الإرهاب الحمساوي" ونشر عدداً من القصص عن التفجيرات والعمليات الاستشهادية وأماكنها وتواريخها ومعلومات عنها

(١) وليس بعيد عنا جهاز الكِفتة الذي اكتشفه الدكتور عبد العاطي وهاج الإعلام ونصروه نصرًا مؤزرًا ثم اكتشفنا أنه لا وجود له أصلاً .

مع نشر عدداً من الصور لنساء وأطفال يهوديات يبكون خوفًا وذعراً من الإرهاب الفلسطيني!! وبهذه الطريقة تكون الصورة قد اكتملت في عقل الشعب اليهودي عن ضرورة اغتيال احمد ياسين ويكون هُناك تأييد شعبي لاغتياله، وبعدها بأيام تقوم المخابرات بعملية الاغتيال مع نشر الاعلام تقارير تُشير إلي صعوبة المهمة وأن تضافر الجهود ودقة المعلومات وحصافة العقول المُدبرة وقوة الجيش الإسرائيلي ساهمت في اغتيال الشيخ المُقعد أحمد ياسين!!!!!

علي نفس النهج كانت تسير أمريكا في حقبة الرئيس بوش الابن في خطته لتصفية صدام حسين واحتلال العراق، وكذلك كانت خطة أوباما في تصفية الشيخ أسامة بن لادن في أفغانستان ، وقد ذكرنا طرفًا من ذلك .

٢- نظرية الاغراق الإعلامي والتكرار: تقوم هذه النظرية علي فكرة ترديد ما يريدون نشره في جميع الأجهزة والوسائل الاعلامية في وقت واحد بشكل يجعل المتلقي غارق في الحجج

والأسانيد التي ربما لا علاقة تربط بينها ومعظمها يكون كذباً وكأن العالم الحقيقي هو فقط العالم الذي تضعه هذه الدعاية، وقد رأينا ذلك في إعلامنا المصري، فكم من مرة رأينا تشابهاً عجيباً بين كلام الإعلاميين وتكرار نفس الألفاظ في نفس التوقيت، فلفظة مؤامرة في يوم واحد تكررت في جميع القنوات الفضائية، وكذلك جملة (نحن في حالة حرب) أخذت نفس الشكل التكراري الملحوظ، وهكذا تتأكد نظرية الإغراق الإعلامي للتأكيد علي معلومة يُراد لها أن تُصدق.

قال نابليون «لا يوجد إلا شكل واحد جاد من أشكال البلاغة وهو التكرار، فالشيء المؤكد يتوصل عن طريق التكرار إلي الرسوخ في النفوس إلي درجة أنه يُقبل كحقيقة برهانية» [1]

بل قامت الثورة المصرية بُناءاً علي هذه النظرية، فكم كُنا نسمع أن الثورة قد اندلعت قبل اندلاعها بشكل ملحوظ حتي ظن الثوريون أن الثورة قامت وقعدت ونامت واستيقظت

(١) سيكولوجية الجماهير صـ ١٣٣

وحققت أهدافها وكانت لازالت في مهدها، بل أقول وقد أعدت العدة لسحقها، لكن هكذا هُيئت الأمور لهم وتقبلتها عقولهم، وكذلك بعد عزل مرسي والحديث عن الفوضي وتكرار أن مصر دخلت في نفق مظلم، كُل هذا من أجل ترسيخ صورة واحدة في عقول الناس لإعادة تشكيل وعيهم وسيأتي مزيد تفصيل.

٣- نظرية اتهام المقتول يرفع الاتهام عن القاتل: وهذه النظرية علمها إبليس لفرعون مصر، وهو اول من عمل بها واستخدمها مع موسي عليه السلام، فرعون الذي قال لقومه أنا ربكم الأعلى يقول (وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ) فألقي تهمة الفساد والإفساد في الأرض علي موسي النبي ليرفعها عن نفسه، مع أنه أساس الفساد والإفساد، بل صار فرعون رمزاً للفساد والظلم والتكبر إلي يومنا هذا.

نفـس النظريـة يسـتخدمها الإعـلام الاسـرائيلي مـع قتلـي فلسطين، حتي من يُقتلون من الأطفال والنساء تتجاهلهم أبـواق الإعـلام وتُصـدِر فقـط مـن تصـفهم بحـاملي "القنابـل والأحزمـة الناسفة أو وفق قاعـدة "مـن يريـد قتلـك فاقتلـه" ولأن القيـاديين الفلسـطينيين الـذين قتلـوا في عمليـات الاغتيـال مسـؤولون عـن مقتل عشرات الاسرائيليين ويخططون لعمليات أخري ستنفذ في المسـتقبل، لـذلك قـتلهم أمـر مشـروع وحكـيم [1] ولـديهم مـن التبرير الكثير، فضرب سيارات الإسعاف لأنها قد تحمل أسـلحة وذخـائر، وقتـل الأطفـال لأن الطفـل هـو إرهـابي المسـتقبل! [2] وهكذا .

وليس ببعيد عن هذه النظرية مـا فعلـه الإعـلام المصـري مـع التيـار الإسـلامي في عهـد الـرئيس محمـد حسـني مبـارك، ففـي الوقت الذي قُتل في الشاب السلفي سيد بلال علـي أيـدي الأمـن

(١) الاعلام الاسرائيلى السلاح الامضى فى المعركة صـ ٣٧
(٢) الإعلام الإسرائيلى ذراع الجلاّد صـ ١٩

المصري كان الحديث في الإعلام عن إرهاب السلفيين وأن سيد بلال كان أحد المتهمين في تفجير كنيسه القديسين، ثم لم يذكر الإعلام أي شيء يخص قضيته حتي الإفراج عن قاتليه! «وقد أخلت المحكمة سبيل الرائد عبد الرحمن الشيمى أحد ضباط جهاز امن الدولة "المنحل" بعد قبول الطعن على الحكم الصادر ضده بالسجن المشدد لمدة ١٥ عام و١٠ الاف جنية تعويض، بعد اتهامه بالاشتراك مع اخرين بقتل الشاب السلفى السيد بلال والقبض عليه بدون وجه حق وتعذيب زملائه على خلفية التحقيقات معهم فى أحداث تفجيرات كنسية القديسين، بضمان محل اقامته» [1] !!!! بل لم يذكر الإعلام المصري أن مقتل سيد بلال كان أحد أيقونات الثورة، وإنما كانت الدندنة علي مقتل خالد سعيد دون بلال، والسر في ذلك أن إلقاء الضوء علي أي مظلومية للسلفيين ستعطيهم شكل مختلف في المجتمع

(١) اليوم السابع ٢٨ مايو ٢٠١٥

بعد ذلك علي عكس ما يريده الإعلام المصري وهذا مرفوض في الديمقراطية!

٤- نظرية العصفورة! ليست مُزحه ولكنها حقيقية، لفت الأنظار عن قضية وتوجيهم إلي قضية أخري لا قيمة لها، حتي في السينما المصرية تم تصوير مشهد في فيلم لضابط مصري في منصب كبير يقول لضابط أصغر منه (قولوا للإعلام إن القاتل هرب)! وذلك لتنشغل الناس بقضية القاتل الهارب عن قضايا أهم بكثير، ومع أن المصريين شاهدوا هذا الفيلم ويحفظونه عن ظهر قلب لكن العصفورة لا زالت تشغلهم عن قضاياهم.

٥- تغيير المسميات: تبني الاعلام العالمي فكرة تغيير المسميات من اجل تمييع القضايا وتضييع ماهية هذه المسميات، فنجد أنهم يطلقون على شراء الأراضي من الفلسطينيين "تخليصاً" بدلاً من تهجير مثلاً، وكذلك تم تحذير الكُتاب في الصحف من تسمية الفلسطينيين "شعباً" بل

يسمونهم الفلسطينيين فقط بدون كلمة "شعب"[1] **وكذلك بعض المصطلحات مثل:**

- **الفدائيين** يستخدم مكانها **المخربين والإرهابيين.**
- **المستوطنين** يستخدم مكانها **السكان.**
- **المستوطنات** يستخدم مكانها **البلدان والأحياء.**
- **التوغل والاقتحام** يستخدم مكانها **العمليات الوقائية.**
- **تصفية** يستخدم مكانها **قتل.**
- **ضحايا** يستخدم مكانها **قتلي.**
- **تجريف الأراضي الزراعية** يستخدم **مكانها أعمال هندسية ذات طابع أمني.**
- **تصفية الفلسطينيين** يستخدم مكانها **عمليات احباط موضعية.**

[2]

---

(1) مجله قضايا اسرائيلية - العدد ٤ صـ ١٢٣ ، الإعلام الإسرائيلي ذراع الجلاد صـ ٢٧

(2) يديعوت احرونوت ٢٠٠١/٧/٩ ، الإعلام الإسرائيلي السلاح الإمصبق في المعركة صـ ٢٧

وأيضـاً يستخدمها إعلامنا العربي والمصري حينمـا يُطلقـون علي الشيوخ والعلماء (وهابيين) ، بل زاد الأمر حُمقـاً فسـموهم (داعشيون)!! وكمـا يُطلـق علـي الملتـزمين دينيـاً (متعصـبين – رجعيـين – متخلفـين) وغيرهـا مـن الأسـماء المُنفـرة بغـرض التشـويش علـي عقـول النـاس وخلـط الغـث بالسـمين والصـدق بالكذب فتميع القضـايا ويضـيع الحـق، وكـذلك تسـمية الـداعرة التـي تـاجرت بجسـدها فنانـة ومُبدعـة، وعلـي مجموعـة مـن المغنيـين الفاشـلين فرقـة موسـيقية، وكمـا أطلقـوا علـي بعـض أنصاف المثقفين (باحث سياسي ومُحلل استراتيجي)؟

<u>٦- تعـدد الروايـات تضـيع الحقيقـة:</u> نشـر روايـات مختلفـة ومتناقضة لحادث واحـد يضـع المتلقـي في حيـرة وبـين عشـرات علامات الاستفهام حول أي من هـذه الروايـات أصـح، بـل ربمـا تكون الحقيقة غير هذه العشرات من الروايات، لكن الهدف مـن هذا هو تضييع الحق وسط هذا الركام من الباطل، كمثـال لـذلك مـا فعلتـه الصـحف حـول مقتـل بعـض الفلسـطينيين علـي أيـدي

الجنود الاسرائيليين من خلال تلفيق أكاذيب متعددة ومتناقضة حول ظروف مقتلهم، ومن هذه التصريحات ما قاله شيمون بيريز أن بعضاً من التليفزيونات العربية تبث صوراً لأشخاص أصيبوا في حوادث طرق وتعرضهم كأنهم أصيبوا بجراح خلال اشتباكات مع قوات الأمن الإسرائيلية!!

وكما حدث ذلك في قصة مقتل الطفل محمد الدرة، حيث ذكرت وسائل الاعلام الصهيوني أنه:

- قتل برصاص الفلسطينيين ثم قيل أنه سقط في تقاطع نيران.

- أن الطفل محمد الدرة كان مشاغباً مؤذياً جلب الموت لنفسه!

- أما الرواية الثالثة فهي سؤال طُرح وهو "وماذا كان يفعل محمد الدُرة هُناك"! [1]

٧- **تغييب الروايات الأخرى:** ربما تكون الروايات الأخرى صحيحة أو أقرب إلي الصواب لكن تغييبها يساعد في تغيير

---

(١) الاعلام الاسرائيلي الامبتي في المعركة صـ ٣٦

المواقف، وهذا ما يفعله الإعلام ومثال ذلك ما فعله الإعلام الإسرائيلي من:

* عدم احضار متحدثين فلسطينيين في البرامج الحوارية وإنما يهود يتحدثون مع بعضهم البعض.

* عدم نقل معاناة الشعب الفلسطيني في القري والمدن، ففي الوقت الذي كان فيه أكثر من ثلاثة ملايين انسان يعانون الحصار والفقر والجوع، وهُناك قري معزولة تماماً عن العالم لم يتطرق الاعلام الإسرائيلي لصورة من تلك الصور.

* التلاعب بالمصطلحات لإيهام المستمع أو القارئ أن تلك التصريحات إن صدرت هي مجرد ادعاءات، ومن ذلك استخدام لفظة "يدعي" بدلاً من لفظة "صرح "فيقولون" ادعي مصدر مسؤول أو يدعي الفلسطينيون"!! [1] في الوقت نفسه يُمنع استخدام هذه الألفاظ إن كان التصريح صادر من جهة رسمية في اسرائيل، فيمنع استخدام لفظ "على حد قوله" لأنه

(1) الاعلام الاسرائيلي الامصبق في المعركة صـ ٤١

يوحي أنك تُشكك في أقوال الناطق لكن لا مانع استخدامها إن كان المصدر فلسطينياً، كذلك إن اعترض عضو بالكنيست علي أحدي قرارات الحكومة لا يستخدم الإعلام كلمة "دحض أو نفي" وإنما تستخدم كلمة "اعرب عن اعتراضه!" لأن كلمة دحض تظهر رئيس الحكومة أنه كاذب، وهكذا. [1] وكذلك تفعل قناة الجزيرة القطرية حينما تذكر أخباراً عن مقتل جنود كحادث الواحات مثلاً فتقول الجزيرة "مقتل ٥٠ ما بين جندي وضابط في مواجهات بين عناصر من الداخلية مع من **أسمتهم الحكومة المصرية بالإرهابيين** " فلاحظ هُنا استخدام لفظ ما مع أسمتهم الحكومة إرهابيين، وذلك لأن قناة الجزيرة لا تُسميهم إرهابيين ولا تعتبرهم إرهابيين أو أنها تُكذب رواية النظام الحاكم أو أن عندها معلومات تقول أن الجنود والضُباط قُتلوا من تلقاء أنفسهم فكيف تكذب الدولة وتقول أنهم قُتلوا في مواجهات مع الإرهابين؟!

---

(١) الاعلام الاسرائيلي الامعبق في المعركة صـ ٢٨

* ومثال آخر لذلك هو اختيار مُتحدث ضعيف للدفاع عن جبهة قوية، وهو ما يحدث في الاعلام المصري، فحين الحديث عن السلفية وقضاياها فإن الاختيار غالبًا يكون لمتحدث شاب قليل الخبرة، ولعل الإعلام المصري يتعلل بأن المشايخ يرفضون الظهور ولذلك يلجئون للشباب والدُعاة، وهذا صحيح إلي حد ما لكنه يُشكل خطراً عظيمًا إذ أن المُتحدث إن لم يكن بحجم القضية التي يُدافع عنه أضاع نفسه وأضعف قضيته.

٩- استطلاعات الرأي: من أساليب التضليل أيضًا استطلاعات الرأي التي لا يعلم أحد صحتها، كأن يقول أن معظم الأمريكيين يؤيدون كذا وهذا ما أثبتته مؤسسة كذا للبحوث والدراسات، فيُخدع الناس بذلك ولا يسأل أحد عن صحة المعلومة، ومثال ذلك استطلاع نشرته الواشنطن بوست خلُص إلي أن دونالد ترامب هو الأقل شعبية في الولايات المُتحدة الأمريكية مقارنة بالمرشحين الانتخابيين، وعلق ترامب علي هذه الاستطلاعات

بأنهـا كاذبـة، وأثبتـت الانتخابـات كـذبها وفـاز ترامـب بحكـم الولايات المتحدة الأمريكية.

١٠- اختيار أسوأ الشخصيات: هذا باب عظيم جداً من أبـواب التدليس علي الناس، اختيـار أسـوأ الشخصيات التـي تُمثل هـذا التيار أو ذلك الاتجاه، فمثلاً في بعض البرامج يختـارون متحـدثـًا للنقاش حول موضوع ختان الإناث مثلا، وقـد يكـون المُتحـدث من الدارسين للأمر الفاهمين لحقيقتـه، لكنـه أسـوأ مـن يتحـدث فيه، فمن يقول أن الشيخ محمود شـعبان لـيس خطيبـًا مفوهـًا؟ الرجل فعلاً خطيب قوي، لكنه لما ظهر علي القنوات الإعلامية كان غضوبـًا سهل استفزازه حتـي أخرجـوه للنـاس في إطـار بعيـد عن شخصيته، واستغلوا ذلك لإلصـاق تهمـة الرجعيـة والعصـبية وعدم احترام الآخر لكل الاسلاميين مع ان الجمهـور لـم يـر إلا واحداً، لكن هكذا تُدار الأمور.

الشـيء الآخـر الهـام أنهـم يسـتقطبون خاصـة في قنواتنـا الإعلامية بعض من يبحـث عـن الشـهرة مـن التيـارات المختلفـة

ويصدروهم للإعلام لمناقشة موضوعات مختلفة، ثم بعد ذلك يزهَدُون فيهم تماماً والسر في ذلك أنهم أرادوه لهدف محدد، وستظل قنواتهم مفتوحة له طالما يُحقق هدفهم، ولمجرد الشعور أنه لم يعد يؤدي بالشكل المطلوب يزهدون فيه ويبحثون عن غيره، وتدور الدائرة، والأمثلة علي ذلك أكثر من أن تُحصي ومنها تصدير بعض المغمورين الغير معروفين بالعلم في بعض برامج التوك شو، ولا شك أنهم مع قلة علمهم وحبهم للظهور يكونوا فريسة سهلة للمحاور وطاقم إعداده.

١١- نظرية المشهد: في أحد الأفلام الشهيرة كان البطل والبطلة ضمن رُكاب السفينة الكبيرة (تايتانيك) وفى مشهد مهيب وهو مشهد غرق السفينة كانت قلوب المشاهدين ترتجف ودموعهم تنهمر فقط من أجل البطل والبطلة! لم يهتم الكثير من المشاهدين بآلاف الناس الذين سقطوا في ظلمة المُحيط ، أطفال تصرخ، عجائز ونساء يموتون، لكن قلوب وعقول وعيون المشاهدين مسلطة على بطلي الفيلم فقط دون غيرهم،

هكـذا يُمكـن أن يُصـنع الـرأي العـام مـن خـلال مشـهد وتتجـه العقـول إلـي شـيء واحـد يكـون غالبـاً هـو المقصـود مـن كامـل المشـهد ومـا حـدث في فـض اعتصـام رابعـة كـان مثـالاً غايـة في الوضـوح لـذلك الأمـر، فـالإخوان يركـزون علـي مشـهد القتلـى وتمجيدهم والإعلام يركز علي مشهد حمل بعـض المعتصـمين للسلاح واتهـامهم بالإرهـاب، وهكـذا ضـاعت الحقيقـة الكاملـة بين مشهدين عبثيين لـم يحمل أحد هم إظهار الحق بقدر مـا كـان همه اثبات أنـه علـي الحـق الـذي لا حـق غيـره، ودفـع ثمـن هـذه المهزلة شباب قد يكون لا علاقة له بالأمر برمته!.

<u>١٢- نظريـة الشـعارات:</u> مفادهـا أن العـبرة ليسـت بقـوة الفكـرة، وذلك لأن الفكرة القوية تتلقاها الصفوة ولكنها تسقط لدي عامة الناس، لذلك ننتقـي في الدعايـة العبـارات الغامضـة لكنهـا تُلهـب الخيال، ومثال ذلك شعار حزب الوفد (الحق فوق القوة والأُمـة فـوق الحُكومـة) وكـذلك شـعار حـزب الحريـة والعدالـة التـابع للإخوان (نحمل الخير لمصر) وبعد تولي مرسي الحُكم (رئيس

لكل المصريين) بغض النظر عن صدق الشعار من كذبه المُهم أنه رنان![1]

وهو من أهم السبل لتضليل الوعي «تحطيم المرجعية الدينية»:

حُق لنا أن نُفرد لهذه النقطة فصل لأهميته وخطورته، فمن سبل إبليس وذريته تحطيم المرجعية الدينية للإنسان وخاصة المسلم قبل بث أفكاره المسمومة وذلك لأنه إذا بدأ بنشر أفكاره الهدامة المُنحرفة سيلجأ الإنسان المؤمن إلي العالم الذي هو مرجعيته الدينية في النوازل، فإن أفتاه العالمُ بخلاف مذهب إبليس فقد ضاع سعيُ إبليس وذريته وعاد خاسراً، لذلك يجب تحطيم هذه المرجعية الدينية، ويظَلْ الطرقُ علي هذا الوتر حتي يتشرب الإنسان بغض العلماء ويفقد الاحترام لهم بل ورميهم بالنقائص والعيوب بعدها، حين يحدث ذلك يجلس إبليسُ وذريتُه يشربون نخب انتصارهم بعدما أشعلوا نارهم

(١) المصداقية في الإعلام العربي صـ ٢٥

الموقـدة ويقـول إبلـيس لهـم «أحسـنتم، لقـد وقـع الكلـب في المصيدة!».

<u>**كيف يحدث هذا؟**</u> لم ير عالمنـا الإسـلامي فـترة انـتُقص فيها من قدر العلماء كالتي لحقت فترة الثورات الملونة في بلادنـا العربيــة، لعــل مــن أســباب ذلــك مشــاركة بعــض العلمــاء في الأحداث، لكن ما حصل من تشويه كان شنيعـًا.

انقسـم العُلمـاء بـين مؤيـد للثـورات ورافـض لهـا، وهُنـا كانت الفرصة الكبيرة لتحطيم الصورة النمطية للعلماء في قلـوب النـاس، فوُصـف العـالمُ الـذي أيـد الثـورة بأنـه (ركـب الموجـة) وباحث عن مصلحة، والعالم الغير مؤيـد للثـورات الـرافض لهـا وُصـف أنـه مـن علمـاء السـلاطين وداعـم للطواغيـت، فيقـف الإنسان المسكين حـائراً لا يـدري أيـن الحـق بـين زخـم الباطـل، ولأن كثيـر مـن النـاس لـم يـتعلم فقـه الخـلاف ولا يسـتوعب أن العلماء قد يختلفون في المسألة الواحدة اختلافـًا كبيراً فضلاً عـن النوازل التي تُحير العقول والألباب خصوصـًا إن كانت علي غير

مثال سابق فيظن الإنسان المؤيد للثورات أن من خالفها ورفضها مؤيد للطغاة وحامي لعروش الحُكام والسلاطين، ويظن من يرفضها أن من أيدها خارجي تكفيري يدعوا إلي الخروج علي الحُكام، ومن هُنا كان الخطر العظيم، وذلك لأن كثير ممن أيدها لم يخطر ببالة مسألة الخروج علي الحاكم وتأصيلها الشرعي بقدر ما اختطفت فكرة أن ثم فرصة لتغييره والإتيان بأفضل منه كانت هي المُسيطرة علي عقله ولُبه، وكُل من أيد من العُلماء تراجع بعدها بعدما تبين له الحق فيها، أما من عارض الثورة من العُلماء فقد استشعر الخطر وهذا من فضل الله علي بعض العُلماء أن أيقظ نور بصيرته، فقد تراءت لهم صورة ما بعد مشهد العزل أو الخلع أو الخروج .. سمها ما شئت، قد أفزعه ما بعد ذلك من فوضي توقع أنها ستكون وكانت فبان له صدق رؤيته وحمد الله أنه لم يُشارك، وبان لنا خطأ من شارك ولا نُبدعهم طالما رجعوا.

لكـن لـيس هـذا فحسـب مـا انتهجتـه الأبـاليس وآلاتهـم الإعلامية في تحطيم العلماء، وإنما سلكوا مسلكـًا آخر بعيد كُـل البعـد عـن الأخـلاق والمـروءة، وهـو مسـلك الطعـن في ديانـة العلماء وأخلاقهم ولا أدري كيف استحلوا ذلك.

الخطة النمطية التي ينتهجها الإعلام المصري والعربـي لإسـقاط العلمـاء هـي الدندنـة المسـتمرة علـي وتـر الرجعيـة والتخلـف الـذي يتمسـك بـه أربـاب الفكـر العلمـاني أو الليبرالـي المنحرف؟ وأن هذه الأفكار معارضة للتقديمة التي يسعي إليهـا العلمـانيون والليبراليـون، وفي كُـل ظهـور للمناهضـين للحركـة الإسـلامية علـي القنـوات الفضـائية تكـون الـدعوة وموضـوع الحوار حول ثابت من ثوابـت الإسـلام التـي لا يُمكـن التفـاوض حولها أو التخلي عنها من قبل الإسـلاميين، وهـم يعلمـون تمـام اليقين ذلـك، لكـن لا ييـأس دعـاة العلمانيـة الوقحـة مـن إضـلال المسـلمين والتـدليس علـيهم حتـي يجـروا الضـعفاء مـنهم

لمستنقعهم القذر، ولا يُرحم من هذه الحملات أحد ولا يحترمون أحد.

يعتمد هؤلاء في كُل حُججهم علي فكرة واحدة وهي أن ما عليه الإسلاميين من التمسك بدينهم وثوابتهم هو دربٌ من الرجعية والتخلف، وأن هذا التمسك والالتزام الديني هو سبب تأخر الدولة اقتصادياً وفكرياً وعلمياً، وهو سبب تأخر الدولة عن اللحاق بركب التقدم! ولا يعرف أحد منا ولا منهم ما علاقة بناء ناطحات السحاب بخلع النقاب والحجاب! وما علاقة إطلاق اللحي من عدمها بإطلاق الأقمار الصناعية وتصنيعها! ولا كيف أثرت الدعوة إلي التوحيد والسُنة علي توحيد جهود أهل العلم المخترعين لبناء مفاعل نووي أو ابتكار دبابة تسير علي البر في الرمال وتغوص في البحر وتطير في الهواء! ، بل يُردد أصحاب المناهج الإسلامية دائماً أنه لا فلاح لأمتنا إلا بتوحيد الله وتوحيد الكلمة والصف والأخذ بالأسباب الدينية و الدنيوية، والأسباب الدنيوية هي كُل ما يتعلق بالتقدم ومواكبة

العصر، فاصنع طائرات، وطور أسلحة نووية، واخترع غواصات بحرية، إفعل كل شيء ولا تتحجج بلحيتي، تقدم وتطور وشارك في ميادين العلم ودعك من نقابي.

لا يشُكُ عاقل أن إلهاء الناس هو دور مرسوم بعناية ودهاء لتحويل الاهتمام والرأي العام إلي قضايا فرعية لا تنفع أحد ولا تأتي بخير أصلاً ، فما الفائدة من خلع الفتيات حجابهن؟! وما العائد المادي الذي سيحصل عليه المواطن المتوسط من حلق الشباب اللحي؟! وما التطور العلمي والتعليمي الذي سيكون من منع المنتقبات من دخول الجامعة، وما الفائدة المرجوة من مناقشة قضية الختان مرة بعد مرة مع كُل ما أصَّله العلماء في القضية وحسمها برأي الطبيب المُختص، بل والإصرار علي الصاقها بالشيوخ دون ذكر كُل ما قالوا، وإنما يقصرون الرأي علي أن أصحاب اللحي يريدون للبنات أن يختتن وفقط! وهذا إجرام في حق المعني الذي أراده العلماء.

الحاصل هو أن الدور المرسوم لهم لا يتم إلا بمُناكشة الإسلاميين والتعرض لثوابتهم ومعتقداتهم وعرضها علي الرأي العام علي أساس أنها سبب التأخر والتخلف وأنها قضايا مصيرية يجب حسمها قبل البحث عن رغيف العيش ومكان العَيِش وهذا غير صحيح ولا يقول به أحد!

يلي هذه النقطة مباشرة الطعن في العلماء والمشايخ وأنهم هُم الدعاة لهذا التخلف وبناءً عليه يجب التخلص من هذه الأفكار الرجعية المتمثلة في أشخاص هؤلاء المشايخ والغاية تُبرر الوسيلة.

دورنا نحن (المنتمين إلي المنهج الإسلامي) مواجهة ما يطرحه هؤلاء بنقيضه، فالحرب حرب حجة وبيان، وقلم ولسان، لكن لا نكون كصاحب الصحيفة الصفراء وهو مثل مضروب في الأدب، وقصته أن رجلاً ضعيف الحجة جلس في مجلس أحد الحُكماء فكتب له هذا الحكيم بعض الوصايا في صحيفة صفراء، فقرأها حتي حفظها، فظن أنه بعد حفظها صار

حكيمـاً، وكـان خـلافٌ قـد نشـأ في قريتـه وأُعـدت لـه منـاظرة، فتصدر صاحبنا لها وحينما جاء دوره ليتكلم سـرد مـا قـد حفظـه من صحيفته الصفراء سرداً دون فهم! فعجبَ النـاسُ مـن جهلـه، فسألوه عن سر ما قال، فقال لهم قد حفظته كهـذا مـن صـحيفتي الصفراء! فبان جهله وافتضح أمره .. فالواجب علينا قبل الكـلام البحث الدقيق في موضوع حديثنا، واختيار أقوي الحُجج، وعدم التصدر إلا إن كـان تصـدرنا عـن درايـة بطرائـق القـوم وخططهـم وإلا فقد سقطنا في شَرَكهم.

الزام الإعلاميين:

كل ما ذكرنا هي قوانين وقواعد اعلامية لا يجوز الحيدة عنهـا لأنهـا تخـدم الدولـة التـي لا يجـب أن يعلـوا صـوت فـوق صوتها، وإن فكر أحد الإعلاميين الخروج علـي الخـط يُقـال مـن عملـه وهـذا مـا حـدث مـع الإعلامـي "عميـر ربـابورت" مـن صـحيفة يـديعوت احرونـوت بعـد نشـره قائمـة بأسـماء ١٦ فلسـطينيـاً قتلـوا علـي يـد الجيش الإسـرائيلي في يـوم واحـد مـن

بينهم ١١ مدنيين و٥ أطفال، وأثار هذا الخبر ردود فعل غاضية من عشرات من القراء الذي قالوا أن الاستعراض الصحفي غير وطني من جانب المحرر!! [1]

- وهذا ما حدث أيضاً مع الإعلامي باسم يوسف لما خرج خروجاً مخيفاً عن النص المكتوب في آخر حلقات برنامجه (البرنامج) علي قناة أم بي سي مصر، ولا شك أن ثم تدخل من جهات سيادية لوقف البرنامج، فالقناة حينما تعاقدت مع باسم يوسف كانت تعلم نهجه، ولا أذكر ذلك الآن من باب أني أؤيده في طريقته الهزلية وتجاوزاته ولكني فقط أذكر ذلك من باب أن الشيء بالشيء يُذكر.

- وحدث مثله في جريدة الشرق الأوسط حيث قررت الاستغناء عن رئيس تحريرها سلمان الدوسري بعد التقرير الذي وصفوه بالملفق حول "حالات حمل غير شرعية في كربلاء" مبررين ذلك أنه أغضب العراقيين! والحقيقة أنه أغضب الشيعة وهذا

---

(١) هآرتس ، ٢٠٠٣/٨/١٤٧

غير مرسوم ضمن أبجديات اللائحة الخاصة بالجريدة وإن كان حقاً. [1]

- وحدث أيضاً مع الاعلامية رانيا بدوي حيث أُقيلت من قناة اون تي في بتاريخ ١٣ اكتوبر ٢٠١٦ وكانت أول حلقة لها في القناة، وكان سبب الإقالة هو التعرض لوزيرة الاستثمار والذي ذكره بيان القناة بـ "الإساءة والتجاوز" في حق شخصية عامة! وكان التجاوز هو وصف وزيرة الاستثمار بـ "السيئة" وكانت بالتأكيد تقصد إداراتها وليس شخصها لكن لم يُغتفر هذا الخطأ وتم إقالتها.

نموذج من احترام القواعد المهنية!

كل ما سبق اعتبرته إدارة القناة خروج عن القواعد المهنية، وعلي نفس هذه القواعد المهنية وفي نفس القناة التي أنهت عقد رانيا بدوي بقرار حاسم لمجرد أنها قالت الوزيرة سيئة، ظهر الإعلامي يوسف الحسيني وقال أنه يتمني رؤية

(١) عرب بيرنس ٢٠١٦/١١/٢٣

الشيخ أبو إسحاق الحويني ليضربه علي قفاه! لكن القواعد المهنية كانت في وقت راحتها فلم تنشط لإقالة الإعلامي الغير محترم، ولم تذكر القناة حتي أنها وجهة نظر الإعلامي وأنها لا تتبني هكذا وجهات نظر، وهذا دليل آخر علي ما ذكرت آنفًا من استحلالهم لعرض العلماء دون غيرهم، لكن شاء الله أن يُضرب يوسف الحسيني علي قفاه في إحدى الزيارات لإحدى الدول الغربية ولله الحمد، لم يُضرب مرة واحدة، بل مرة ومرتان وثلاث مرات واستحق بجدارة أن يَدخل موسوعة جينس العالمية كأكثر مذيع ضُرب علي قفاه!

أخيراً: كُل ما ذكرت في هذا الجزء من تضليل الإعلام العالمي لخصه دونالد ترامب الرئيس الأمريكي الأخير في تغريده له علي تويتر بتاريخ ١٧ فبراير ٢٠١٧ فقال «وسائل الإعلام الأمريكية تنشر أخباراً وهمية ومُضللة».

وذكر منها CNN ABC NBC News CBS وهي أكبر شبكات إعلامية في الولايات المتحدة الأمريكية، وبالطبع كلامه حق وهذا ينطبق علي جميع وسائل الإعلام وليس الأمريكية فقط.

الإعلام العربي والمصري (مَشاهد):

التدليس والكذب الإعلامي في الإعلام المصري والعربي أمثلته لا تُحصي، لكن نرصد بعضها والبعض قليل لتعرف حجم المشكلة في إعلامنا.

بتاريخ ٢٠/ ٩/ ٢٠١٧ خرج بيان صادر من الشيخ سلطان بن سحيم آل ثاني يدعم فيه دعوة الشيخ عبد الله بن علي آل ثاني لاجتماع وطني لتصحيح الأوضاع في قطر بعد أن تمادي النظام القطري في دعم الإرهاب [1] وبالرغم من تناقل جميع القنوات الإخبارية للبيان إلا أن قناة الجزيرة كانت تنقل مظاهرات في اليمن وبيانات لشخصيات لا قيمة لها في ليبيا

(١) سكاي نيوز ٢٠١٧/٩/١٩

وتحليلات لكُتاب مغمورين عن الوضع في مصر! ولم تنقل كلمة ولحدة عن ما يحدث في قطر!

لكن إن رجعنا إلي عام ٢٠١١ وخاصة ٢٥/ ١/ ٢٠١١ سنري مشهداً مختلفاً في الحيادية الإعلامية، فلم تكن الثورة المصرية بهذه الضخامة في بداية أمرها، لكنها أُريد لها أن تظهر بهذه القوة فكانت، وكان الإعلام العالمي ذكيًا إلي حد كبير، بل إلي حدٍ عجزت معه أجهزة دولة مُبارك، ورُبما كانت المُفاجأة هي سيدة الموقف حتي لم يستطع المسؤولون مجرد التفكير في حل.

لعبت قناة الجزيرة القطرية دوراً كبيراً وفعالاً في تأجيج الثورات العربية، وقد لوحظ بشكل بَين أن القناة لها توجهات وخطط مرسومة وليست مجرد تغطية إعلامية للأحداث، ويظهر هذا في التغطية الكبيرة للثورة السورية في أول مهدها ووصف الأحداث بأنه ثورة قادمة مع أن الأمر لم يكُن تعدي مجموعة من المظاهرات، في حين تجاهلت الجزيرة الاضرابات التي

حدثت في جارتها البحرين في نفس الوقت! ولم يُنشر وقتها إلا برنامج واحد لفيصل القاسم يناقش ما يحدث في البحرين واختارت الجزيرة عنواناً للبرنامج يدل علي توجه صريح للتهدئة وليس "التسخين" وكان عنوان الحلقة (البحرين .. انتفاضة شعبية أم صراع سياسي) بالطبع خرجوا من الموضوع أنه صراع سياسي وليس انتفاضة شعبية. [1]

بينما في مصر كانت انتفاضة شعبية من أول لحظة بل رُبما من قبل اللحظة كما أرادتها قناة الجزيرة ومن خلفها من الممولين، ولك أن تتعجب حينما تبحث علي موقع الجزيرة على كلمة (الثورة المصرية) فتجد نتائج البحث تخطي الخمسة آلاف نتيجة!! خمسة آلاف نتيجة عن الثورة المصرية!! بمعني أننا لو قسمنا الخمسة آلاف علي عدد الأيام منذ اندلاع الثورة وحتي يومنا هذا فنجد أنه يومياً ثلاثة أخبار أو أكثر عن الثورة المصرية! فماذا تُشكل الثورة المصرية من أهمية في هذه القناة؟

(١) موقع الجزيرة نت ٢٠١١/١٠/٢٩

ولا يخفي ما فعلته القناة من تغطية إعلامية ضخمة للثورة المصرية حتي أنهم أنشأوا قناة متخصصة لنقل الأحداث وهي الجزيرة مُباشر مصر التي تم اغلاقها بعد ذلك من قبل السلطات المصرية.

في نفس الوقت كانت القنوات المصرية الخاصة تقف موقف المُحايد حتي تري إلي أي الاتجاهات ستؤول الأمور، فإن مالت الكفة مع الثورة فنحن الثورة ورُبما انشدوا «ثوار أحرار هنكمل المشوار» ، وإن مالت لكفة مبارك فنحن أبناؤه ورُبما غنوا له إن فشلت الثورة «اخترناه اخترناه»! ولم ننسَ دموع الإعلامية مني الشاذلي حينما قالت أن الرئيس مبارك غَلَّب مصلحة الشعب، ولن ينسي اليوتيوب ما قاله الإعلامي عمرو أديب في حواره مع وفاء كيلاني أن الرئيس مبارك خط أحمر، ثم رأيناه علي قناة الحياة في برنامج بعد سقوط مبارك يقول «أحنا كُنا في أيام سودة!!» ولا أدري ما هذه الأيام السوداء التي كان يعيشها إعلاميون يعيشون علي السبوبة!

الإعلام العالمي كان له دور أيضاً في الثورة المصرية، فقط كان له توجه واضح لاستمرارها بعد تخلي الحكومات الخارجية عن مبارك، فقد باعوه للثوار أملاً في حليف جديد سهل، وخُدع الشباب الثوري بمعسول الكلام الذي خرج من الرئيس الأمريكي باراك أوباما حين قال «يجب أن نربي شبابنا ليكونوا كشباب مصر».

مشهد آخر: طالبتُ في حوار مع صحفي بجريدة اليوم السابع تشريع قانون يجرم سب الدين، ونُشر التصريح علي موقع اليوم السابع بتاريخ ١٦/ ٣/ ٢٠١٧، اتصل بي معد برنامج وائل الابراشي وسألني عن حقيقة التصريح، وهل صحيح أنني قلت «اطالب بقتل كُل من يسب الدين» قلت له لا هذا لم أقله أبداً بل طالبت بسن تشريع قانون يجرم سب الدين، فقال إذن تدخل معنا فقط في مداخلة لتوضح الأمر علي الهواء .. فوافقت.

في العاشرة والنصف مساءا جاءني اتصال من برنامج العاشرة مساءا وتفاجأت أن وائل الإبراشي يقول علي الهواء

وأنا أسمعه (داعية سلفي يطالب بإعدام كُل من يسب الدين) ثم سألني مرة ثانية عن حقيقة التصريح فأوضحت له الحقيقة للمرة الثانية..

تفاجأت أنهم نشروا المداخلة علي اليوتيوب تحت عنوان (داعية سلفي يطالب بتشريع قانون لإعدام كل من يسب) مع أنني انكرت ذلك أكثر من مرة!

الفكرة هُنا هو اعتماد تلك المنصات الإعلامية علي نظرية أن كثير من المتابعين يكتفون بالعناوين، ولذلك تأتي غالبًا العناوين مُضللة عن المعني الذي يقصده صاحب التصريح للمعني الذي يُراد له أن يصل إلي المشاهد أو المستمع أو القارئ! وبتأكيد طالما أن صاحب التصريح سلفي فإن هذا مبرر كاف للكذب عليه والتدليس علي الناس، ثم تركيزه علي أن يقول أن صاحب التصريح سلفي فيه إيهام للناس أن السلفيين دمويون ويدعون إلي قتل كل مُخالف لهم وهذا كذب أقرع له قرون.

في مشهد لن تراه غالباً إلي في إعلامنا المصري عرض الإعلامي أحمد موسي علي المصريين مقطعاً من لعبة حربية يلعبها الأطفال علي البلايستيشن علي أنها ضرب الطيران الروسي لمقرات داعش بالعراق! مما أثار سخرية النشطاء الذين اكتشفوا الأمر، حتي علق أحدهم علي الفيديو الذي نشره احمد موسي قائلاً «بكرة ينشر جزء من لعبة بيس ٢٠١٦ ويقولك انجازات المُنتخب المصري في كأس العالم!» وحُق لهم أن يسخروا، فما حصل فعلاً مسخرة بالمعني الدارج، ثم خرج بعدها يعتذر عن هذا الخطأ غير المقصود! ومر الأمر ونُسي كما يُنسي كُل شيء ولكني أثبتُه هُنا حتي لا يُنسي.

مشهد آخر لا يقل غرابة حين اتصلت (فاطمة) المنتمية لتيار الإخوان المسلمين علي قناة مكملين التابعة لجماعة الإخوان مع هيثم أبو خليل المذيع المنتمي أيضاً للإخوان المسلمين لتحكي قصة اغتصابها من ضابط شرطة داخل مدرعة عسكرية، وكانت الحكاية كفيلم كتبه مؤلف فاشل لا يحسن الحبكات

الدرامية، فالضابط اغتصبها أمام اثنين من العساكر وهم يضحكون، وظل يغتصب حتي نزفت وخارت قواها فلم تستطيع المقاومة، حتي إذا انتهي من الاغتصاب تناوب عليها العساكر، ولم يكن ينقص هذه القصة إلا أن تختمها فاطمة بـ (أنا كفاطمة إنبسطت!!) ويبكي هيثم أبو خليل المقدم للبرنامج، وتتناقل الصفحات المكالمة، ويتعاطف الناس، ويبدأ الدعاء علي الضابط الذي لا يعلم أحد إن كان هُناك ضابط بهذا الاسم أم لا، بل وتبدأ المطالبات بالقصاص من ذلك السفاح!

تخرج فاطمة بعد ذلك في لقاء تليفزيوني علي قناة المحور لتعترف أن كُل ما قالته ليس حقيقي وأنها فعلت ذلك بدافع الانتقام! وهكذا تكون الأمور، سيناريوهات تكتب ويستقبل الناس كُل هذا السفه وتبني عليه مواقف بل وتُسفك من أجله دماء!

المشهد العام في مصر ستجده بين طرفين منحرفين، الأول هو الإعلام الرسمي الذي يري أن الدولة تُدير المرحلة

بكفاءة متناهية وهو إعلام أحمد موسي وحساسين بعدما ترك العطارة وعمل بالإعلام! ومصطفي بكري وغيرهم، الطرف الثاني وهو لا يقل انحرافاً عن الأول هو إعلام الإخوان المسلمين الذي لا يري أي إنجاز في حكومة السيسي الحالية، والحق أن الطرفان أغرقوا الناس في التيه وظلموهم، فالدولة فيها سلبيات وفيها إيجابيات، فيها نجاحات وإخفاقات، لكن يندر أن تجد إعلامي مُحايد يعرض ويُحلل من أجل مصلحة المواطن، بل الواقع الكُل يُحلل لمصلحة جيبه الشخصي.

الخلاصة لا شيء واضح، لا شيء حقيقي تطمئن له القلوب، وليس هُناك قواعد يميز بها الصدق من الكذب، كلٌ يبحث عن مصالحه وتبقي الناس بين السُحب والغبار لا تري إلا ما يُراد لها أن تراه ، فتُقاد إلي المستقبل المرسوم مسبقاً لها، يكتُب قادةُ العالم المستقبل بتفاصيله وأحداثه، بل وبكوارثه ودماره والكُل يوقع بلا تفكير ولا حتي اعتراض.

قنوات الدعارة والبلطجة والإدمان:

ماذا قدمت السينما في قرن ونصف من الزمان؟ وكيف نهضت بالفكر العربي وما هي ملامح تلك النهضة؟

فكرة تجسيد الشر جدليتها قديمة، فقد تناولها الفلاسفة قديماً واختلفوا حولها فأشار أفلاطون اليها وأكد علي ضرورة ابتعاد الفن عن تجسيد الشر أو أي سلوك من شأنه أن يهدم توازن النفس لأن الفن غايته توجيه الناس للخير وأن دور الفن الحقيقي هو إخضاع الشباب للمثيرات الفنية الصالحة فقط، بل شدد في محاورة القوانين علي هذا الأمر فقال «لو كان الأمر بيدي لن أسمح لمواطن أن يقول إن الأشرار يحيون حياة لذيذة وسارة» [1] فمجرد وصف حياة الأشرار بأنها لذيذة اعتبرها أفلاطون جريمة لأن في ذلك إيحاء للمواطنين بمحاكاتها والتطلع إلي العيش كما يعيش هؤلاء الأشرار وفي هذا خطر كبير لأنه من المُمكن أن يتحول المجتمع كله إلي أشرار بالمحاكاة، هكذا كانت فلسفة أفلاطون في تجسيد الشر، وكان يري بمنتي

(١) القوانين ص ١٣٨

الوضـوح أن الفـن هـو المسـؤول عـن انتشـار العنـف والرذيلـة وجميع الشرور في المجتمع، بينما عـارض أرسـطو هـذا الـرأي فكان يري أن تجسيد الشر فنيـاً يُحذر منه، لكن أرسطو لـم يـر مـا وصل إليه التجسيد في زماننا ولو عاصرنا ورأي ما نـراه مـن الفـن وأهله لانحنى لأستاذه أفلاطون واعترف بصحة مذهبه.

الحقيقة العلمية هي أن الفن كلما كان خياليـاً كلمـا كـان أكثر واقعية مـن الواقـع نفسـه! هكـذا عَبَـر أحـد المتخصصـين في حديثـه عـن الفـن ، وذلـك لأن الفـن هـو مـن يملـك الاسـتطاعة لتغيير العالم لأنه يستطيع أن يُغير وعـي وغرائـز الرجـال والنسـاء بُناءً علي ما تقدمـه السـينما الرديئـة أو الجيـدة [1] وبنـاءً علـي هـذه القـدرة الخطيـرة والسـلاح الفتـاك حـذر دافيـد كـوك – أحـد الـروائيين – مـن خطـورة تجسـد العنـف سـينمائياً وذلـك لأن الصور الفوتوغرافية المتحركة التـي هـي عصـب فـن السـينما قـد أصبحت جزءاً من البيئة في المجتمع المعاصر ولها تأثير كبيـر في

(١) هربرت ماركيوز - البعد الجمالي ص ٤٥

تشكيل حياتنا علي المستوي النفسي والمادي، وشدد علي أن هذه النوعية من الأفلام تقوم بإدخال أفكار جديدة إلي عقول الأطفال توثر في رؤيتهم للعالم وسلكوهم اليومي بشكل صادم.

(١)

وأيا ما كان إذا فكرنا في الأمر بصدق سنعلم ان السينما زادت من معدلات الجريمة، وهذا مُشاهد ولا يحتاج لأبحاث وتقارير، لكن إن نظرنا في التقارير سنصل إلي نفس النتيجة، فالطفل أو الشاب ليس مخلوقاً سلبياً يشاهد ولا يتأثر، لكن الحق أنه يتأثر بكُل ما يري، والأمر في تطور مستمر ومخيف بلا شك.

عام ١٨٦٨ اعترض الأمريكيون علي عرض فيلم (الأرملة جونز) لاحتوائه علي قبلة واحدة، ولك أن تتخيل حجم التطور الذي حصل منذ ذلك التاريخ وحتي الآن، فالقُبلة أصبحت أقل شيء في السينما المحلية والعالمية، بل أصبحت

(١) دافيد كوك – ياريخ السيما الروائية ص٣٦٨

شركات الإنتاج تُركز علي عدد المقاطع الساخنة لجذب أكبر شريحة من الشباب إلي دور السينما، وكذلك جذب القنوات التي تعتمد علي الإعلانات لشراء الأفلام.

في أمريكا عام ١٩٥٢ أُعدت لجنة تناقش مسالة العُنف لدي الأحداث، واتهمت الشهادات التي أدلي بها الخُبراء التليفزيون بأنه مسؤول ليس فقط لأنه يعرض العُنف، ولكنه أيضاً يحث الأحداث علي تقليده، ثم تلي ذلك دراسة تبين منها أن ٧٠٪ من الآباء يلقون اللوم علي قصص الجريمة وبرامج العنف.

عقب مقتل جون كينـدي عام ١٩٦٣ زاد الاهتمام بالقضية وخصصت الحكومة الأمريكية مليون دولار لدراسة قضية العنف تحت عنوان (**مشروع بحثي كبير**: دراسة كبير الأطباء عن التليفزيون والسلوك الاجتماعي) والذي انتهي إلي الاشارة الي وجود التقاء بين البحوث العلمية والتجريبية والميدانية بقيام علاقة سببية للعدوان علي المدي القصير بين بعض الأطفال بسبب مشاهدتهم العنف علي الشاشة.

عام ١٩٦٤ أصدرت اللجنة التحقيقية التابعة لمجلس الشيوخ الأمريكي إنذاراً لأصحاب صناعة السينما للحد من العُنف وقال رئيس اللجنة: إن ما يعرضه التليفزيون الأمريكي من مشاهد إجرامية زادت بنسبه ٢٠٠٪ خلال العشر سنوات الأخيرة ، وأن ٢٥ مليونـًا من الأطفال الذين تقل أعمارهم عن الثانية عشرة يتعرضون لمثل هذه الجرائم يوميـًا، عام ١٩٧٥ منعت حكومة المكسيك ٣٠ برنامجـًا وفيلمـًا لامتلائها بالعنف. [١]

في فرنسا زادت نسبة العنف في التليفزيون الفرنسي بشكل تدريجي ، ففي عام ١٩٥٠ كانت النسبة١٣٪ ، عام ١٩٩٩ وصلت إلي ٦١٪ [٢] وبناءً عليه ١٧.٨٥٪ نسبة عنف الصغار في فرنسا في محيط ١٠٠ ألف ساكن وكانت هذه الاحصائيات قبل خمسة عشر عامـًا ، فأين نحن الآن.

---

(١) الإعلام وثقافة الطفل العربي صـ ٦١

(٢) مجله النبأ الإماراتية – العدد ٣٧ – (الاطفال ودوائر العنف)

في المملكة العربية السعودية أُجريت دراسة في جده عام ١٩٨٩ وكان أهم مؤشراتها وأن ٨٨٪ من الشباب المشاهد يردد بعض الكلمات والعبارات التي تُردد في الإعلانات. [1]

إن تأثير الفضائيات تأثير وبائي عام، لما يتسم به من جماهيرية وشمولية، ولا يمكن الزعم بأن هذا الوباء غير ضار لأنه نجى منه بعض الناس.

يقول دكتور يسمى استيفن وهو محاضر في جامعة كاليفورنيا: إذا كان السجن هو جامعة الجريمة فإن التلفزيون هو المدرسة الإعدادية لانحراف الأحداث.

- تخيل أن طفل فرنسي عمره خمس سنوات أطلق رصاصة على جار له عمره سبع سنوات، وأصابه إصابة خطيرة بعد أن رفض الأخير إعطاءه قطعة من اللبان، وقد ذكر في أقواله للشرطة أنه تعلم كيف يحشو بندقية والده عن طريق مشاهدة الأفلام في التلفزيون.

(١) أثر الفضائيات على المراهقين في المملكة العربية السعودية (رسالة ماجستير) صـ ٣

ولذلك كتب أستاذ التاريخ الدكتور شاكر مصطفى عن جيل التلفزيون قائلاً: أبناؤنا هم أبناء وسائل الإعلام التي أفسدت الأسرة لدينا إفساداً، ودمرت كل مفاهيمها وآدابها، وكان قد قدم التلفزيون هذه الأمثلة كلها من خلال بحوث مجموعة أصلاً في هذا الأمر، قدم شخصية بطل طائر غير طبيعي يسمونه كذا العجيب منذ سنوات، حاول أحد الأطفال أن يقلد هذا المخلوق العجيب عندما طار من شرفة المنزل محاولاً تقليد هذا البطل العجيب فكان فيها هلاكه.

فما من شك في آثاره في نشر الجريمة والعنف، وإضعاف الأشخاص، وشيوع الرذيلة، وتشييع الفاحشة وتزيينها في نظر الناس، وشيوع أساليب النصب والاحتيال، والسلبية، والتراخي، وتخريب البيوت.

ويتحدث عما تثيره مسلسلات التلفزيون وأفلام الفيديو من تنغيص الحياة الزوجية، يقول: وحدث عن ذلك ولا حرج، ومن المؤسف حقاً أن كثيراً من مشاهدي التلفزيون يجهلون أن

هــذه البيــوت الواســعة والفــرش المتنوعــة ليســت ســوى أسـتديوهات قـد أنشـأت خصيصـًا لتأجيرهـا للمنتجـين الـذين يصــورون فيهــا مسلســلاتهم وأفلامهــم، وهــي ليســت ملكــًا للممثلة، هم يعتقدون أن هـذا ملـك للممثلـة، الحـدائق والخـدم والحشم والأجهزة الحديثة والأثـاث الرفيـع وكـذا وكـذا، فتبـدأ الزوجة في المقارنة بين ما تعيش فيه من ضيق وضنك وبـين هـذه الممثلة: انظر إلى الغنى، انظر إلى البيت الواسـع المؤثـث. فهـي لا تتصــور أن هــذه أشـياء مـؤجرة لكــن تتصــور أن هــذا ملــك للممثلة، ويصدقون الكذب.

فهــذه الخدعــة المــاكرة تصــيب النســاء بالتــأفف مــن حياتهن؛ لأنهن يعشن في بيوت متواضعة تخلوا من مظاهر الأبهة التي تعيش فيها الممثلات.

أيضــًا الزوجــة التلفزيونيــة في الأفــلام والمســرحيات والتمثيليات يأتون لها بطريقة المعاملة بين الرجـل وبـين المـرأة، بين الزوج والزوجة، مشتملة على الرقـة والخلـو مـن المشـاكل

والحنو والعطف وكذا وكذا، فتبدأ تقارن كيف يمكث معها وكيف يحصل بينهما المودة، في حين هذا الزوج يرجع مكدوداً منغصاً عليه عيشته من السعي في جلب لقمة العيش لها ولأولادها ولا تعذره في ذلك، فتقارن بينه وبين ذلك الممثل، هذا ممثل، وهذا عمله، هو يعمل ممثلاً كذاباً ويتصنع، وهم أبعد الناس عن الابتسامة التي يرسمونها، وأبعد الناس عن الرقة التي يتظاهرون بها، هم أخبث الناس وأسقطهم وأهونهم في المجتمع. [1]

رحلة قصيرة في واقعنا:

الآن جاء دوري لآخذك معي في رحلة قصيرة جداً في الواقع الذي نحياه جميعاً ، فأنا دائماً لا أريد أن أخوض في نتائج أبحاث وتقارير علمية مملة وإنما أريدك أن تُمرس نظرك وفكرك وتستخدم مشاهداتك وأريدك أن تتأمل معي الكلمات التالية فقد عشناها جميعاً ، ولن أُعطيك نتائج دراسات الآن بل

(١) الإجهاز على التلفاز - جيل التلفزيون وشيوع الإجرام والرذيله

سأترك لك إجابة التساؤلات حسب رؤيتك ومشاهداتك للمجتمع فأنت جزء منه ، بل أنت المُكون له.

- كم زادت نسبة تعاطي والإتجار في المخدرات بعد فيلم الكيف الذي أُنتج عام ١٩٨٥ مقارنة بما قبل هذا التاريخ؟ ثم كم زادت نسبة التعاطي والإتجار بعد عام ٢٠٠٧ وخصوصاً بعد فيلم الديلر الذي جسده أحمد السقا؟ وما تلا ذلك من أفلام المفترض أنها تحارب التعاطي والإتجار؟ لماذا زادت نسب التعاطي والإتجار بعدها ، وكم زادت نسبة الزنا بعد انتشار الأفلام الرومانسية التي تروج للفجور والعشق دون ضوابط؟

- هل شَكْل المُجتمع قبل أفلام محمد رمضان والسبكي كشكل المُجتمع بعدهما، اليس الشباب يُحاكون كُل ما يشاهدونه ويتفاعلون مع كُل مع يُعرض عليهم من محتوي؟

- ثُم ماذا عن المُجتمع المصري بعد مسلسل الأسطورة الذي عُرض في رمضان عام ٢٠١٥ ، وما هو واقع الشباب بعد انتشار

أفلام محمد رمضان التي تروج هي الأخرى لأسوأ أنواع البلطجة والعنف.

- كم زادت نسبة البلطجة بعد فيلم إبراهيم الأبيض الذي أُنتج عام ٢٠٠٩؟ وماذا استفاد المصريون من هذا الكم الهائل من الدموية والإجرام التي تحيلنا إلي الوحشية والبدائية فضلاً عن الألفاظ المبتذلة والخادشة للحياء والإشارات الخارجة التي لا يستعديها العرض، ماذا استفاد المجتمع من عرضة؟[١]

للإجابة تحتاج إلي التجرد من أي ميل عاطفي لأي من هذه الأسئلة، وعليك فقط أن تنظر للواقع الآن والذي هو نتاج لكل هذه التراكمات، بل إن شوارع مصرنا تشهد بهذا الكم الرهيب من السلبيات التي انتشرت عن طريق المُحاكاة لهذه الأفلام، شباب يحمل السلاح، أطفال يرقصون في هستيريا عارمه علي أغاني هابطة ليس فقط في أماكن مغلقة ولكن في الشوارع أمام الناس فانعدم الحياء وعم البلاء.

(١) مجله الفكر المعاصر - جدلية العلاقة بين السينما والعنف المجتمعي ص ٧٢

ضجت شوارع مصر وحواريها بأغنية واحدة طوال شهرين أو أكثر، لدرجة أني حفظت معظمها رغماً عني! أغنية (مفيش صاحب بيتصاحب) والتي أداها مجموعة من المغمورين، وانتشرت الأغنية كالنار في الهشيم فلا تجد وسيلة مواصلات إلا وقد شغلت هذه الأغنية وكأنها أصبحت علامة علي العصر . . !

علي طريقة ناصر الدسوقي في مسلسل الأسطورة قام بلطجي و بعض أصدقاءه يزفون شاباً بقميص نوم نسائي، المتهمون جردوه من ملابسه وجابوا به شوارع حلوان لخلاف معهم. [1]

وعلي طريقة إبراهيم الأبيض نشبت مشاجرة دموية بالسلاح بين عائلتين من الشرقية بسبب بناء سلم مُخالف! [2]

(١) موقع اليوم السابع ٢٠١٦/٦

(٢) جريدة الوطن ٢٠١٧/٧

و علي طريقة أفلام المخدرات والكيف انتشر بيع البانجو والحشيش والترامادول وغيرها بشكل ملحوظ في مصر في الفترة الأخيرة، فهل كل هذا من قبيل الصدفة؟

شيء آخر يجب لفت النظر له وهو تأثير هذه الأفلام الساقطة علي مروءتنا عن طريق تعويد الناس على التغاضي عن كثير من الفضائل الاجتماعية، فهو يهدم ويحطم الأخلاق والأديان، ويبطش بالحياء والقيم، وينشر الرذيلة، ويقتل الأحاسيس، بحيث ينتهي الأمر إلى استمراء المنكر، بل استحسان المنكر والفرح الشديد بارتكابه [1] وخُذ أمثلة علي ذلك:

<u>مشهد</u> لتاجر مخدرات وبلطجي، وأثناء هروبه من قبضة البوليس كيف يتعامل المشاهد معه؟ هل يتمني الإمساك بالمجرم لينال عقابه أم يتمني هروبه والافلات من قبضتهم لتستمر الإثارة؟

(١) الاجهاز علي التلفاز ص ٤٥

الأمر هُنا مرتبط بطبيعة الدور، بمعني أنه لو كان هذا البلطجي هو بطل الفيلم سيتقبل المُشاهد هروبه من قبضة البوليس لأنه بطل الفيلم، وربما لو خالفت التوقعات أمنيات المشاهد وأمسكت الشرطة بالبلطجي لغضب المُشاهد وتعاطف مع البلطجي.

كذلك يكون التعامل مع شخصية البطل دائماً داخل الأفلام ، فالبطل يشرب الخمر ويزني ويقتل ومع ذلك لا تستطيع أن تكرهه، دائماً يُحبه الشباب ويتعاطفون معه! فمن من الشباب كره رفاعي الدسوقي وناصر الدسوقي في مسلسل الأسطورة، فمع كُل ما صنعه البطلان في المسلسل من بلطجة وإجرام قلدهم الشباب، بل وفي اللحظة التي قُتل رفاعي الدسوقي بكت الجماهير وكأن المقتول مُحرر مصر من الاحتلال الانجليزي، ثم وبعد انتهاء المسلسل تعاطف الجميع مع ناصر الدسوقي البلطجي لأنه ضحية! وعلق الشباب صور رفاعي علي التكاتك والميكرو باصات تضامناً معه واقتضاءً به!

<u>مشهد لرجل</u> يُمثل دور رومانسي وأمامه ممثلة وقد عانقها وأخذ يُقبلها، كيف يستقبل المُشاهد هذا المشهد؟

غالبـاً إن كـان المشـاهد شـاب فإنـه سـيتمني أن يكـون مكـان هـذا البطـل الرومانسـي وتكـون هـذه الممثلـة الجميلـة والفاتنة من نصيبه، ولو كانت بنت تتمني أن تكون في مكـان هـذه المُمثلة لتعيش هـذه اللحظـات الرائعـة مـع هـذا الممثـل الوسـيم المفتول الأنيق خاصة إن كانت تعيش في مجتمع لا يعـرف شـيء عن الأناقة والرومانسية، لكن هل سيُنكر أحدهم المشهد بحجـة أنه ترويج للرذيلة؟ قف مع نفسك واسألها وعليك الإجابة.

المشهد له بُعد آخر أهم وهو طبيعة تكوين هـذا المشـهد وهـو مـا يجـب أن تتناولـه الفِطـر السـليمة بُنـاءً عليـه وهـو: أنـه ارتُكب في المشـهد ثـلاث محظـورات شـرعية خطيـرة، أولهـا أن الممثل والممثلة لا يمتون لبعضهم بصلة، وبالتالي لا يحل له أن يلمسها فضلا عن العناق والتقبيل، وثانيها أن هذا الشـيء حـدث أمـام كـاميرات بعلمهـم وهـذا فيـه جهـر بالمعصية بـل وتوثيقهـا،

وثالثها أن هذا المشهد يعرض علي العالم وفي هذا حُب لانتشار الفاحشة والرذيلة بين الناس.

السؤال: هل المُشاهد يتعامل مع هذه المشاهد بهذا الشكل، أم انه يتعامل معها بأريحية وتقبل؟ ومن هُنا تأتي علة التحريم، أي تحريم مشاهدة هذه الأفلام والمسلسلات ففيها تنكشف العورات وتمارس الرذيلة وينتشر العُهر بدعوي أنه فن وأنه رسالة، فأي رسالة يحملها فيلم يحكي قصة راقصة؟ وتاخر مخدرات، ومُغني فاشل؟ هل هذا هو المُجتمع؟

أنا لا أريدك هُنا أن تكون مع او تكون ضد، فقط أريدك أن تعرف إلي أين يُذهب بك، وماذا يُراد لك، لا أريدك أن تكون عصا في يد غيرك، لا أريدك ان تكون أداه تُحصل بها الأموال، واعلم أن كُل ما تشاهده في التليفزيون والفضائيات أنت دفعت ثمنه مُسبقاً قبل أن يُعرض عليك، دفعت ثمنه إما بشراء المنتجات التي تُباع عن طريق الاعلانات، أو عن طريق تكثير المشاهدات وهذه أيضاً لها ثمن، فأنت تدفع لهم ثمن ما

يقدمونه لك من مواد هادمة لشخصيتك وفطرتك، تدفع لهم ثمن ما يدمرون بها أولادك، تدفع لهم كي يعيشوا هُم في القصور وتبقي أنت في صفوف المُشاهدين، تُشاهد وتدفع من سُكات، أو تدفع عن طريق تواجدك أمام الشاشة لتكثير سوادهم لاستقطاب المُعلنين، هذا كُل شيء فانتبه.

الحرب الإعلامية علي الإسلام:

لم يعد يخفي على ذوي العقول الراجحة أن الحرب هي حرب عقيدة بين المعسكر الغربي وبين المُسلمين، ولا أقول بين المُعسكر الشرقي لأن إيران في معسكرنا لكنهم يساندون أعداءنا، هذه الحرب المشتعلة حربٌ قديمة يأبي الساسة العرب المسلمون أن يفهموا طبيعتها، ورغم أن مفكري الغرب وساستهم سطروا بأيديهم ما يُثبت أن حربهم عقدية إلا أن ساستنا لازالوا يَغُطُون في نوم عميق، إن لم يكونوا عصا في أيد الغرب يحركونهم كيف ما يشاؤون.

يـوجين روسـتو مستشـار الـرئيس الأمريكـي جونسـون لشـئون الشرق الأوسط عام ١٩٦٧ قـال "يجب أن نُدرك أن الخلافـات القائمـة بيننـا وبـين الشـعوب العربيـة ليسـت خلافـات بـين دول وشعوب، بل هي خلافات بـين الحضـارة الإسـلامية والحضـارة المسيحية، لقد كان الصراع محتدما بين المسيحية والإسلام منذ القـرون الوسـطي وهـو مسـتمر حتـي الآن بصـور مختلفـة، ومنـذ قـرن ونصـف خضـع الإسـلام لسـيطرة الغـرب وخضـع الـتراث الاسـلامي للـتراث المسـيحي، إن الظـروف التاريخيـة تؤكـد أن أمريكـا إنمـا هـي جـزء مُكمـل للعـالم الغربـي، عقيدتـه وفلسـفته ونظامـه وتراثـه، وذلـك يجعلهـا تقـف معاديـة للعـالم الشـرقي الإسـلامي بفلسـفته وعقيدتـه المتمثلـة في الـدين الإسـلامي، ولا تسـتطيع أمريكـا إلا أن تقـف هـذا الموقـف في الصـف المعـادي للإسلام، وإلي جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية، لأنها إن

فعلت عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها". [1]

وَلَيسَ يَصِحّ في الأفهامِ شيء إذا احتَاجَ النّهارُ إلى دَليلِ

فما نراه في عالمنا دليل كالشمس في كبد السماء أنها حرب عقيدة وهوية، حرب لطمس ملامح هذا الدين الصادقة والتفريق بين قلوب المسلمين وبين صحيح الاعتقاد، وهُنا يأتي الإعلام بدور جديد قديم ليأخذ موقع إبليس ويجلس إبليس لفترة من الزمان على كُرسي المُشاهد ليُتابع بسعادة التلميذ المُجد وهو يُكمل ما بدأه الأب الروحي والمُعلم.

دور الإعلام في تشويه الإسلام – هل من جديد؟!!

نرجع سريعًا سريعًا إلي عهد النبي ﷺ لنحكي مشهداً نراه الآن بتفاصيله، وسنرويه كما رواه أهلُ السير حتي لا نقد المشهد معناه.

(1) يهافت العلمانية في الصحافة العربية صـ ٢٩

روي بن اسحاق في السير عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفرٌ من قريش وكان ذا سن [1] فيهم، وقد حضر الموسم [2] فقال: يا معشر إنه قد حضر الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا – يعني النبي ﷺ – ، فاجمعوا فيه رأيـًا واحداً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضـًا، ويرد قول بعضكم بعضا، فقالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيـًا نقوم به، فقال: بل أنتم قولوا أسمع، فقالوا: نقول: كاهن. فقال: ما هو بكاهن، لقد رأيت الكهان فما هو بزمزمة الكاهن وسجعه، فقالوا: نقول مجنون

فقال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو تخنقه، ولا تخالجه، ولا وسوسته، فقالوا: نقول شاعر، فقال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر برجزه وقريضه، ومقبوضه، ومبسوطه، فما هو بالشعر، قالوا: فنقول ساحر، قال: ما هو بساحر، قد رأينا

(١) كبير السن عظم الشرف

(٢) موسم قدوم الحجيج إلى الكعبة

السُحار وسحرهم، ما هو بنفثه ولا عقده، قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس، قال: والله إن لقوله لحلاوة، إن أصله لغدق، وإن فرعه لجنًا، فما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا عُرف أنه باطل، وإن أقرب القول لأن تقولوا ساحر، فقولوا ساحر يُفرق بين المرء وبين أبيه، وبين المرء وبين أخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته، فتفرقوا عنه بذلك.

فجعلوا يجلسون يسألون الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه. (1)

فبالرغم من ثقة صناديد قريش أن النبي ﷺ ليس بكاذب في دعواه، ولا شاعر، ولا ساحر، ولا كاهن، ولا طالب شهرة ولا مُلك، إلا أنهم عاندوا وكابروا حفاظًا علي دين الآباء والأجداد ودفاعًا عن الأوثان والأمجاد، وهي دعوي قديمة أهلكت قرونًا قبلهم، أهلكت قوم صالح عليه السلام (قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا ۖ أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا

(1) السيرة لإبن اسحاق 151/1 – خبر الوليد بن المغيرة .

لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ) وأهلكت قوم شُعيب ﷺ (قالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) وأهلكت قوم هود ﷺ (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) وهكذا إلي أن جاء النبي ﷺ فكانت حجر عثرة أمامهم، كيف يتركون دين الآباء والأجداد ليتبعوا هذا الدين الجديد!

الدور الإعلامي الشيطاني في ما ذكرت:

المقصد من هذه البداية القديمة جداً هو أن تعلم أن هذا الدور الإعلامي قديم وكان يسير بنفس الخُطي تقريبــًا، فالفكرة القديمة التي استخدمها صناديد قريش (وهُم القوة الإعلامية في هذا الوقت) هي نفس الفكرة التي يستخدمها الإعلام حتي يومنا هذا، وهي فكرة تلبيس الحق ثوب الباطل وتلبيس الباطل ثوب الحق كما ذكرنا في صدر الكتاب، مع كثير من التشويش والإثارة فيلتبس علي العقل الحق بالباطل والخطأ بالصواب فتتحقق

أهداف الإعلام السامية، وانظر وتأمل جلسة أبالسة قريش التي ناقشوا فيها أمر النبي ﷺ ، وهُم يعلمون أنه نبي وأنه علي الحق ولكن بحثوا عن أوصاف أخري تُنفر الناس منه ، فوصفوه بالساحر والكاهن والمجنون والشاعر للتلبيس علي الخلق .. !!

وهل يفعل الإعلام بنا غير ذلك؟

عودة إلي حاضرنا:

لم يكذب الإعلامي تامر أمين حينما قال في إحدى حلقات برنامجه أن الإعلام لو أراد قلب الحقائق وتزييف الوعي لفعل، بل إن هذا هو حقيقة ما يحدث وما نراه يومياً علي كثير من الشاشات الفضائية.

إن الظهور القوي لأصحاب الرأي الحُر كما يُسميهم الإعلام أو أصحاب الرأي الليبرالي كما يُسميهم معارضوهم له أهداف مرسومة ومدروسة بشكل دقيق، فالهدف الأول لكُل هذه الأقلام والعقول التي تظهر علي شاشات الميديا كما تظهر كتاباتهم علي البوابات الإعلامية المقروءة هذه الأيام لا يختلف

كثيراً عن الهدف الذي رسمه صناديد قريش حينما أرادوا تشويه صورة النبي ﷺ من أجل ضرب الإسلام الصحيح في مقتل.

لكن هذا الهدف ليس وليد هذه الفترة، وأقصد بالفترة ما بين بداية ظهور الفضائيات ومواقع الإنترنت وحتي كتابة هذه السطور ٢٠١٦، وإنما البداية كانت قديمة ومستمرة إلي وقتنا الحاضر، فقديماً كان الإعلام مقتصراً على المذياع والصحف والمجلات فكانت هذه هي النوافذ التي يستطيع من خلالها الكاتب الوصول لجمهور كبير، لكن الآن أصبح الوصول سهلاً ميسوراً، والعقول باتت تقبل كُل شيء يُعرض عليها، بل أصبحت الدنيا كتاب مفتوح لمن أراد أن يقرأ ، وأصبح الإعلام المرئي شيطاناً ثائراً لا يرحم.

وهُنا نفرد فصولاً صغيرة لعرض قضايا أُثيرت في الإعلام المرئي أو المقروء في الميديا المصرية خاصة إذ هي المقصودة من بحثنا أصالةً مع التعليق عليها بشيء من الإيجاز حتي لا يمل القارئ وما قل وكفي خيرٌ مما كثُر وألهي ، وأهل

العلم قالوا «قليلٌ يبقي وينفع خير من كثير يُنسي ويُرفع» وقالوا «العلمُ لا يُمدح بالبسط والاتساع ولكن يُمدح بالنفع والانتفاع» وهذا ما سأُحاول الزام نفسي به قدر المستطاع في الأجزاء القادمة بعون الله.

المشككون في الدين:

لن أُحاول هُنا لعب دوراً مُجاملاً في توصيفهم بوصف غير ما ذكرت في عنوان الفصل، فهُم بلا شك مشككين في الدين كارهين له يحاولون تلبيس الحق ثوب الباطل وتلبيس الباطل ثوب الحق مستغلين إمكانية الظهور الكبيرة علي الشاشات وإمكانية الدعم الكبيرة من أصحاب الدولارات وكذلك جهل الكثير من الناس بحقيقة ما يذكرون ويروجون له إذ أن القلوب خزائن الأفكار والعقائد ولا يظهر علي شاشة التلفاز ولا علي أوراق الصحف حقيقة ما تُكنه القلوب وتعتقده، إنما يظهر فقط سلامة قصد المُتحدث أو الكاتب التي يُزينها ببعض العبارات الرقيقة المنمقة التي بها يخدع المشاهد والقارئ، لكن هذه

الخطط تنطلي علي المهمشين فكرياً، لكن أصحاب العقول الراجحة يعلمون جيداً ما يرمي إليه هؤلاء من فساد الهوية وخبث الطوية، ومن هذه المحاولات البائسة لتشكيك الناس في دينهم ما سيأتي بيانه بعون الله.

ذكر الجاحظ في كتابه الماتع البيان والتبَيُن [1] أن الناسَ لا يُعيِرون الخُرس ولا يلومون من استولي علي بيانه العجز ، لكنهم يذمون الحَصِر ويؤنبون العَيِي، فإن تَكَلَفَ مع ذلك مقامات الخُطباء وتعاطيا مناظرة البُلغاء تضاعف عليهم التأنيب [2] وما كان اللوم إلا لأنهم ناطحوا من ليس لهم بهم خلاق، لكنهم ظنوا أن الصوت العالي والظهور المتكرر والخوض فيما لا يُحسنون وثناء الجهلة والمهمشين فكرياً عليهم رفعةً لهم ودليل علي قوتهم وصدقهم، والحق أنهم كلما ناطحوا برؤوسهم الجبال الراسيات ثبتت هذه الجبال بينما تتحطم

(1) خطأ شائع أن الكتاب اسمه البيان والتبيين ، وقد صححه وضبط الاسم الدكتور عبد السلام هارون في تحقيقه للكتاب وقال أن الصحيح هو (البيان والتبِيِن)

(2) البيان والتبِيِن صـ ١٢

رؤوسهم وهم لا يشعرون، والحق أيضـاً أنهـم سيظلون صغاراً ولو اتبعهم العالم بأسره.

من هؤلاء الجُهال من ظهر علي الشاشات ليناطح هذه الجبال الراسيات العاليات وخدعه سخاوة الإنفاق علي البرامج مع جهل المُتابع بحقيقة الأمور فسهل عليه التلبيس علي الناس مقتدياً في ذلك بأستاذهم الأول إبليس عليه لعائن الله المُتتالية، ونذكُر من هؤلاء نماذج هي الأشد عداوة للإسلام وهُم من أهله للأسف الشديد مع التعليق السريع علي بعض ما أثاروه من شُبهات، وكما ذكرت المقام هُنا ليس مقام بسط واتساع وإنما فقط نضع علامات نفضح بها جهل هؤلاء وكذلك نكشف عن خُبث نواياهم وفساد مناهجهم.

النموذج الأول: الدكتور سعد الدين الهلالي:

هُنا لا أذكر الدكتور الهلالي ضمن المحاربين للدين، لكني انتهزت الفرصة لأنبه علي خطورة منهجه فقط، لكنه عندي بالتأكيد حتي الآن ليس ضمن محاربي الدين ولكن ضمن

من يفهم الدين بشكل خاطئ ولزم التنبيه لذلك، الدكتور سعد الدين الهلالي جعل الدين كُله مبني علي حديث واحد، وهو (استفت قلبك وإن أفتاك المفتون)، فجعل استفتاء القلب هو الحاكم علي الإنسان في أمر دينه، وأنا هُنا لن أتناول فتاوي بالنقد ولكن نأتي علي الأصل فننقده ويكفي، فنقول ما هي قواعد استفتاء القلب؟ ومن الذي يستفتي قلبه؟ هل الحديث علي إطلاقه فكُل مسلم يستفتي قلبه؟

قطعـًا ليس الحديث لكل مسلم، فالأفهام تتفاوت، وما يستحسنه قلبي يستنكره قلب غيري، وما يستحسنه قلب غيري يستنكره قلبي وهكذا، فكيف يكون هذا القول قاعدة لتمييز الحلال من الحرام؟

وأنا هُنا لن استطرد في تفصيل الرد علي كُل ما قاله ولكن فقط نُلمح إلي فساد القاعدة التي بني عليها مذهبه وهذا يكفي، فنتحدث عن ضوابط اعتبار فتوي القلب وإن اثبتنا أنها ليست لعامة الناس فهذا كاف في الرد علي الدكتور الهلالي.

نص الحديث كاملاً «عن وابصة بن معبد رضـي الله عنـه [1] قـال رأيـت رسـول الله ﷺ وأنـا أريـد أن لا أدع شـيئا مـن الـبر والإثم إلا سألت عنه فقال لي ادن [2] يا وابصة، فدنوت منه حتى مست ركبتي ركبته فقال لي يا وابصة أخبرك عما جئت تسأل عنه قلت يا رسول الله أخبرني قال جئت تسأل عـن الـبر والإثـم قلـت نعم فجمع أصابعه الثلاث فجعل ينكت بها في صدري ويقـول يـا وابصة استفت قلبك، والبر ما اطمأنت إليه الـنفس واطمـأن إليـه القلـب والإثـم مـا حـاك في القلـب وتـردد في الصـدر وإن أفتـاك النـاس وأفتـوك» فلاحـظ أن النبـي ﷺ قـد خـص بـذلك الكـلام وابصة رضي الله عنه ومن كان علي نفس قدره في العلم، فلم يقل له النبـي المسـلمون يستفتون قلـوبهم، أو المسـلم يسـتفتي قلبـه، وإنمـا قـال يـا وابصـة استفت قبلـك، ثـم قـال وإن أفتـاك النـاس

---

(١) وابصة بن معبد صحابي جليل من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم

(٢) أدن: يعني اقرب مني حتى أحدثك

والناس هُم العوام وليس المقصود أهل العلم كما يُلمح إلي ذلك الدكتور الهلالي.

قال الشيخ السعيد العيسوي «ضوابط اعتبار فتوي القلب»

١ – أنْ يكون عند المستفتي من أصول العلم والفهم ما يستطيع أن يميِّز به:

ذلك لأنَّ الميزان والمعيار هو العلم لا الهوي والعلم هو المحكُّ والاعتبار كما أنَّ (القلب الذي يستفتيه صاحبه فيفتيه هو مَنْ كان عنده علمٌ ، فإنَّه يُكشف له عن الصواب، ولا يتستَّر دونه من الشَّك بجلباب). [١]

وإذا لم يكن لدى المستفتي لنفسه علم وفهم وتمييز فهو إعمال لهوى النفس (فإنه معلوم أن النبي ﷺ لا يقصد ذلك قطعاً وقد نهى الله ورسوله أن يتخذ الإنسان النفس أو العقل مشرعين من دون الله) [٢]

---

(١) الفتح الرباني من فتاوي الشوكاني ٢٣١٩/٥

(٢) العمل بالاحتياط في الفقه الإسلامي ص١٣٦

وأيضـًا (لا نقـول علـى كـل قلـب، فرُبَّ قلـبٍ مُوَسـوَسٍ ينفي كل شـيء، ورب متسـاهلٍ يطيـر إلـى كـل شـيء، فـلا اعتبـار بهـذين القلبـين، وإنمـا الاعتبـار بقلـب العـالم الموفـق لـدقائق الأحوال، فهو المحكُّ الذي يُمتحن به حقـائق الأمـور، ومـا أعـزَّ هذا القلب) [1]

٢- <u>أن يكون عند المستفتِي من الورع عن الوقوع في الشبهات والحرام.</u>

فإذا لـم يكـن العبد ورعـًا عـن اقتراف الحـرام أو القـرب منه فسيكون متعللاً بأدنى خاطر متـذرعـًا بـأدنى شـبهة يجـدها في قلبه. وقد أشار أبو العباس القرطبي [2] - رحمـه الله تعـالى- إلـى هذا فقال (لكنَّ هذا إنَّما يصحُّ ممَّـن نـوَّر الله قلبـه بـالعلم ، وزيَّـن جوارحه بالورع ، بحيث يجد لا للشبهة أثـراً في قلبـه كمـا يحكـى

(١) إحياء علوم الدس، مرجع سابق ٨٥٥/٥

(٢) المبهم لما أشكل من تلخيص مسلم ٤٩٢/٤

عـن كثيـر مـن سـلف هـذه الأمَّـة، كمـا نقـل عـنهم في "الحليـة" و"صفة الصَّفوة"، وغيرهما من كتب ذلك الشَّأن).

وعلَّـل ذلـك السِّـندي [1] - رحمـه الله-: (فـإن قلـب المؤمن ينظر بنور الله إذا كان قوي الإيمان وهو المـأمور بـه بهـذا البيان)

وكـلام أبـي العبـاس القرطبـي والسِّـنديِّ - رحمهمـا الله تعـالى- محمـول علـى القـول بعمـوم الحـديث وإلا فهنـاك مـن ذهـب إلـى القـول بكونـه واقعـة حـال تخـص وابصـة الـذي سـأل النبي فأجابه النبي بقوله (يا وابصه استفت قلب).

فأمـا الجاهـل والعـامي الغافـل فلـه أن يقلـد العلمـاء، ولعـالم عمـوم أيضـًا أن يقلـد عـالم خصـوص وللعـالم بـالعلم الظاهر أن يقلـد مـن فوقـه ممـن جعـل علـى علـم بـاطن مـن أهـل القلـوب؛ لأن النَّبـي ﷺ ردّ مـن علـم الألسـنة والفتيـا إلـى علـم القلوب ولم يردَّ أهل القلوب في علمهم الـذين يختصـون بـه إلـى

(1) نقله الارناؤوط في تحقيق المسند ٢٩/٥٢٩

المفتين؛ لأنهم يأخذون من المفتين فتياهم ثم يجدون في قلوبهم حيكـًا وحزازة فيلزمهم فتيا القلب لقوله: "استَفْتِ قَلْبَكَ"

ونحوه أيضـًا ما حكي عن سهل التستري من قوله: (خرج العلماء والزهاد والعباد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح إلا قلوب الصديقين والشهداء ولولا أن إدراك قلب من له قلب بالنور الباطني حاكم على علم الظاهر لما قال المصطفى صلي الله عليه وسلم "استَفْتِ قَلْبَكَ"، فكم من معان دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب المتجرد للذكر والفكر وتخلو عنها زبر التفاسير ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين ولا محققو الفقهاء)[1]

٣- أنَّ الاعتبار بكراهية وإنكار أهل الصلاح لا غيرهم:

ذلك أنَّ النَّبي ﷺ قال: "وَكَرِهْتَ أنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ" والمراد به هنا: أهل الصَّلاح وليس من تعودوا رؤية المعاصي بلا إنكار، فإنَّا في الواقع نرى كثيراً من النَّاس من يُطْلِع النَّاس

(١) فيض القدير بشرح الجامع الصغير ٤٩٥/١

على مآثمه -عياذاً بالله-إمَّا استهتاراً وإمَّا فجوراً، ومن النَّاس من لا ينكر على غيره إذا رآه يقترف المعصية أو يجاهر بها، فكان الاعتبار بكراهية وإنكار أهل الإيمان الذين صحَّت لهم الفطرة واستقام فهمهم للشريعة.

وقد أشار العلامة ابن دقيق العِيد رحمه الله تعالى إلى هذا بقوله: (والمراد بالنَّاس - والله أعلم- أماثلهم ووجوههم لا غوغاؤهم فهذا هو الإثم فيتركه). [١]

وروي في الحديث "أُوصِيكَ أَنْ تَسْتَحِي مِنْ اللهِ -عز وجل- كمَا تَسْتَحِي رَجُلاً منْ صَالِحِي قَوْمِكَ". [٢]

قال القرطبي رحمه الله "إن الله قد أجرى سنته وانفذ كلمته بأن احكامه لا تُعلم الا بواسطة رسله السفراء بينه وبين خلقه المبينين لشرائعه وأحكامه". [٣] وهذا أمر محسوم عند

(١) شرح الاربعين حديثاً النووية ص٧٣

(٢) استفتاء القلب ضوابطه وأثره في الاحكام ، ومختصره على موقع صيد الفوائد تحت عنوان ضوابط اعتبار فتوي القلب ومنه كان النقل .

(٣) فتح الباري ١٣٢/١

العلماء، وليس في حديث استفتاء القلب أي دليل علي أنه مصدر يُستلهم منه الحلال والحرام ، بل الأمر موقوف علي ما جاء به الشارع وليس لمسلم أن يستفت قلبه منفرداً عن سؤال أهل العلم.

النموذج الثاني : إسلام بحيري:

هو الحاصل علي على ماجستير في «طرائق التعامل مع التراث» من جامعة ويلز بإنجلترا ورئيس مركز الدراسات الإسلامية بمؤسسة «اليوم السابع» ! ولاحظ قبل الخوض في أصل الموضوع ولُبه كيف يكون التضخيم في الأشخاص فهو الحاصل علي ماجستير من جامعة عالمية ورئيس قسم الدراسات الإسلامية في اليوم السابع!! والسؤال هل في جريدة اليوم السابع دراسات إسلامية أصلاً؟!! وإن كان فأين النتاج العلمي لهذه المؤسسة؟ أم أنه نتاج نقدي للإسلام فحسب؟ ثُم بغض النظر أننا لا نعرف إن كان هُناك تخصص بهذا الاسم أم لا في جامعة ويلز، لكن هام جداً أن نعرف أصول هذه الطرائق التي

اعتمد عليها إسلام بحيري إذ أن الأصل هو ما يُبني عليه كُل شيء بعد ذلك، ثُم هل درس إسلام بحيري في جامعة ويلز أصول جمع التراث الإسلامي؟ هل عرف شرط البخاري في جمع صحيحه وشرط مسلم؟ هل يعرف كيف جمع الطبري تاريخه وهل اشترط الصحة فيه؟ وكذلك مُسند الإمام أحمد وغيره؟ من مِن هؤلاء اشترط الصحة فلم يجمع إلا الصحيح ومن مِنهم أراد جمع التراث ليُنقحه من يأتي بعده بعدما وُضعت قواعد التنقيح والتصحيح والتضعيف؟ هل تَعَلَّم إسلام بحيري في جامعة ويلز كُل هذا أم ماذا تعلم بالضبط؟!! الله أعلم . علي أي حال ما خرج من فِيه أخبرنا بما فيه! فهو جاهل جهول مجهال ناطَح أبا جهل في جهله واستحق بجدارة لقب كلقبه، وهُنا مقام اختصار لا مقام استرسال فنشير إلي بعض جهالاته واللبيب بالإشارة يفهمُ.

أولاً عداؤه لشيخ الإسلام بن تيمية وتدليسه عليه:

حقيقة عدائه لشيخ الإسلام هو نقطة بداية لعداء أوسع لكتب التراث، ولكن البداية بشيخ الإسلام هو البداية الطبيعية لأنه غُصة في حلق كُل ضال، ولكن قبل الرد علي بعض أكاذيبه ادهشني جداً كلامه عن شخصية بن تيمية حين قال في حلقة له قال فيها «إن بن تيمية ملكاته في الفهم يُرسى لها في العقيدة والشريعة» وهذا كلام عجيب حينما يُقال عن مؤلف كتاب درء تعارض العقل والنقل! الذي تحار العقول من قوته وإبداع صاحبه وهو أعظم كتاب ألفه بن تيمية.

واقرأ كتاب العقل والنقل الذي ما في الوجود له نظير ثان

والذي ميز هذا الكتاب أنه استخدم قواعد المُتكلمين والمناطقة في الرد عليه وإبطال مذاهبهم ولذلك قال ابن القيم رحمه الله، ومن العجائب أنه بسلاحهم، أرداهم تحت الحضيض الداني.

هذا الكتاب وأمثاله من الكُتب التي كتبها بن تيمية والتي لا يفهمها إلا الفحول من العُلماء يُقال عن مؤلفها أنه محدود الفهم !! والله إن هذا من أعجب الأشياء في هذا الزمان.

- في احدي حلقات برنامجه علي قناة القاهرة والناس قال في مجموع الفتاوي ص ١١٨/ ٣٥ «سُئل بن تيمية عن الدروز والعلويين فقال هؤلاء الدرزية والنصيرية كُفار باتفاق المسلمين، لا يحل أكل ذبائحهم، ولا نكاح نسائهم، بل ولا يُقَرون بالجزية، فإنهم مرتدون عن دين الإسلام، ليسوا مسلمين، ولا يهود، ولا نصاري» ثم علق علي هذه الجملة فقال «لا يُقَرون بالجزية يعني يُقتلون» وهذا تدليس منه علي شيخ الإسلام لأن المقصود «لا يُقِرون بالجزية» ومن أجل ذلك هُم كُفار وليس كما قرأها إسلام بحيري، ولأن القارئ قد يستنكر تكفير شيخ الإسلام بن تيمية للدروز لأنهم أنكروا الجزية فقط لم يذكر هذا المُدلس بقية ما يُنكره هؤلاء من أصول الدين الإسلامي مع أن شيخ الإسلام ذكر كُل ذلك في السطر التالي

للفقرة التي نقلها اسلام بحيري إيهامـًا للقارئ أن ابن تيمية يكفرهم بإنكارهم الجزية فقط لعلمه أن ذلك سيستنكره العوام ثُم قال مُتهكمـًا من كلام بن تيمية «ابن تيمية يقول اتفق المسلمون علي ذلك، فين الاتفاق ده وجه منين؟ اكيد في الأوضة الضلمة اتفقوا».

- فلنقرأ ما قاله شيخ الإسلام كاملاً لنعرف مدي الكذب والتدليس الذي انتهجه هذا الكذاب: قال بن تيمية رحمه الله «هَؤُلَاءِ "الدُّرْزِيَّةُ" و "النُّصَيْرِيَّة" كُفَّارٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ لَا يَحِلُّ أَكْلُ ذَبَائِحِهِمْ وَلَا نِكَاحُ نِسَائِهِمْ؛ بَلْ وَلَا يُقَرُّونَ بِالْجِزْيَةِ؛ فَإِنَّهُمْ مُرْتَدُّونَ عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ لَيْسُوا مُسْلِمِينَ؛ وَلَا يَهُودَ وَلَا نَصَارَى لَا يُقِرُّونَ بِوُجُوبِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَلَا وُجُوبِ صَوْمِ رَمَضَانَ وَلَا وُجُوبِ الْحَجِّ؛ وَلَا تَحْرِيمِ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ الْمَيْتَةِ وَالْخَمْرِ وَغَيْرِهِمَا. وَإِنْ أَظْهَرُوا الشَّهَادَتَيْنِ مَعَ هَذِهِ الْعَقَائِدِ فَهُمْ كُفَّارٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِين» [1] إذن علة التكفير ذكرها شيخُ الإسلام

(١) الفتاوي جزء ٣٥ صـ ١٦١

كاملة فقال لأنهم يُنكرون الجزية ويُنكرون وجوب الصلوات ويُنكرون الصيام ويُنكرون الحج ويُحلون الخمر ويُحلون الميتة، فهل بعد هذا هُم مسلمون؟!!

- أما عن الاتفاق الذي اتفقه المسلمون في « الأوضة الضلمة» فهو اتفاق أئمة المسلمين وُعلماء الأُمة أن من أنكر معلومـًا من الدين بالضرورة فهو كافر كُفراً أكبراً مخرجـًا من الملة، ولن ننقل لصاحبنا من كُتب أهل العلم الذين لا يعترف بهم وإنما نكتفي بنقلٍ واحدٍ عن موقع دار الإفتاء المصرية وهو تعريف الكُفر شرعـًا علي مذهب الأزهر الشريف وليس مذهب بن تيمية رحمه الله، قالوا «والكُفْر شرعًا هو إنكار ما عُلم ضرورةً أنَّه من دين سيدنا محمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم كإنكار وجود الصَّانع، ونبوَّته وحرمة الزِّنا ونحو ذلك» [1] إذن مذهب الأزهر الشريف ودار الإفتاء المصرية أن من أنكر حرمة الزنا فهو كافر، وكذلك من أنكر وجوب الصلاة والزكاة والحج وغيرها من

(١) التكفير معناه وضوابطه – موقع دار الإفتاء المصرية – بتاريخ 17/10/2016

المعلومات من الدين بالضرورة وهذا مُتفق عليه بين أهل العلم والمسلمين كافة في النور وليس في غرف مُظلمة كما قال الكذاب إسلام بحيري، وظني أن إسلام بحيري عنده عُقده نفسية من الغرف المُظلمة فلربما أخذه أحدُهم في غرفة مُظلمة وهو صغير لا يعي فظن أن الجميع قد أُخذوا داخل الغرف المُظلمة وخرجوا منها بتلك العُقد النفسية!

البديع أن دار الإفتاء أبت أن تُنهي الفتوي دون أن تقرع إسلام بحيري قرعـًا شديداً علي قفاه فنقلت كلامـًا لشيخ الإسلام بن تيمية في نفس الفتوي لتستدل به لا علي تكفير بن تيمية للناس وإنما علي منعه من تكفير الناس إلا بدليل!

وتتمة فتوي دار الإفتاء المصرية السابقة نقلت كلام الشيخ ابن تيمية رحمه الله قال: «ولا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله، ولا بخطأ أخطأ به، كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة، فإن الله تعالى قال ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ

مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ وقد ثبت في الصحيح أن الله تعالى أجاب هذا الدعاء وغفر للمؤمنين خطأهم» [1] لكن إسلام بحيري بلا شك لا يُمكن أن ينقل مثل هذه النصوص لمتابعيه المساكين مع أنها من نفس المصدر الذي نقل منه وهو فتاوي شيخ الإسلام بن تيمية، لكنه أراد اثبات التكفير المطلق علي شيخ الإسلام ووصفُه بالتكفيري فبحث عن ما يؤيد رأيه لا عن الحق فأورد نفسه هذه المهالك وجعل من نفسه أضحوكة بين الخلق ولكن للأسف غره الظهور وفتنته الأضواء في دولة استُبدل القبيحُ فيها بالحسن وصدق قول الشاعر:

صروفُ الزمان تذل الفَطِن	وتُعلى الجهولَ وتُوهِى اللسِن
فما زال في غيه رافلاً	كثير الخبال عظيم الإحَن
فهذا الهبوط بذاك الصعود	وهذا القبيح بذاك الحسن
وهذا الملال بذاك الوصال	وهذا العناق بتلك العنن

(١) مجموع الفتاوى" ٣٣/ ٢٨٢

إذن تُهمة التكفير مُنتفية عن شيخ الإسلام بن تيمية لا بشهادتنا بل بشهادة دار الإفتاء المصرية ولله الحمد والمنة.

الشُبهة الثانية:

- شُبهة أُخري أوردها ذلك الصغير في إحدى حلقاته وهي تخص شيخ الإسلام بن تيمية أيضـًا إذ أن العداء مع بن تيمية أصيل في مناهج هؤلاء فقال «أن هُناك من ادعي الحنبلية ومنهم من ادعي أن لله **جوارح وأعضاء**، حتي ظهر بن تيمية وهو العتبة الفارقة في التاريخ الإسلامي، وما نحن فيه من انقسام وحروب وتكفير السُني للشيعي وتصنيف الناس إلي صوفي وشيعي وسُني كُل ذلك وأكثر سببه شخص اسمه **احمد بن تيمية بلا نظير**، والسلفيون يلخصون الإسلام في أحمد بن حنبل وهو منهم بريء، واحمد بن تيمية ثُم مُحمد بن عبد الوهاب» ثم نقل عن الكوثري في كتابه فرقان القُرآن صـ ١٦ قال «إن ابن تيمية هو شيخ إسلام أهل التجسيم» وقال بحيري مُعلقـًا علي كلام الكوثري: الكوثري هذا عالم كبير غني عن التعريف!

أولاً كُل ما قاله من أن معظم الحنابلة ليسوا علي مذهب ابن تيمية في الأصل وأن المذهب الحنبلي بريء من تلك العقائد التي اخترعها بن تيمية هو نفس ما قاله إمامه الكوثري في مقدمته علي كتاب «تبيين كذب المُفتري» فقد قسم الحنابلة إلي أشاعرة ومُفوضة، وقال «أن معظمهم كانوا حشويه علي طريقة السالمية والكرامية، لكنهم اتصلوا بعلماء المسلمين حتي كادوا أن تزول حشويتهم لولا جالية حرَّان بعد نكبة بغداد، حطوا رحالهم بالشام، ونبغ من بينهم رجلٌ – يقصد بن تيمية – فإذا هو يجري علي خُطة مُدبرة في إحلال المذهب الحشوي تحت ستار مذهب السلف». [1]

إذن هو نقل عقيدة الكوثري نقلاً ولم يجتهد أصلاً في البحث في عقائد السلف والمُبتدعة ليعرف هل رأي الكوثري صحيح أم غير صحيح ، المُهم عند إسلام بحيري أن رأي

(1) تبيس كذب المفيري صـ ١٩

الكوثري موافق لرأيه في عدائه لشيخ الإسلام بن تيمية فصح عنده النقل عنه دون تردد وهذه هي المنهجية العلمية عنده!

من هو الكوثري؟

هو مُحمد زاهد بن حسن الكوثري، ولد بالقسطنطينية ١٢٩٦هـ، انتقل من تركيا إلي دمشق ثم إلي القاهرة، وفي مصر هاجم عُلماءها تعصباً لمذهبه الحنفي الذي اشتُهر عنه حتي لُقب بمجنون أبي حنيفة، اشتُهر بكرهه لأهل الحديث وممن بين تحامله عليهم الشيخ أحمد الغماري في كتابه [1] حيث قال «لم يشكر لغير الحنفية نعمة، ولم يرع لهم حرمة بل جعلهم غرضاً لطعنه» ومع كراهية الكوثري لأهل الحديث وتحامُله عليهم كان سيء المُعتقد قال الشيخ عبد الرحمن بن يحي المُعلمي رحمه الله «أن الكوثري- بتعصبه هذا- أساء جداً حتى إلى الإمام أبي حنيفة رحمه الله ورضي عنه، ومع تعصب الكوثري لمذهبه ومغالاته فقد كان فيه انحراف في المعتقد

(١) بيان تلبيس المفيري محمد زاهد الكويري صـ٤٤

وعدول عن منهج السلف، وانحياز إلى مذهب الجعد والجهم، وميول إلى الاعتزال»[1] قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله إن الكوثري «اجتمعت فيه أمراض متنوعة من التقليد الأصم، والتمشعر بغلو وجفاء، والتصوف السادر، والقبورية المكبَّة للمخلوق عن الخالق»[2]، ولهذا يقول علامة الشام محمد بهجة البيطار «وجملة القول أن هذا الرجل لا يُعتد بعقله ولا بنقله ولا بعلمه ولا بدينه ، ومن يراجع تعليقاته يتحقق صدق ما قُلناه فيه»[3] وخُلاصة الأمر أن مُحمد زاهد الكوثري رجُل لا يُعتد برأيه في إمامٍ كابن تيمية رحمه الله، لكن رأيه وافق هوي إسلام البحيري فجعله إمامـًا وعلاَّمة يُعتَدُ برأيه.

والذي يهمني هُنا ليس الاسترسال في التعريف بالكوثري ومعتقده لكن فقط أحببت اعطاء نُبذه عنه لنعرف من هو العالم الذي ينقل عنه إسلام بحيري، والحق أن عداء

(١) التنكيل بما في يانيب الكوثري من الاباطيل صـ ٩

(٢) براءة أهل السنة صـ ٦

(٣) الكوثري وتعليقاته صـ ٩٢

الكوثري ليس مع بن تيمية فحسب ولكن مع جُل عُلماء المسلمين وسلف الأُمة، فقد رد علي بن خزيمة وسُفيان الثوري والأوزاعي وعبد الله بن أحمد بن حنبل وابن أبي حاتم واتهمه بالجهل بالتوحيد وسوء المعتقد والتشبيه، وكذلك رد علي الإمام عبيد الله الكعبري (بن بطة) وعلي عُثمان الدارمي و علي ابن المديني والدار قطني وبن حبان ونعيم بن حماد وغيرهم! [1]

مربط الفرس هُنا وسنام الأمر في الرد علي شُبهة أن بن تيمية هو ومن بعده خالفوا عقيدة الإمام أحمد والحنابلة الأُول في مسألة أن لله أعضاء كما سماها إسلام بحيري وهو كذب محض فلم يقل واحد من أهل العلم قديماً ولا حديثاً ولا ابن تيمية نفسه أن لله أعضاء وإنما قالوا «أسماء وصفات» وفارق كبير بين الكلمتين وهي شبهه قديمة تشبث بها الجهميةُ والمُعطلةُ وهي أن اليدين واليد والأصابع والقدم ونحوها جوارح وأعضاء فلو أثبتنا ذلك لله تعالى يلزم كونه متجزئا

---

(١) تعليقات العلامة س مانع علىٰ مقالات الكوثري صـ ٢٠

متبعضــاً متركبــاً ذا أبعـاض وجـوارح وأعضـاء، وهـذا باطـل بـلا شك وليس مقصوداً في كلام أهل العلم أبـداً ، بـل المقصـود أنهـا صـفاتٌ لله تعـالى وليسـت أجسـاماً ولا جـوارح ولا أبعاضــاً وأعضاء له سبحانه وتعالى.

السؤال هُنا: هل ما ذكرنا من إثبات الصفات لله تعالي هـو اعتقـاد الإمام أحمد بن حنبل موافقاً في ذلك لابن تيمية أم أنهمـا اختلفـا ؟ لنري.

قال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل رحمـه الله حَـدَّثَنِي أَبِي رَحِمَهُ اللهُ، عن يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ سُفْيَانَ، حَدَّثَنِي مَنْصُـورٌ، وَسُلَيْمَانُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: "يَـا مُحَمَّـدُ، إِنَّ اللهَ يُمْسِـكُ السَّـمَاوَاتِ عَلَى أُصْبُعٍ وَالْأَرَضِينَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالثَّرَى عَلَى أُصْبُعٍ، وَالْجِبَـالَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالْخَلَائِقَ عَلَى أُصْبُعٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ حَتَّـى بَـدَتْ نَوَاجِـذُهُ، وَقَـرَأَ (وَمَـا قَـدَرُوا اللهَ حَـقَّ قَـدْرِهِ) قَـالَ أَبِـي: قَـالَ يَحْيَـى: قَـالَ فُضَـيْلُ بْـنُ عِيَـاضٍ: فَضَـحِكَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ تَعَجُّبًا وَتَصْدِيقًا لَهُ. [1] يعني أن الإمام أحمد روي عن النبي ﷺ أنه ضحك لما روي له اليهودي هذا الخبر تصديقاً له أن الله يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ عَلَى أُصْبُعٍ وَالْأَرَضِينَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالثَّرَى عَلَى أُصْبُعٍ، وَالْجِبَالَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالْخَلَائِقَ عَلَى أُصْبُعٍ، وهذا اثبات أن الله ﷻ له أصبع وهذا هو فهم الإمام أحمد بن حنبل وابنه عبد الله الناقل عنه، لأن الإمام احمد قال في موضع آخر « صفوا الله بما وصف به نفسه، وانفُوا عن الله ما نفاه عن نفسه» [2] ولما سُئل عَنِ الأَحَادِيْثِ الَّتِي تُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ «إِنَّ اللهَ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا» فَقَالَ: نُؤْمِنُ بِهَا، وَنُصدِّقُ بِهَا، وَلاَ نَرُدُّ شَيْئاً مِنْهَا، إِذَا كَانَتْ أَسَانِيْدَ صِحَاحاً، وَلاَ نَردُّ عَلَى رَسُوْلِ اللهِ ﷺ قَوْلَه، وَنَعْلَمُ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ حقٌّ. [3]

هذا فيما يخص شبهة التجسيم التي نسبها إسلام بحيري لشيخ الإسلام لتعلموا أنها تُهم مُعلبة قديمة محفوظة ملَّ العلماءُ

---

(١) السنة لعبد الله س الإمام أحمد صـ ٢٦٤/١

(٢) سير اعلام النبلاء 10/591

(٣) سير اعلام النبلاء ٣٠٢/١١

من الرد عليها قديماً وحديثاً لكن أمثال إسلام بحيري يعتمدون علي ذاكرة الذُباب التي أصابت معظم الناس بالإضافة إلي الجهل المستشري الذي يجعل من تدليس ذلك الكذاب رايا يُسمع.

ثم اعقب إسلام بحيري كلامه بتُهم من تأليفه وهي أن بن تيمية هو سبب الانقسامات والحروب وتصنيف الناس إلي سُني وشيعي وصوفي وأصحاب أضرحة وغيرهم، وبعدما ألقي هذه التُهم لم يُدلل عليها بشق كلمة، بمعني أنه لم يشرح للمستمع احتراماً لعقله كيف أن بن تيمية هو صاحب فكرة تصنيف الناس المبتكرة والمبتدعة في زمانه بعد الهجرة بأكثر من ستمائة عام! بالرغم من أن جُل أهل العلم قسموا هذه التقسيمات للتمييز بين أهل الحق وأهل الباطل، بل وهي أخبار وآثار وصلت حد التواتر حتي أن القارئ يستحي من كمية الجهل الذي يطفح بها هذا الكائن الطفيلي!

نذكر طرفاً من تلك التقسيمان التي بدأها النبي ﷺ بنصوص واضحه هي من دلائل نبوته ومُفحمة لذلك الجاهل ومُبينة لكُل عاقل ان التقسيم سُنة كونية وليست من اختراع بن تيمية.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فرقة» [1]

وبالمناسبة والشيْء بالشيءِ يُذكر فإن الكوثري ضعف هذا الحديث! ورد عليه الشيخ الألباني رداً وافياً في كتابه سلسلة الأحاديث الصحيحة وقال أن الكوثري ضعف الحديث لورود زيادة «كُلها في النار إلا واحدة» مع أنها زيادة صحيحة وَرَدَت عن غير واحد من الصحابة بأسانيد جيدة كما قال بعض الأئمة،

(1) قال الالباني رحمه الله : أخرجه أبو داود (٢ / ٥٠٣ - طبع الحلبي) والترمذي (٣ / ٣٦٧) وابن ماجه(٢ / ٤٧٩) وابن حبان في " صحيحه " (١٨٣٤) والاجري في " الشريعة "(ص ٢٥) والحاكم (١ / ١٢٨) وأحمد (٢ / ٣٣٢) وأبو يعلى في " مسنده "(ق ٢٨٠ / ٢) من طرق عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعا به.وقال الترمذي: " حديث حسن صحيح ".وقال الحاكم: " صحيح على شرط مسلم ". ووافقه الذهبي.

وإنما تجاهَل ذلك كله الكوثري اتباعا منه للهوى، وإلا فمثله لا يخفى عليه ذلك. [1]

إذن صرح النبي ﷺ أن هُناك افتراق سيحصل لا محالة، وحذر من ذلك الافتراق وأمر بلزوم الجماعة ورسم لأصحابه وأُمته الطريق الذي سينجو سالكوه ويهلك مخالفوه.

لكن هل بن تيمية هو أول من سمي الشيعة والروافض والصوفية وغيرها من الفرق بهذه الأسماء ففرق بذلك الأُمة كما ذكر إسلام بحيري الكذاب؟ لنري.

- بن تيمة رحمه الله مولود في القرن السادس الهجري سنة ٦٦١هـ، وإنما أذكُر التاريخ لإثبات من قال قبله بتلك التقسيمات حتي لا ندع مجالاً لتكذيب أو تدليس.

- ابن أبي زيد القيرواني المالكي المتوفي سنة ٣٨٦هـ أي قبل مولد بن تيمية بـ ٢٧٥ سنة، يعني أكثر من قرنين ونصف من الزمان قال بالنص « وكذلك يستتاب **المرجئة** الذين يزعمون أن

(١) الصحيحة ١/٤٠٩

الإيمان قول بلا علم ، قال بن حبيب : وأما **الشيعة** فمن أحب منهم علياً ولم يقل على غيره من الصحابة فهذا ديننا ، ومن غلا إلى بغض عثمان والبراءة منه فليؤدب أدباً وجيعاً، ومن زاد في غلوه منهم إلى بغض أبي بكر وعمر مع عثمان وشبههم فالعقوبة عليه أشد ». [1]

- أبو قاسم الرافعي القزويني المُتوفي عام ٦٢٣ هـ، يعني قبل مولد بن تيمية بـ ٣٨ سنة قال « وأحمدُ – يقصد الإمام أحمد بن حنبل – ردَّ شهادة ثلاثةِ أصنافٍ؛ **القدريَّةِ**، **والجهمَّيةِ** **والروافضِ**» [2] والإمام أحمد متوفي عام ٢٤١ هـ يعني قبل مولد بن تيمية بأكثر من ٤٠٠ سنة**!**

- أما بن قُدامة المقدسي رحمه الله المتوفي سنة ٦٢٠هـ قبل مولد بن تيمية بقرابة أربعين سنة قال « **قَالَ مَالِكٌ** رحمه الله تعالي : **لَا يُصَلَّى عَلَى الْإِبَاضِيَّةِ، وَلَا الْقَدَرِيَّةِ**، وَسَائِرِ أَصْحَابِ

(١) النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الامهات ٥٤٥/١٤

(٢) العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير ٣١/١٣

الْأَهْوَاءِ، وَلَا تُتْبَعُ جَنَائِزُهُمْ، وَلَا تُعَادُ مَرْضَاهُمْ. وَالْإِبَاضِيَّةُ صِنْفٌ مِنْ **الْخَوَارِجِ**، نُسِبُوا إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ إِبَاضٍ، صَاحِبِ مَقَالَتِهِمْ ، **وَالْأَزَارِقَةُ** أَصْحَابُ نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ. **وَالنَّجَدَاتُ** أَصْحَابُ نَجْدَةَ الْحَرُورِيِّ ، **وَالْبَيْهَسِيَّةِ** أَصْحَابُ بَيْهَسٍ ، **وَالصُّفْرِيَّةُ** قِيلَ: إِنَّهُمْ نُسِبُوا إِلَى صُفْرَةِ أَلْوَانِهِمْ، وَأَصْنَافُهُمْ كَثِيرَةٌ. **وَالْحَرُورِيَّةُ** نُسِبُوا إِلَى أَرْضٍ يُقَالُ لَهَا: حَرُورَاءَ خَرَجُوا بِهَا. [1]

وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ: لَا أُصَلِّي عَلَى **الرَّافِضِيِّ**؛ لِأَنَّهُ زَعَمَ أَنَّ عُمَرَ كَافِرٌ، وَلَا عَلَى الْحَرُورِيِّ؛ لِأَنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّ عَلِيًّا كَافِرٌ. [2]

والإمام مالك في الرواية السابقة متوفي سنة ١٧٩هـ، أي قبل مولد بن تيمية بـ ٤٨٢ سنة يعني قرابة خمس قرون كاملة! ، وأبو بكر بن عياش متوفي سنة ١٩٣ هـ، أي قبل مولد بن تيمية بـ ٤٦٨ سنة، وكُل هؤلاء صنفوا وقسموا وأثبتوا تلك الأسماء التي

(١) المغني ٨/٥٣٥

(٢) المصدر السابق

يدعي الكذاب إسلام بحيري أنها من اختراع وابتداع بن تيمية في القرن السابع الهجري!! فبماذا نرد عليه؟

والعجيب أن يُصدق هذا الكلام لأنه يعلم أن أحداً لن يُتابع ويبحث ليعلم صدقَه من كذبه فصار بذلك باحثاً وعالماً تُصدره الشاشات ليكون مُعظماً عند الناس، و ليس أبلغ من قول الشاعر:

وليس عجيباً أن يُحقرَ عالمٌ لدى ضِدِّه أو أن يُوَقَّرَ جاهلُ
فقد ربما للجَدِّ يكرمُ ناهقٌ فيُملى له المرعَى ويُحرمُ صاهلُ
وقد يلبسُ الديباجَ قردٌ ولُعبةٌ وتؤتى لأعناقِ الأسودِ السلاسلُ

الشبهة الثالثة:

في إحدى حلقات إسلام بحيري علي قناة القاهرة والناس وتحت عنوان مفتي الدم وسفاح الكون بن تيمية! قال «كتاب بن تيمية الفتاوي هو كتاب للقتل والدم فقط فهو يدعوا للدم في كُل صفحة من صفحاته!» ثم قال «فقهاء المذاهب الأربعة في عصر بن تيمية فسقوه وبدعوه أربع مرات» وهؤلاء

الأئمـة يـوم القيامـة في رقبـتهم كُـل الـدم الـذي سُـفك في مئـات السنين!

ثـم قـال «قـال بـن تيميـة في كتـاب الفتـاوي خَاطَـبَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحُدُودِ وَالْحُقُوقِ خِطَابًا مُطْلَقًا» وعلق علي كـلام بـن تيمية قائلاً «يعني الحـدود خطـاب لينـا كُلنـا يعنـي نُقيمهـا، يعنـي فاجلدوا واقطعوا لكل احد فتكون غابة».

ثم نقل من كتاب الفتـاوي نصـًا وكالعـادة اقتطـع منـه مـا ينقض كلامه فقال «قال بن تيمية في كتاب الفتاوي يجـب تطبيـق الحـدود مـن ذي السـلطان ونوابـه، وللأمـة إمـام واحـد والبـاقون نوابه، فإذا فرض أن الأمة خرجت عـن ذلـك لمعصـية وكـان لهـا عـدة أئمـة، لكـان علـي كُـل إمـام أن يُقـيم الحـدود، ولـذلك قـال العلماء لو أنهـم لـو صـاروا أحزابـا لوجـب علـي كـل حـزب فعـل ذلك علي أهل طاعته، فهـذا عـن تفـرق الأمـراء وتعـددهم، لَكـن طاعتهُمْ لِلْأَمِير الْكبِير لَيْستْ طَاعة تَامة؛ فإن ذلك أَيضا إذا أُسْقطَ عَنْه إلْزامهمْ بـذَلِكَ لَـمْ يسـقطْ عـنْهمْ الْقِيـام بِـذَلِكَ؛ بَلْ عَلَيْهمْ أَنْ

يُقِيمُوا ذَلِكَ، وكذلك لو فُرض عجز بعض الأُمراء عن إقامة الحدود والحدود أو إضاعته لذلك لكان ذلك الفرض علي القادر عليه، وقول من قال لا يقيم الحدود إلا السلطان ونوابه إذا كانوا قادرين فاعلين بالعدل ، كما يقول الفقهاء إنما هو للحاكم القادر العادل، فإذا كان مضيعاً لأموال اليتامي لم يجب تسليمها إليه مع إمكان حفظها بدونه» ثم علق اسلام بحيري علي كلام شيخ الإسلام قائلاً «وهذا هو الموجود الآن بيننا فهم يحكمون وينفذون بأيديهم وعندهم الأمثلة، ومعني كلامه أن الإمام لو موجد ومعملش الحدود قوم اعمل، ولو منفذش قوم اعمل الحد بإيدك لأي حد» هكذا قال الكذاب إسلام بحيري.

من الضروري أن أنقل كلام بن تيمية نصاً قبل التعليق عليه وهو في الفتاوي قال رحمه الله «خَاطَبَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحُدُودِ وَالْحُقُوقِ خِطَابًا مُطْلَقًا كَقَوْلِهِ: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا) وَقَوْلِهِ: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا) وَقَوْلِهِ: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ)

وَكَـذَلِكَ قَوْلُـهُ: (وَلَا تَقْبَلُـوا لَهُـمْ شَـهَادَةً أَبَـدًا) لَكِـنْ قَـدْ عُلِـمَ أَنَّ الْمُخَاطَبَ بِالْفِعْلِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قَادِرًا عَلَيْهِ وَالْعَاجِزُونَ لَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ هَذَا فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ وَهُوَ مِثْلُ الْجِهَادِ؛ بَلْ هُـوَ نَـوْعٌ مِـنْ الْجِهَـادِ ، فَقَوْلُـهُ: (كُتِـبَ عَلَـيْكُمُ الْقِتَـالُ) وَقَوْلُـهُ: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ) وَقَوْلُهُ: (إلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ) وَنَحْوَ ذَلِكَ هُوَ فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ مِنْ الْقَادِرِينَ و " الْقُدْرَةُ " هِيَ السُّلْطَانُ؛ فَلِهَذَا: وَجَبَ إقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى ذِي السُّلْطَانِ وَنُوَّابِهِ.

وَالسُّنَّةُ أَنْ يَكُونَ لِلْمُسْلِمِينَ إمَامٌ وَاحِدٌ وَالْبَاقُونَ نُوَّابُهُ فَإِذَا فُرِضَ أَنَّ الْأُمَّةَ خَرَجَتْ عَنْ ذَلِكَ لِمَعْصِيَةٍ مِنْ بَعْضِهَا وَعَجْزٍ مِنْ الْبَاقِينَ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ فَكَانَ لَهَا عِدَّةُ أَئِمَّةٍ: لَكَانَ يَجِبُ عَلَى كُلِّ إمَامٍ أَنْ يُقِيمَ الْحُدُودَ وَيَسْتَوْفِيَ الْحُقُوقَ؛ وَلِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ إنَّ أَهْلَ الْبَغْيِ يُنَفَّذُ مِنْ أَحْكَامِهِمْ مَا يُنَفَّذُ مِنْ أَحْكَامِ أَهْلِ الْعَدْلِ؛ وَكَذَلِكَ لَوْ شَارَكُوا الْإِمَارَةَ وَصَارُوا أَحْزَابًا لَوَجَبَ عَلَى كُلِّ حِزْبٍ فِعْلَ ذَلِكَ فِي أَهْلِ طَاعَتِهِمْ فَهَذَا عِنْدَ تَفَرُّقِ الْأُمَرَاءِ وَتَعَدُّدِهِمْ وَكَذَلِكَ لَوْ لَمْ يَتَفَرَّقُوا؛ لَكِنْ طَاعَتُهُمْ لِلْأَمِيرِ الْكَبِيرِ

لَيْسَتْ طَاعَةً تَامَّةً؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَيْضًا إذَا أُسْقِطَ عَنْهُ إلْزَامُهُمْ بِذَلِكَ لَمْ يَسْقُطْ عَنْهُمْ الْقِيَامُ بِذَلِكَ؛ بَلْ عَلَيْهِمْ أَنْ يُقِيمُوا ذَلِكَ؛ وَكَذَلِكَ لَوْ فُرِضَ عَجْزُ بَعْضِ الْأُمَرَاءِ عَنْ إقَامَةِ الْحُدُودِ وَالْحُقُوقِ أَوْ إضَاعَتِهِ لِذَلِكَ: لَكَانَ ذَلِكَ الْفَرْضُ عَلَى الْقَادِرِ عَلَيْهِ. وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: لَا يُقِيمُ الْحُدُودَ إلَّا السُّلْطَانُ وَنُوَّابُهُ. إذَا كَانُوا قَادِرِينَ فَاعِلِينَ بِالْعَدْلِ. كَمَا يَقُولُ الْفُقَهَاءُ: الْأَمْرُ إلَى الْحَاكِمِ إنَّمَا هُوَ الْعَادِلُ الْقَادِرُ فَإِذَا كَانَ مُضَيِّعًا لِأَمْوَالِ الْيَتَامَى؛ أَوْ عَاجِزًا عَنْهَا: لَمْ يَجِبْ تَسْلِيمُهَا إلَيْهِ مَعَ إمْكَانِ حِفْظِهَا بِدُونِهِ وَكَذَلِكَ الْأَمِيرُ إذَا كَانَ مُضَيِّعًا لِلْحُدُودِ أَوْ عَاجِزًا عَنْهَا لَمْ يَجِبْ تَفْوِيضُهَا إلَيْهِ مَعَ إمْكَانِ إقَامَتِهَا بِدُونِهِ. وَالْأَصْلُ أَنَّ هَذِهِ الْوَاجِبَاتِ تُقَامُ عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ. فَمَتَى أَمْكَنَ إقَامَتُهَا مِنْ أَمِيرٍ لَمْ يُحْتَجْ إلَى اثْنَيْنِ وَمَتَى لَمْ يَقُمْ إلَّا بِعَدَدِ وَمِنْ غَيْرِ سُلْطَانٍ أُقِيمَتْ إذَا لَمْ يَكُنْ فِي إقَامَتِهَا فَسَادٌ يَزِيدُ عَلَى إضَاعَتِهَا فَإِنَّهَا مِنْ " بَابِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ "فَإِنْ كَانَ فِي ذَلِكَ مِنْ فَسَادِ وُلَاةِ الْأَمْرِ أَوْ

الرَّعِيَّةِ مَا يَزِيدُ عَلَى إِضَاعَتِهَا لَمْ يُدْفَعْ فَسَادٌ بِأَفْسَدَ مِنْهُ. وَاَللَّهُ أَعْلَمُ». [(١)]

معلوم أن الكلام سياق وسباق ولحاق، وآخر الكلام يُفسر أوله، وأول الكلام يحتاج إلي تمامه، والفهم الصحيح لا يكون صحيحاً إلا إن رُبط أول الكلام بآخره وآخره بأوله لتكتمل المباني وتنضبط المعاني، وهذه الفقرة من الفتاوي تعامل معها إسلام بحيري كعادته بشرحها علي هواه هو وليس علي مُراد كاتبها بل وشتت القارئ وضلله عن المعني، وهو من باب التدليس الأعمى استغباءً منه لمتابعيه، فشيخ الإسلام بن تيمية في كلامه لم يتعرض لآحاد الناس بل كلامه كُله مبني علي الحاكم أو من ينوب عنه أو من يكون رأساً لجماعة ما أو حزب ما في غير وجود حاكم واحد وهذا إن افترضنا أن الأمة متفرقة فعلياً ولا يقوم علي أمرها أحد، وقوله أن كلام بن تيمية ينطبق علي زماننا ودولتنا هذا فهمه هو وإلا من قال ذلك الآن من

(١) الفتاوي ١٧٥/٣٤

عُلماء المسلمين التابعين لابن تيمية؟ هل دلل علي فهمه بشيء من كلام أهل العلم؟ لا بل هو من باب التدليس أيضـًا، والدليل أن الكُل يدين لحاكم البلاد بالطاعة في غير معصية الله، أما مقصد شيخ الإسلام من كلامه «لَكَانَ ذَلِكَ الْفَرْضُ عَلَى الْقَادِرِ عَلَيْهِ» يعني من هذه الأحزاب التي علي رأس كُل منها أمير أو حاكم يدينون له بالطاعة في غير وجود إمام للمسلمين أو في حال تفرقهم إي فرق علي رأس كُل منها أمير وليس لآحاد الناس، ولم يتطرق بن تيمية أبداً في حديثة في هذه الفقرة إلي آحاد الناس.

ولو أن إسلام بحيري كلف نفسه عناء البحث وأكمل القراءة إلي الفصل التالي للفصل الذي نقل منه هذه الفقرة لوجد ما لا يسره، لأن شيخ الإسلام في الفتوي التالية لهذه الفتوي وضح مراده بمثال لا يقبل التشكيك فقال رحمه الله لما سُئل عَنْ امْرَأَةٍ مُزَوَّجَةٍ بِزَوْجٍ كَامِلٍ وَلَهَا أَوْلَادٌ فَتَعَلَّقَتْ بِشَخْصٍ مِنْ الْأَطْرَافِ أَقَامَتْ مَعَهُ عَلَى الْفُجُورِ؛ - يعني زنت - فَلَمَّا ظَهَرَ

أَمْرُهَا سَعَتْ فِي مُفَارَقَةِ الزَّوْجِ: فَهَلْ بَقِيَ لَهَا حَقٌّ عَلَى أَوْلَادِهَا بَعْدَ هَذَا الْفِعْلِ؟ وَهَلْ عَلَيْهِمْ إثْمٌ فِي قَطْعِهَا؟ وَهَلْ يَجُوزُ لِمَنْ تَحَقَّقَ ذَلِكَ مِنْهَا قَتْلُهَا سِرًّا ؟ وَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ غَيْرُهُ يَأْثَمُ؟

انظر إلي جواب بن تيمية لتعلم الصدق من الكذب، قال رحمه الله وطيب ثراه «الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْوَاجِبُ عَلَى أَوْلَادِهَا وَعُصْبَتِهَا أَنْ يَمْنَعُوهَا مِنْ الْمُحَرَّمَاتِ فَإِنْ لَمْ تَمْتَنِعْ إلَّا بِالْحَبْسِ حَبَسُوهَا؛ وَإِنْ احْتَاجَتْ إلَى الْقَيْدِ قَيَّدُوهَا. وَمَا يَنْبَغِي لِلْوَلَدِ أَنْ يَضْرِبَ أُمَّهُ. وَأَمَّا بِرُّهَا فَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهَا بِرَّهَا وَلَا يَجُوزَ لَهُمْ مُقَاطَعَتُهَا بِحَيْثُ تَتَمَكَّنُ بِذَلِكَ مِنْ السُّوءِ ؛ بَلْ يَمْنَعُوهَا بِحَسَبِ قُدْرَتِهِمْ ، وَإِنْ احْتَاجَتْ إلَى رِزْقٍ وَكِسْوَةٍ رَزَقُوهَا وَكَسَوْهَا **وَلَا يَجُوزُ لَهُمْ إقَامَةُ الْحَدِّ عَلَيْهَا بِقَتْلٍ وَلَا غَيْرِهِ وَعَلَيْهِمْ الْإِثْمُ فِي ذَلِكَ**» فإن كان مقصد شيخ الإسلام أن إقامة الحد لآحاد الناس أوليس أبناء تلك المرأة وأقاربها من آحاد الناس وعليهم القيام بحق الله ورجم هذه المرأة؟ فكر وتأمل.

ثم نتعجب أشد العجب من استنكاره الشديد علي إقامة الحدود والعقوبات وعدم استنكاره أن يكون الحاكم مُضيعًا لهذه الحقوق والحدود، وماذا سيكون رد فعله لو كان الحق الضائع هو حقه هو، هل لو قُتل ابن له أو اغتُصبت بنت له ولم يجد قانونًا يعطيه حقه ويقتص له من قاتل ابنه او مغتصب بنته هل سيكون بنفس الهدوء النفسي ويُدافع عن موقفه أم سنراه متربصًا بمن تيقن أنه المجرم القاتل أو المُغتصب؟!! ثم العجب الأشد من كراهية هؤلاء للشريعة والحدود من الأساس، وكثيراً ما أتساءل، ما يضُر هؤلاء إن قُطعت يدُ السارق إلا إذا كانوا سارقين؟! وما يضرهم إن قُطعت عنق القاتل؟ وما الفارق الجوهري عندهم بين قطع العنق بضربة سيف أو بالإعدام شنقًا؟ لماذا استبشعوا الحُكم الرباني بينما استحسنوا الحُكم الإنساني والأحكام الوضعية؟ هل لأنها مستوردة من فرنسا ونحن نعبد الغرب؟ أم أنها كراهية الشريعة؟ إنها كراهية

الشريعة (قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ).

ومع ذلك نحن وكُل منتمي إلي الفهم الصحيح للإسلام ندين الله عز وجل أن الحدود هي دين الله وأن الأُمة الإسلامية ما تخلفت إلا يوم تخلت عن شرع الله وحَكَمت القوانين الوضعية ولو أن الحدود طُبقت لساد العدل بين الناس، وإنما ساد الظُلم يوم تخلينا عن حكم ربنا واستبدلناه بحكم البشر.

ثانيـًا: عداؤه لكُتب التُراث:

هذا هو حقيقة العداء، فهو عداء لكُتب التراث، بل وللسُنة النبوية، ولكنها سُنة التدرج التي وضعها لهم إبليس في نشر باطلهم، فلو أنه اصطدم مباشرة بالقرآن لن يسمعه أحد، وإنما الخُطة تبدأ دائمـًا من الطعن علي الأئمة كابن تيمية ثُم تشكيكهم في المصادر، ثم ضرب النص بالعقل كي يصل الإنسان في النهاية إلي الشك في دين الله ومن ثم إلي الالحاد بعد ذلك.

العداء مع كُتب التراث يكون غالباً مبني علي الأحداث الإرهابية التي تحدث في واقعنا تحت اسم (عمل جهادي أو عمل استشهادي) وهذا ما ذكره اسلام بحيري لما سأله الإعلامي عمرو أديب عن تعليقه علي تفجير الكنيسة البطرسية فقال إسلام بحيري «هذا الإرهاب هو وليد كتب التراث، والذين يعتقدون أن الآخر كافر هذه هي عقيدتهم، القنبلة الحقيقة هي ليست التي انفجرت في الكنيسة، وانما القنبلة الحقيقية في الكُتب التراثية لأنها ستصنع الف ارهابي وانتحاري» ثم قال مُتهكماً علي علماء الأزهر أن علماء الأزهر يقولون عن هذه الكُتب أنها تُراث الإسلام العظيم.

لكن كيف فهم اسلام بحيري أن كتب التراث هي التي تصنع الإرهاب؟ هل لأنه باحث ويستطيع البناء علي قواعد البحث والفهم الصحيح يصل إلي هذه النتائج العبقرية؟

اعلم أيها القارىء الكريم أن إسلام بحيري يعتمد في فهمه علي مجرد الذوق والحس! لا علي قواعد الفهم والبحث،

وهذا ما صرح هو به في حلقة علي قناة القاهرة والناس قال فيها «من حق أي مسلم أن ينقد الفكر الماضي بذوقه وحسه وليس بأي شيء آخر، وهكذا التراث من حق المسلم أن يقبل أو لا يقبل بدون علم، بَلا سند بَلا متن بَلا بُخاري! من حقي آكل الأكلة دي أو ارفضها لأنها مش من عند ربنا! والذي يعتقد أن كُل حديث في البخاري صحيح دا شيء مُضحك! حتي لو كان الرأي هو إجماع المذاهب من حقك أن ترفض ذلك وتقول «مع نفسهم!»».

هكذا وبمنتهي الصفاقة والحُمق يتعامل مع كُتب التُراث ، إذن حينما يريد هو فهم النص المنقول عن بن تيمية او بن القيم او أي إمام من الأئمة سيتعامل معه بنفس الحس، فابن تيمية لو قال «الإسلام هو دين الحدود» فهذا معناه أن بن تيمية دموي وأنه يقول من حق كُل مسلم إقامة الحد بنفسه، محمد بن عبد الوهاب لو قال «كل من هو علي غير الإسلام فهو علي الكفر» فهذا معناه أنه يُكفر العالم بأسره ويطلب من الأتباع قتل

هؤلاء الكفرة وذبحهم علي المنصات، وبناءً عليه فإن داعش تابعة لمحمد بن عبد الوهاب وابن تيمية، وكذلك طالبان وجماعات الإرهاب المُسلح وولايات سيناء الإرهابية وغيرها في العالم ما هُم إلا نتاج هذا الفكر التيمي الوهابي!

هكذا يَفهم إسلام بحيري ويدعوا الناس أن يفهموا، حَكِموا الذوق والحس واحكموا علي آيات الله وأحاديث النبي وأقوال العلماء «بلا بخاري بلا مسلم!» لكن ثق تماماً قارئي الكريم أنه لا يريدك أن تُفكر كما فكر هو، بل يُريد منك أن تقبل ما عرضه هو وتعتقده، ودل علي ذلك كثرة طلبه في البرنامج من المشاهدين أن يُصدقوا ما يقول لهم، مع أن المفترض بناءً علي منهجه الحسي الذوقي أن يطرح ما عنده ويترك الناس يتذوقون ثم يقبلون أو يرفضون وأن يتعاملوا مع كلامه بنفس المنهج الذي يريده مع كتب التراث، لكن الأمر ليس كذلك، ولكن الأمر أنه تذوق وأحس وانتهي الأمر والمطلوب من المشاهد أن يتلقى ويقتنع بلا تفكير.!

شبهه أخري طرحها إسلام بحيري، هل الإسلام دين ودولة؟

السؤال الذي طرحة إسلام بحيري هو "ما هو تعريف الدولة الاسلامية التي هي ليست دينية"، وأعتقد أنه يعلم تماماً الفرق بين الدولة الاسلامية والدولة الدينية بمعني الثيوقراطية لكنه يروغ كما تروغ الثعالبُ، والواقع أن الإسلام كان دين ودولة من أول يوم، ولم تظهر في تاريخ الاسلام هذه العبارة قط، وإنما ظهرت في أوروبا في نهاية العصور الوسطي، في مطلع القرن الثامن عشر الميلادي، وكان هُناك أسباب لظهور هذه العبارة في هذه الأوقات أهمها طُغيان الحكَّام واستبدادهم وقهْرهم لشعوبهم: حيث كان يوجد ما يُعرَف بالحُكم الثيوقراطي أو الحُكم الإلهي المطلَق، ويعني ذلك أنَّ الملِك يحكُم باسمِ الله، وأنَّه خليفة الله في الأرض، ولأنَّه كذلك فهو فوق المساءلة، ولا يملك أحدٌ كائنًا مَن كان أن يحاسبَه على أعماله، ولأجْل إضفاءِ هذه الصبغة الدينيَّة على هذا النوع مِن الحُكم فقدْ عمد الملوك إلى الاستعانة بالكنيسة، ممَّا أوجد

تزاوجًا بيْن الدِّين والسياسة ترتَّب عليه منْح الكنيسة كثيرًا مِن الصلاحيات والسُّلطات الواسِعة التي أدَّت بها هي الأخرى إلى وجودِ صورة بَشِعة لاستبداد رجالِ الدِّين، وأدَّى ذلك في نهايةِ المطاف إلى قهْر الناس، وظُلمهم واستعبادِهم وإفقارِهم، وحُكمهم بالحديد والنار، وذلك كله تحتَ مسمَّى الدين [1] وفارق كبير بين هذا المعني الذي أعتقد أن إسلام بحيري يعرفه وبين الدولة الإسلامية التي نقصدها، ولكنه التدليس على الناس.

على أي حال هذه دعوي قديمة في مصر، ظهرت قبل أن يولد الجد الأكبر لإسلام بحيري، فكانت بدايتها وبذرتها الأولي عام ١٩٢٥، وكان صاحب الدعوي الشيخ على عبد الرازق وكان أحد شيوخ الأزهر، وقوبلت الدعوي بالترحيب من التنويريين ومن سار على دربهم، وقد حوكِمَ الكتاب والمؤلف

---

[1] الاسلام دين ودولة – مقال بموقع الإلوكة بتاريخ ٢٠١١/١٢/١٧

من قبل هيئة العلماء بالأزهر في عام ١٢/ ٨/ ١٩٢٥م وصدرت ضده إدانة أخرجته من زمرة العلماء.[1]

والرد العلمي علي هذه الشبهة وغيرها سيكون من القرآن والسُنة والعقل بما أنهم يُقدسون العقل ويدعون احترامه، وإلا فنحن يكفينا قال الله قال رسوله لنُصدق، والله عز وجل قال في محكم التنزيل ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِينًا﴾[2] فليست المسألة عندنا بالهوي والمزاج، وليست بتحكيم العقل والمنطق، ولكن بالتصديق المُباشر إن قال الله أو قال الرسول ﷺ وهكذا يكون الإيمان إذا وقر في قلوب المسلمين لا يُحتاج معه إلا فلسفة وفذلكة ممن يدعون العقلانية، ولا أدري كيف سيحكمون عقولهم في قضايا

---

(١) موقع اسلام ويب

(٢) الاحزاب ٣٦

كالروح مثلاً؟ لن يجد لعقله مكان وسيضطر إلي الرجوع إلي القرآن والسُنة لحل هذه المُعضلة ، لكنه الكِبر الذي أعياهم.

أما عن الأدلة القرآنية والنبوية على وجود الدولة الإسلامية فهي كالتالي:

- الدليل الأول قول الله تعالي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ ﴾ (١)

هذا أمر صريح من الله ﷻ برد أى خلاف كان إلي كتاب الله وسُنة النبي ﷺ قال بن كثير رحمه الله "فَدَلَّ عَلَى أَنَّ من لم يتحاكم في محل النِّزَاعِ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَا يَرْجِعْ إِلَيْهِمَا فِي ذَلِكَ فَلَيْسَ مُؤْمِنًا بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ" (٢)

وقال تعالي (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ

(١) النساء: ٥٨ - ٥٩

(٢) تفسير بن كثير ٣٠٤/٢

أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا)[1] وقال تعالي بعدها (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ) وفى نفس السورة يقول الله تعالي (وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ)[2] وهذه كلها تدل على أنه لا يجوز لأحد أن يحكم إلا بما أنزل الله، وأن الحكم بما أنزل الله هو القسط والعدل، وأن ما عداه هو الجور والظلم والكفر.

وقوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلاَ تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾.

شُبهة أخيرة طرحها إسلام بحيري سن الزواج في الإسلام:

كتب خالد البري [3] في موقع دوت مصر مقالاً قصيراً بعنوان (نسألهم مع إسلام البحيري: أترضاه لابنتك "المربربة"؟) مستنكراً الحديث عن زواج الصغيرات الذي طرح

(1) المائدة: ٤٨ – ٥٠

(2) المائدة ٤٢

(3) المقال بتاريخ ٢٠١٤٥/٤/٧

موضـــوعه اســـلام بحيـــري دون أدني حياديـــة أو موضـــوعية في الطرح، حيث ظهر الموضوع وكأنه نوع من أنواع الاغتصاب أو بيع الفتيات في سوق النخاسة، والأكيد أن الكاتب المغمور خالد البري وغيره لا يعرف شيء عن هذه المعلومة إلا ما ذكرة اسلام بحيري!! فأصبح اسلام مصدراً لهؤلاء!! والله المستعان ..

سأبدأ في هذه المسألة بالرد العقلي..

دعونا نتفق أن الخلاف هنا حول سن الزواج، وهنا نسأل هل للسن علاقة بالإدراك والاستطاعة والعقل في المواثيق الدولية ؟ لنري ..

في اتفاقية الرضا بالزواج، والحد الأدنى لسن الزواج، وتسجيل عقود الزواج بالجمعية العامة للأمم المتحدة [1]

ونحن نعلم انهم يحترمون أمريكا وقوانينها، فيها نص يقول "للرجل والمرأة، متى أدركا سن البلوغ، حق التزوج

---

(1) https://www1.umn.edu/humanrts/arabic/b064.html

وتأسيس أسرة، دون أي قيد "وفى قائمة الدول المشتركة في الاتفاقية تجد أن كل دولة قد حددت السن الغالب على مواطنيها البلوغ فيه، فتجد في البرازيل سن البلوغ واحد وعشرين عامًا، بينما فنزويلا تبلغ الإناث فيها عند عُمر الرابعة عشر!! فهل من اعتراض من الاستاذ إسلام وشلته على اتفاقيات الأمم المتحدة؟

ليس هذا فحسب بل تجد دولة كـ "قرغيزستان" يصل سن الزواج فيها لعشر سنوات للفتيات [1]، وهذا هو سن البلوغ الذي حددته الاتفاقية والتي لم تحدد سن معين وإنما ربطت الموضوع بالبلوغ، ولاحظ معي أنهم ربطوا السن بالبلوغ وليس بالإدراك والوعي والعقل وإنما قالوا البلوغ فقط كافي للزواج، وذلك لأن البلوغ دليل على بدء الإدراك والوعي، فهل من اعتراض على قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة؟!!!

([1])http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AD%D8%AF_%D8%A3%D8%AF%D9%86%D9%89_%D9%84%D8%B3%D9%86_%D8%A7%D9%84%D8%B2%D9%88%D8%A7%D8%AC#cite_note-convention-1

إذن أما وأن أخرجتنا الجمعية العامة للأمم المتحدة من ورطة تحديد السن، وحددت الزواج بسن البلوغ فمسألة البلوغ هذه متفاوتة بشكل كبير، وقد أثبتت الدراسات والبحوث التي تناولت سن البلوغ الطبيعي عند الإناث تحديداً ان يحدث البلوغ بشكل طبيعي ما بين عُمر ٨ سنوات و١٦ عامًا، بل قد يحدث البلوغ في سن مُبكر يصل الى ست سنوات، وهُنا نحتاج أن نُعرف البلوغ لنخلص إلي نتيجة هامة..

التعريف السهل للبلوغ أنه الفترة الانتقالية من مرحلة الطفولة إلى مرحلة النضوج، وشرعًا هو انتهاء مرحلة الصغر والدخول في مرحلة التكليف، والتعريف الشرعي لن يختلف عليه عاقلان، وهو تعريف الأزهر ومجمع البحوث العلمية المصرية ودار الافتاء السعودية والكويتية وكل مجامع البحوث التي لا تخطر على بال اسلام بحيري ، وهُنا السؤال:

هل لو وصلت الفتاة لسن التكليف (الشرعي) تكون عاقلة ومدركة أم تكون غير عاقلة ولا مُدركة؟ وهل شرط في

الزواج الإدراك لمعاني الزواج الخاصة كأن تعرف تفاصيل ما يحصل بينها وبين الزوج وكيف يحصل ذلك والدخول في دقائق الأشياء؟؟؟

إن قال الأستاذ إسلام بحيري نعم يجب أن تكون على علم بذلك ألزمناه بالدليل الشرعي الذي لم يذكر أن هذا من شروط الزواج، ثُم ألزمناه باتفاقية الجمعية العامة للأمم المتحدة حيث أنها أيضاً لم تذكر ذلك..

التأصيل الشرعي للمسألة، والذي يكفينا دون الحاجة لجمعيات الأمم المُتحدة فهو أن الشرع لم يحُدد سناً معينة للنكاح، سواء في ذلك الزوج أو الزوجة ، قال تعالى: (وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ) [1] قال السعدي رحمه الله (وَاللائِي لَمْ يَحِضْنَ) أي: الصغار، اللائي لم يأتهن الحيض بعد، والبالغات اللاتي لم يأتهن حيض بالكلية، فإنهن كالآسيات، عدتهن ثلاثة

(١) الطلاق ٤

أشهر" (١) وقد تزوج النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها وهي بنت ست سنين، وأُدخلت عليه وهي بنت تسع (٢) وبالرغم من ذلك فقد حد العُلماء زواج الصغيرة بوجود المصلحة الداعية لذلك، كأن يزوج الفتاة أبوها لرجل صالح عالم وننقل لكم طرفاً من ذلك:

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله "وليّها يقوم مقامها إذا رأى المصلحة أن يزوّجها وهي صغيرة، بأن يزوجها من رجل صالح، أو من عالم تقي؛ لأن لها مصلحة في ذلك، كما زوّج الصدِّيق رسول الله ﷺ هذه الطفلة الصغيرة التي هي في سن السابعة، وهي في هذا السن ليس لها إذن، لكن وليّها يقوم مقامها إذا رأى المصلحة" (٣) بل ضُيقت المسألة أكثر من ذلك فاشترط أهل العلم لذلك أن يكون الأب مُسلم تقي يُراعي مصلحة أولادة ويعلم حقوقهم كما ذكر ابن وهب عن مالك في تزويج

(١) تفسير السعدي صـ ٨٧٠
(٢) البخاري رقم ٤٨٤٠ ، ومسلم رقم ١٤٢٢
(٣) اعانة المستفيد ٣٢٩/١

الرجل يتيمه قال: إذا رُأى له الفضل والصلاح والنظر أن ذلك جائز له. [1]

وقال النووي رحمه الله: واعلم أن الشافعي وأصحابه قالوا: يستحب أن لا يزوِّج الأب والجد البكر حتى تبلغ ويستأذنها لئلا يوقعها في أسر الزوج وهي كارهة، وهذا الذي قالوه لا يخالف حديث عائشة؛ لأن مرادهم أنه لا يزوجها قبل البلوغ إذا لم تكن مصلحة ظاهرة يخاف فوتها بالتأخير كحديث عائشة، فيستحب تحصيل ذلك الزوج لأن الأب مأمور بمصلحة ولده فلا يفوتها. [2]

إذن نفهم من مجمل الكلام أن المسألة ليست حق مُطلق للولي أن يزوج ابنته لمن يشاء وقتما شاء وإنما ربطها أهل العلم بالمصلحة الراجحة ، كما اشترطوا أن يكون الولي مسلم تقي، وذلك لعلمهم انه لو كان الولي سفيهاً أو ضعيف العقل فإنه قد

---

(1) أحكام القرآن للجصاص ٣٤٢/٢

(2) شرح النووي على صحيح مسلم ٢٠٦/٩

يفعل ما يخدم مصلحته دون النظر لمصلحة ابنته كتزويجها لرجل غني ولو كان عربيداً فهذا لا شك إن لو عُرض على أئمة الإسلام من لدن الصحابة وحتي علماء العصر لن يُفتي أحدهم أن هذا من حق الولي، وكُل المسألة مردودها إلي المصلحة المترجحة لهذه البنت.

سأكتفي بهذا القدر إذ أن جهل المذكُور لا يستحق الأوراق والأوقات للرد عليه، ويكفي الباحث عن الحق أن يعلم أن مُحدثه كذاب، وليس أقبح من الكذب وخاصة إن كان الكذب علي الله عز وجل وعلي نبيه ﷺ .

لكن من الضروري جداً الإشارة إلي طريقة إسلام بحيري في التدليس علي مُتابعيه، فالطريقة منقولة بدقة من أستاذه الأول (إبليس).

باختصار شديد هي طريقة الاقتطاع، وهو بلا شك لا يعترف بكلام أهل العلم «أن الاقتصاص من النص جريمة في حق المعني الذي يُريده الكاتب» فهو يعتمد بشكل فاضح علي

الاقتصاص والقفز بين السطور والفقرات حتي يُضلل المُشاهد معتمداً علي أن أحداً لن يهتم بالرجوع إلي المصادر التي ينقل منها أو يسأل عن حقيقة كذبه وافتراءاته، لكن ولله الحمد قيد الله ﷻ لهذا الدين رجالاً يكشفون حقيقة هؤلاء الكذابين ويفضحونهم علي رؤوس الأشهاد، فرد عليه الأخوان العزيزان مُعاذ عليان ومحمود داوود في برنامج قرار إزالة وهام لكُل مسلم مشاهدة هذا البرنامج لأنه يمتاز عن المادة المقروءة أنه كشف الكذب والتدليس بالصوت والصورة فهذا أوقع وأقوي في نفس المُشاهد، وقد استوفيا في الرد عليه وكشف ستره فليُراجع للضرورة والمادة متوفرة علي اليوتيوب تحت اسم قرار إزالة حلقات إسلام بحيري.

النموذج الأخير: إبراهيم عيسي:

أنا لا أستوعب كيف ألف إبراهيم عيسي رواية (رحلة الدم) التي تناول فيها التاريخ الإسلامي وقال أن أحداث الرواية تستند إلي وقائع وردت في المراجع التاريخية وذكر منها تاريخ

الرسل والملوك، البداية والنهاية لابن كثير، الكامل لابن الأثير، سير أعلام النبلاء للذهبي، أسد الغابة وغيرها، ومن اللطيف الذي لا يُنسي أن إبراهيم عيسي كان ضيفاً في إحدى حلقات الإعلامي عمرو أديب قديماً وقال أنه قرأ في كتاب أَسَد الغابة كذا وكذا، وكان يَنْتَقد هذا الخبر المذكور في الكتاب، فاتصل دكتور من الكويت وقتها وقال له الكتاب اسمه أُسْد الغابة وليس أَسَد الغابة يا أستاذ إبراهيم، فكيف تنتقد كتاباً لا تُحسن قراءة اسمه! فانتبه إبراهيم عيسي لتلك السقطة في كتابه رحلة الدم فرسم التشكيل علي الكلمة (أُسد الغابة) وكأنه يقول لم أنس هذا اليوم.

علي طريقة الروائيين قدم بمقدمة طويلة لمقتل علي بن أبي طالب ﵁ ، مقدمة كُلها من تأليفه، وهذا في التأريخ لا يُسمي تأليف ولكن يُسمي تزييف، فكيف له معرفة أن الرجل الذي قتل علي كان مرتعداً ويده مرتعشة وفي يده سيف يقطر منه قطرات دقيقة بطيئة ثقيلة من شدة السم! بل ووصف كيف قام صانع

السيوف بسم السيف، وكيف أنه أتي بالأعشاب وهرسها وطحنها وحبسها في خيش ودسها في حفرة وكمرها بتراب وجلس أياماً بإليتيه علي قدميه! هل ذُكر في كُتب التاريخ كُل هذه التفاصيل؟

انتقل إبراهيم عيسي سريعاً ليسرد لنا قصة المرأة التي فَتَنت قاتل علي بن أبي طالب ﵁ ومع أن التاريخ لم يذكر أبداً أي أوصاف لها بل وتعددت الروايات حول موضوع قتل علي ﵁ وهل كانت هُناك امرأة فتنت قاتله ووعدته بتمكينه من نفسها إذا قتل علياً أم كان الأمر ليس له أي علاقة بامرأة ولا غيرها، لكن إبراهيم عيسي اختار هذه الرواية تحديداً مع أنها أضعف الروايات من أجل الاثارة، وبدأ في وصف المرأة وصفاً دقيقاً فهي صاحبة العود السامق الملفوف في عباءة مطرزة فارسية مشقوقة النحر فيظهر الصدر ببياضه المحمر يبرق بزيت دهنت به جسدها فأطلق لمعاً ولهباً، وألْقَ الثديين القافزين من عشهما

كأنهما يُطلان عليه من أعلي شجرة التفاح في الجنة بنظراتها الوحشية التي ترميها علي جسده فتشعل شهوته!

كل هذه الكذبات في أول صفحات من روايته التي كتبها مُستنداً علي كُتب التاريخ! ولا أدري أكان ينقل من كُتب التاريخ أم من أفلام السبكي، فالتاريخ لا ينقل ملامح الثديين وتضاريس المرأة، كيف علم عيسي أن الثديين قفزا من عشهما، أكان راقداً علي بيضتين في نفس العش فرآها، أم أنه كان يتمني للثديين أن يقفزا فكتب ما تمناه، أم أنه الكذب المُلون، هي بلا شك حبكة مثيره يجب أن يبدأ بها التدليس علي التاريخ ولكي ينسي القارئ موضوع الكتاب وينشغل بتلك المجرمة المتوحشة كيف كان جمالها، بالله عليكم هل سيفكر أحد في مقتل علي بن أبي طالب بعدما علم قصة الثديين الطائرين!

قطعـًا أنا هُنا لن أناقش الرواية، أنا فقط أحببت أن أُخفف من حدة الحديث الجاد الذي مضي بشيء من الفكاهة والإثارة، فلم

أجد مثير أكثر من هذه القطعة من روايته رحلة الدم، فلنترك الآن رحلة الدم ونُكمل رحلة العقل.

- ندخل إلي المُراد، ونذكر شيئًا مما ذُكر في جريدة المقال التي يرأس تحريرها إبراهيم عيسي، وعلي مدار عام كامل وأنا أتابعها، وإذا أردنا أن نضع عنوانًا لهذه الجريدة سيكون (حرب علي الاسلام).

- المقام هُنا لا يتسع بلا شك لتفنيد كُل ما نُشر في هذه الجريدة الصفراء لكني هُنا فقط اخترت بعض الأعداد لأريكم مدي وقاحة هذا الرجل وفريق عمله.

- في العدد ٧٩٥ – بتاريخ ١٣ ابريل ٢٠١٧ في الصفحة الأولي بالبنط العريض عنوان كبير (قواعد الإرهاب الأربعون) ذكر صاحب المقال أن سبب الإرهاب وقواعده أربعين قاعدة تحكمت في عقول الإرهابيين وذكر من هذه القواعد بعض ما يعتقده كُل مسلم سليم الاعتقاد في إشارة خبيثة إلي أن هذه هي القواعد التي ارتكز عليها الإرهاب فذكر علي سبيل المثال:

- اعتقاد أن الجنة خُلقت لك وحدك، في إشارة إلي عقيدة المسلمين أن الله لن يُدخل الجنة إلا المسلمين فكيف نتعامل نحن المسلمون مع قول الله تعالي (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ) كيف نؤمن بأن غيرنا سيدخل الجنة وربنا قال لن يدخل؟ هل نُكذب الله حتي يرضي صاحب القواعد الأربعين للإرهاب؟ طرأت لي فكرة حينما سمعت اعتراضهم علي اعتقاد المسلمين أنه لن يدخل الجنة إلا من أسلم وشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله وهي:

- هَب أنني قرأت كُتب الطب وأتقنتها وتبحرت في أدق تفاصيلها ثم قمت بفتح عيادة وكتبت عليها الدكتور فلان المتخصص في طب الأعصاب مثلاً، هل ستسمح لي الدولة أن أمارس الطب دون شهادة؟ بالطبع لا .. طيب لماذا مع أن لدي المعرفة؟

- هب أنني درست الهندسة وأصبحتُ ماهراً فيها هل يُسمح لي أن أفتح مكتب هندسة وأمارس المهنة دون شهادة معتمدة من الدولة؟ بالطبع يستحيل، مع أنني مُتقن ومُبدع وأمارس هذا العمل عن علم وإخلاص، لكن قانون الدولة هو أن لا تُمارس هذه المهنة إلا إن حصلت علي شهادة.

ولله المثل الأعلى، فالله عز وجل جعل شرطًا لدخول الجنة الحصول علي شهادة، إن لم تحصل علي هذه الشهادة فلن تدخل الجنة حتي وإن كنت ماهراً في عملك خادمًا لوطنك مخلصًا لشعبك، ذلك لأن تلك الشهادة هي أعظم من كُل خير يُمكن أن تقدمه لنفسك ولوطنك، هذه الشهادة هي لا إله الا الله محمداً رسول الله، فغير الحاصلين عليها كغير الحاصلين علي شهادة الدكتوراه والهندسة في قانون أي دولة محترمة لا يُسمح لهم أن يُعاملوا مُعاملة الأطباء والمهندسين، هل يُمكن أن نتهم القانون وقتها أنه ظالم لهم؟!! وكذلك لا يُمكن أن يُعامل ربنا سبحانه وتعالي من حمل شهادة أن لا إله إلا الله كمن لم يحملها

وهذا من عدله. ثم ذكر قاعدة أنت وحدك تعرف الحقيقة، ثم كل من لا يؤمن بما تؤمن به فهو إنسان درجة ثانية تمهيداً للقاعدة الهامة التي يرغبون في الصاقها بالمسلمين وهي:

- القتل وسيلة لكسب رضا الرحمن، ودائماً يستخدم هؤلاء جهل العوام وأنصاف المثقفين ليربطوا بين فكرة الكفر والقتل، فالقاعدة المستقرة عندهم أنك طالما كفرتني فأنت تستحل قتلي، ولو ظللنا ندندن ألف سنة حول حقيقة هذا المعتقد لن يفهموا لأنهم لا يريدون الفهم ولكنهم يريدونها فتنة، والحق أنه لا ارتباط أبداً بين عقيدتنا في كفر غير المسلمين وقتلهم، فكافر يعني أنه مخالف لديني وهذا كُل شيء له حقوق وعليه واجبات تحكمها الدولة ويؤمنها الإسلام ولا يشعل هذه الفتنة إلا أمثال إبراهيم عيسي الذين يصرون علي نشر هذا الارتباط بين الكفر والقتل.

ثم نعجبُ كثيراً من عدم التطرق أبداً لعقائد النصارى التي يكفرون بها غيرهم، ولا يعتبرونها أبداً محرضة علي القتل مع ما

نُص في الإنجيل علي كُفر كُل من يخالف النصرانية، بل وصرح الإنجيل أنه دين السيف والقتل قال (لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأُلْقِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لِأُلْقِيَ سَلاَمًا بَلْ سَيْفًا. فَإِنِّي جِئْتُ لِأُفَرِّقَ الإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ وَالاِبْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا) [1] ألم ير إبراهيم عيسي وفريق عملة هذه الجملة في الإنجيل؟ أم أنه تخصص ردح للإسلام فقط!؟ وبغض النظر عن تأويلات القساوسة لهذه الجملة فليس هُنا يقف اهتمامي، وإنما أتعجب من مسلم يبحث عن معني من تأليفه ليقدح عن طريقه في دينه! فسبحان الله.

ثم وبعد الصاق القتل بالمسلمين عدد باقي القواعد الأربعين فذكر فكرة احتكار الحق وكأن غير المسلمين يعترفون أنه قد يكون الحق مع المسلمين ولا يحتكرونه لأنفهم، ثم ذكر قاعدة أنت وحدك صاحب توكيل الحديث باسم الله، ولا ندري كيف نفسر قول الله تعالي (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا

(١) (متى ١٠ : ٣٤- ٣٥).

تَعْلَمُونَ) في ضوء قاعدة احتكار الحق التي وضعها صاحب المقال العبقري، ثم ذكر قاعدة النقل اهم من العقل مشيراً إشارة خبيثة إلي أفضلية العقل علي النقل ولا أدري أي عقل يقصد، عقلي صاحب هذه السطور، أم عقل إبراهيم عيسي أم عقل الف مليار انسان يعيشون علي وجه الارض، أي عقل فيهم سنجعله حاكمًا علي النقل؟ ثم أكمل قواعده لكني اكتفي بما نقلت لعدم الإطالة.

في نفس العدد من الجريدة وفي نفس الصفحة مقال آخر بعنوان (لولا الأقباط لانهار الوطن في قاع التشدد والطائفية!) وبغض النظر عن موضوع المقال لكن لا شك أن جمع المقالين في صفحة واحدة له دلالات ولم يكُن من باب الصدفة.

الاستهزاء بالقرآن:

في إحدي حلقات برنامج ابراهيم عيسي كان يتكلم في موضوع ما ثم ذكر قول الله عز وجل (مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ) فقال باستهزاء وهو يتمايل سُلْطَانِيَه سُلْطَانِيَه! وفي

العدد ٨١٤ من جريدة المقال تصدر الصفحة الرئيسية عنوان لمقال تحت اسم (ادخلوها آمنين ... ومتجنسين) ولم يترك ذلك الأحمق مجالاً لحسن النية التي قد تتسلل إلي قلب البعض فيقول رُبما لا يقصد التعريض بالقرآن، فأراد صاحب المقال أن يؤكد علي سوء قصدة فوضع ما كتب في إطار يُشبه الإطار الموجود في المصحف وكأنه يقول (لا تحسن النية بي فأنا خبيث!).

ثم في نفس العدد وتحت عنوان الإيمان هو ما وقر في القلب رغم أنف السلفيين! كتب سمير درويش أحد أقزام الجريدة أن الله اعطي الناس العقل ليميزوا بين الخير والشر وأن جزاء المحسنين الجنة وجزاء المسيئين النار، لكن الله أشار إلي رحمته التي سبقت عذابه وجعل الشفاعة للأنبياء كي يشفعوا لأقوامهم، وأن بغياً دخلت الجنة في كلب سقته من ماء بئر، وذكر من الآيات والأحاديث شيئاً ليس بكثير ثم بدأ في غرضه من كل هذا الكلام وهو تأصيل لقاعدة أن السلفيين لا يقولون إن

رحمة الله وسعت كُل شيء! فهل قوله صحيح؟ هل فعلاً السلفيين لا يقولون ذلك؟ فاسمع إذاً.

- لم يشرح أحد من العلماء حديث قاتل التسعة وتسعين نفساً [1] أكثر من الشيخ أبي إسحاق الحويني حفظه الله وهو سلفي الاعتقاد، وهذا الحديث هو أروع ما يُمكن ذكره في باب عفو الله عز وجل وشرحه الشيخ أكثر من عشر مرات فيما أعلم، ولا يترك مُناسبة إلا ويذكره ويُذكر برحمة الله ﷻ ومن كلامه حفظة الله (فهذا الرجل الذي قتل تسعاً وتسعين نفساً أذن الله تبارك وتعالى له بتوبة، كيف لا وذنبك مهما عظم شيء ورحمة الله وسعت كل شيء؟! ولذلك لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون حقاً، وجاء في الحديث الصحيح - خلق الله الرحمة مائة جزء، فأنزل على الأرض جزءاً واحداً يتراحم منه الخلائق، حتى إن الدابة لترفع حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه - بجزء

---

(١)أخرجه : البخاري ٢١١/٤ (٣٤٧٠) ، ومسلم ١٠٣/٨ (٢٧٦٦)

واحد من الرحمة، فإذا يئس العبد من مائة جزء من الرحمة لا يكون مؤمناً أبداً). [1]

- نقل الشيخ محمد المنجد حفظة الله عن ابن القيم رحمه الله قوله : فتأمل قوله صلى الله عليه وسلم: (لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها) وأين تقع رحمة الوالدة هذه التي في القصة الآن من رحمة الله التي وسعت كل شيء؟ [2]

- قال الشيخ محمد حسان حفظه الله: لماذا تضيق ما وسع الله عز وجل وهو القائل سبحانه (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) [3] إذن السلفيون يقولون أن رحمة الله وسعت كُل شيء هذا لا خلاف عليه، والكُل يعيش تحت رحمة الله في الدُنيا، ومن رحمة الله بكاتب المقال أنه أمهله واعطاه نفْساً ونَفَساً وعقلاً وقلماً واعطاه حرية اختيار الطريق الذي يسير فيه، كُل هذا من رحمة الله في الدنيا، لكن قول الله عز وجل (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ

(١) من شريط هل للقاتل توبة – الحويني

(٢) من شريط ذنوب لها فائدة – المنجد

(٣) من دروس السيرة النبوية لمحمد حسان

شَيْءٍ) ليس نهاية الآية الكريمة التي دندن حولها الكاتب ومثله يفعل كُل من يدلسون علي الناس، وإنما أكمل ربُنا ﷻ لنعلم من يستحق هذه الرحمة قال تعالي (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).[1]

إذن حدد الله لنا من الذي يستحق رحمته في الآخرة، وليس هُناك عالم سلفي قط يقول أن فلان من أهل النار وفلان من أهل الجنة، ولكن هُناك أفعالاً ظاهرها معاداة الإسلام يجب التصدي لها، وتصرفات تناقض أخلاق المسلمين يجب محاربتها، ويبقي حساب الآخرة لله وحدة لا يشاركه فيه أحد

(١) الواقعة ١٥٧

قـط، لكـن أهـل الضـلال والكـذب يحـاولون التـدليس علـي المسلمين عن طريق هذا الاسلوب في التأليف والكتابة، عنوان كبير يحمل رسالة كرسالة أن السلفيين لا يقولون أن رحمة الله وسعت كُل شيء ثم يكتب تحتها أي كلام حتي لو كان الكلام لا علاقة له بالعنوان لكن البعض لن يفرق بين مضمون المقال وعنوانه، بل وكثير من الناس يقرأ المضمون وهو يحمل في نفسه رسالة العنوان فيجعل من المضمون تحصيل حاصل لا حقيقة له لأن الرسالة ترسخت في قلبه من العنوان!

كيف يكتبون عن المسيحية؟

كما ذكرنا أمثلة عن المقالات التي تتكلم عن الإسلام فهُم دائماً يتناولون تراث المسلمين بالسلب، فكتب التراث لا يُمكن الاعتماد عليها لأن فيها ما يعارض العقل، وتفسير العلماء أصبح قديماً لا يُمكن التعويل عليه، وعلماء الحاضر رجعيون لم يخرجوا بعد من فقه الخلاء وطهارة الثوب! لكن حينما يكون الحديث عن المسيحيين إلي العدد ٧٩٨ علي سبيل

المثال وفي صفحة كاملة وبالبنط العريض (المسيح قام – شريعة الفرح والانتصار، المسيحيون رمانة ميزان الوطن) ثم نقلوا نصوصاً من كتب التراث النصراني التي لا أصل لها من الأساس علي أنها نصوصاً تُحترم ولا يُمكن التعرض لها بالنقد، بينما التعرض لكتب التراث الإسلامية واجب وطني للحفاظ علي لُحمة المُجتمع ! وهكذا يسير الأمر دائماً.

أنا لا أُبالغ أبداً إن قُلت أنها حرب علي الإسلام، وهذه الصحف الصفراء تحتاج إلي عدة كُتب وليس كتاباً واحداً بصغر حجم كتابي، تحتاج لجهود مجموعة من الكُتاب المتمرسين في علوم الشريعة ولديهم جلد وصبر وليس كاتِباً بحجمي، الأمر جد خطير، وقد ذكرت طرفاً صغيراً من عددين اخترتهم بشكل عشوائي من بين الأعداد التي بين يدي، وإلا فالأعداد تحتاج إلي لجان علمية تُفند ما فيها من جهل وزيغ وحماقة لا يحتملها عقل، فعند كُتاب المقال التفسير بالمأثور

مدخل إسرائيلي إلي الثقافة الإسلامية [1] والسيوطي كتب كتابه تاريخ الخلفاء تأييداً للنظام العباسي الفاسد، والسلفيون معقدون جنسياً لأنهم يفضلون البكر عن الثيب [2] والسلفيون داعشيون [3] والشخص السلفي شخص جامد رجعي عنيف [4] والإرهاب عند الإسلاميين فعل بطولي وأمر ديني [5] كُل ذلك مع صور متكررة لذلك الشخص صاحب اللحية الكبيرة ضخم الأنف قبيح الملامح يرتدي جلباباً قصيراً وفي يده سلاح يروع به الآمنين، الرسالة واضحة وفاضحة.

*****

(١) المقال العدد ٨٥١

(٢) المقال العدد ٨٠٠

(٣) المقال العدد ٨٠٨

(٤) المقال العدد ٨١٥

(٥) المقال العدد ٧٩٧

الباب الثاني: الدهماء أو الجمهور

الدهماء أو الجمهور هو العنصر الثاني في خلطة إبليس الماكرة، و أيـاً كـان المُسـمى فهـو لمعني واحـد، لكـن المعهـود عند علماء المسلمين هو اسـم الـدهماء، وهـم وقـود الفتنـة وهـم هـدف إبليس الحقيقـي، وكُـل سـعيه مـن أجـل إضـلالهم لأنهـم الكثرة الكاثرة، فما هي الدهماء أو الجمهور؟

الـدهماء باختصـار هُـم السـواد الأعظـم مـن النـاس، ولا يُمكـن الحديث عـن الجمهـور أو الـدهماء دون الإبحـار في أُطروحـات غوستاف لوبون [1] ذلك العالم الفرنسي الفذ الـذي أبحـر في علـم نفـس الجمـاهير فـأخرج الـدرر الثمينـة، وهـو مؤسـس علـم

(1) غوستاف لوبون عالم نفس فرنسي عاش ما بين عام ١٨٤١ وحتى عام ١٩٣٠ ، وكان من المهتمين بقراءة كتبه جماعة من المفكرين وعلماء النفس أشهرهم سيموند فرويد مؤسس علم النفس الحديث ، وكذلك كان من قراءه رؤساء دول بل وكان يتردد عليه منهم الرئيس الفرنسي ريمون بوانكاريه والرئيس الامريكي تيودور روزفلت ، ويأتي به أيضاً هتلر ، وجاء في جريدة التايمز الامريكية « يجب على رجال السياسة الامريكية كلهم أن يطالعوا كتب غوستاف لوبون الذي لم يبال فيه بما قيل في الثورة الفرنسية فأوضح ما للشعب من الشأن الضئيل في الحركات الثورية وما في عزائم أعضاء المجالس وهم مجتمعون من المناقضة لعزائمهم وهم متفرقون »

سيكولوجية الجماهير، وسأطرح لكم خلاصة نظريته بطريقة سهلة إلي أكبر حد لأن المقصد هو الفائدة وهذا ما أرومه من هذا الباب خصوصاً.

أولاً: الفرد (العنصر المُكون للجمهور):

أُطروحات لوبون مفادها وخلاصتها أن الفرد ما أن يختلط بجمهور محدد تنتقل له سمات خاصة ما كانت موجودة في شخصيته فيما سبق، أو قُل أنها موجودة ولكنه لم يجرؤ علي البوح بها بهذه الصراحة وهذه القوة، فعلم النفس الذي كان يُخَيِل لعلماء النفس أن الإنسان أصبح بسببه مفهوماً بدقة متناهية فإن هذا الإنسان في بعض الأحيان يُحس ويفكر ويعمل علي نحو مغاير تماماً لذلك الذي يمكن توقعه، وهذا يحدث عند اندماجه بجمع بشري اكتسب صفة الجمهور النفسي [1]

(١) سيموند فرويد - علم نفس الجماهير وتحليل الإبا صـ ٢٦

يأخذ هذا الفرد تلك السمات والأهداف من هذا الجمهور ثم بعد فترة ينفصل عنهم فيعود إلي طبيعته.[1]

دخول الشخص المنخرط في مجموعة ثم انفصاله عنها يفسر وجود أشخاص من طبقات برجوازية في وسط الثوار، وما أن تمر الثورة تعود المياه لمجاريها ويعود هو إلي حياته ورفاهيته ، إذ أنه تأثر بروح الثورة فأصبح جزء منها ثم انتهت الثورة فانتهي تأثيرها عليه.[2]

سمات الشخص المنخرط في جمهور:

- مختصر السمات التي تميز الشخص المنخرط في جمهور أنه يميل إلي التطرف، همجي له من الحيوانات البدائية همجيتها و وحشيتها، وله منها أيضًا حماستها وبطولتها.

- فكرة المستحيل غير واردة في قاموس الفرد المنخرط في جمهور، وهذا يعطيه ثقه فيما يفعل إذ أنه آمن من العقاب إذ

(١) سيكولوجية الجماهير صـ ٦٠

(٢) المصدر السابق

الفعل ينسب للجمهور وليس للفرد، وهذا يُبرر لنا علي سبيل المثال جرأة ورباطة جأش من دخلوا المتحف المصري لسرقته أيام الثورة المصرية، وكذلك من دخلوا قصور بن علي في تونس أيام اندلاع الثورة التونسية، بل ومن اجتمعوا علي القذافي فقتلوه شر قتلة، فالشعور بالقوة وعدم المسائلة أخرج ما بداخلهم من وحشية، وبان لهم أن ما كان يستحيل فعله أصبح من الممكن فعله بسهولة وبدون مساءلة، فالإنسان إذا ما أمن المسائلة والعقوبة تحكمه طبيعته المجرمة أو المؤمنة التقية، فإن كانت الثانية فلن يُفكر بإجرام بل ستمنعه نفسه التقية من الشر، وإن كانت الأولي حركته نفسه الوحشية لارتكاب أقبح الجرائم بمنتهي الأريحية! وسيأتي أمثله أكثر وضوحًا.

إذا آمن الفرد بعقيدة الجماعة فإنه مستعد أن يُضحي بنفسه في سبيلها، ولا شيء يُثنيه عنها، وذلك يُفسر حجم الصدمة التي يواجها إن اكتشف أن الجماعة تستغله أو أنها

جماعة تسعي لمصلحة أو مكاسب دنيوية وقد أظهرت له غير ذلك.

الجمهور النفسي:

هذا الشخص المُنخرط في جماعة تُهيمن عليه شخصية لا واعية تجعله متأثراً بالجماعة التي انضم إليها، وبعد تشكيل الجماعة بانضمام أشخاصًا لها وانتظامهم بها تتحول إلي ما أسماه لوبون بالـ (الجمهور النفسي).

هذا الجمهور النفسي له سمات غالبًا لا يخرج عنها، وهي باختصار:

- سرعة الانفعال.
- السذاجة.
- تصديق أي شيء.
- الهمجية إن لزم الأمر.
- الاندفاع.

- المحرضات التي تحركه حسب الظروف، فيمكن أن تكون وحشية أو نبيلة، بطولية أو جبانة، لكنها آسرة وجبرية.

- الجمهور لا يتحمل فاصل زمني بين الرغبة وتحقيقها.

- فكرة المستحيل غير واردة في قاموس الجمهور.

- الجمهور سريع التأثر وسريع الاستجابة.

- عواطف الجمهور بسيطة وشديدة التأجج.

- الجمهور سريع المبادرة إلي التطرف.

- يتأثر الجمهور بالتحريضات.

- الجمهور مستبد وغير متسامح.

- الجمهور عنده استعداد للتفاني في سبيل مثل أعلي.

- الجمهور يتأثر بالقوة السحرية للكلمات القادرة علي اثارة اعنف العواطف في النفس الجماعية، والعقل والحجج المنطقية لا تستطيع مجابهة بعض الكلمات الثائرة والبليغة.[1]

---

(١) سيكولوجية الجماهير صـ ٨٥

- الجماهير لا تعرف الظمأ إلي الحقيقة فهي دائمًا تطلب أوهامًا، وتقدم دائمًا اللاواقعي علي الواقعي وعندها ميل واضح إلي عدم التمييز بينهما. (١)

- الجمهور إذا سكت فالسكوت علامة الرضا عن كل القرارات التي صدرت من القادة، والقادة لا يعطون مجالاً للتشكيك في القرارات من الأساس. (٢)

(١) علم نفس الجماهير صـ ٣٨
(٢) التفكير الجماعي صـ ٣١

تلك السمات التي حددها لوبون تتعلق بالجماهير العابرة التي تتشكل بسرعة عن طريق اجتماع عدد معين ممن يحركهم اهتمام مشترك لكنهم يفترقون بعضهم عن بعض في جميع النواحي الأساسية [1] وتحتها من يجتمعون للمظاهرات والثورات والإضرابات وغيرها.

ويعتقد لوبون أن جميع كوارث الماضي القريب من عصره والتي مُنيت بها فرنسا وكل هزائمها والصعوبات التي تواجهها كانت بسبب هجوم الجماهير علي مسرح التاريخ [2] وتأكدت صحة أطروحات لوبون بعدما جاء هتلر إلي السلطة في المانيا واستطاع تعبئة الجماهير بشكل لم يُسبق له مثيل، وبالعقل المجرد نسأل كيف أن الجماهير في ألمانيا المتنورة تثور باسم الفاشية والنازية! لكن هتلر كان يعلم جيداً كيف يخاطب ذلك الجمهور، يقول هتلر «لقد أدرك الإنجليز وجَهِلنا نحن أن

(١) المصدر السابق صـ ٣٨

(٢) سيكولوجية الجماهير صـ ١٩

سواد الشعب [1] في الأزمات تكون له نفسية المرأة، وتصرفاته تكون وليدة المؤثرات أكثر مما تأتي وليدة التفكير المجرد، والتأثير الذي يتحكم بحواس السواد وعواطفه ليس معقداً، إنه الشعور السلبي بالحب أو البغض، بالصدق أو الكذب، بالقوة أو الضعف، وليس هُناك شيء اسمه الشعور النصفي أو نصف شعور، وليس أدل علي إحاطة العدو **بنفسية الجماهير** إحاطة تامه من زعمه المتواصل أن ألمانيا هي المسؤولة عن الحرب، وهذه الكذبة ما كانت لتؤتي ثمارها لو لم يجعل منها الأعداء لازمة يرددونها كُل يوم، ذلك أن نجاح الدعاية رهنٌ بقصرها علي مواضيع معينة وبالمواظبة علي طرق هذه المواضيع. [2]

فالشعب الذي لا يُفكر بعقلانية وتحكُمه العواطف، وينتظر الوعود الغير منطقية سواء ستنفذ أم لا، يسهل علي قائد ذكي ومفوه أن يُسيطر عليه حتي لو كانت توجهاته وأفكاره علي

(١) سواد الشعب : أغلبيته

(٢) كفاحي صـ ٩٢

خلاف ما عليه هذا الشعب، وبُناءاً علي ما قيل أن كُل زعيم سياسي يظهر علي الشاشات التليفزيونية يضع مسبقًا قناعًا علي وجهه كي يقول ما يُجيش به عواطف الناس لا ما يعتقده عميقًا بالفعل!

كيف يؤثَر علي الجمهور؟

ذكرنا في الجزء الخاص بالإعلام أساليب يستخدمها الإعلام في توصيل رسالته أو بالمعني الأصح رسالة من يدفع له، وقلنا أن من أهمها نظرية الإغراق الإعلامي، والتكرار، ووصف المقتول بصفات القاتل، وتعدد الروايات، وغيرها لكن هُنا نحن نتكلم عن العوامل النفسية التي يعتمدها القائد أو المُحرك وصاحب الرسالة (سواء كان رئيس دولة أو زعيم حزب أو حتي إعلامي) علي جمهوره المستهدف.

ذَكر لوبون وسائل العمل التي يستخدمها المحركون للجمهور أو سمها العوامل التي تساهم في تشكيل آراء الجماهير فقال أن اهمها:

١ - التأكيد والتكرار والعدوي:

التأكيد والتكرار تحدثنا عنه، والذي يهمني هُنا هو العنصر الثالث وهي العدوي، والعدوي هي التي تجعل الناس يحتقرون في فترة معينة عملاً أدبيًا أو سينمائيًا ثم تجعلهم بعد سنوات يعجبون بنفس المستوي من العمل! [1] وخُذ مثالاً هامًا كُلنا يعيشه، كيف تَقَبل المصريون هذا المستوي الهابط والمتدني من السينما في وقتنا الحاضر، ربما لو عُرضت أفلام السبكي علي المصريين منذ عشرين سنة أو أكثر للفظها الجميع عن قوس واحدة، بل سيحتقرون هذا المستوي الدنيء والمُنحدر من الفن، لكن مع مرور الزمان وبالتدرج أدخلوا مستوي أقل تدنيًا من الفن علي عقول الناس فيبدأ الجمهور مرة بعد مرة بتقبله، ثم عرض مستوي أكثر تدنيًا فيقبله الجمهور مرة بعد مرة، وهكذا تنتشر العدوي حتي يقبل الجمهور أحط أنواع الفن بل

(١) سيكولوجية الجماهير صـ ١٣٣

ويدافع البعض عنه، بل ويُكرم صُناع هذه الأعمال، هُنا تعلم أن العدوي قد فعلت فعلها.

مثال آخر: الهلع الذي يحدث عقب الثورات، وكُلنا عاش هذا الموقف في بداية الثورة المصرية، فلم ير أحدنا بلطجية في بداية الثورة ينتشرون في الشوارع، ولكن جاءت الأخبار أن السجون فُتحت وخرج المجرمون، وكانت هذا الخبر كفيلاً بنشر عدوي الرعب بين المصريين، فظهرت اللجان الشعبية ودب الرعب في قلوب الناس مع أن أحداً لم ير مجرماً بعينه، هُنا أيضاً تعلم أن العدوي قد فعلت فعلها.

حتي في الحروب، إشاعة واحدة كانت كفيلة بنشر العدوي بين صفوف الجيش، يكفي أن تطلقها بين الجنود (القائد قُتل) ثم يكفي أن يظهر الرعب علي بعض الوجوه، حينها ستنطلق العدوي بين صفوف الجيش، ورُبما كانت سبباً لهزيمة جيش بأسرة، كما حدث في غزوة أُحد التي انهزم فيها جيش المسلمين، وكان السبب في ذلك مُخالفة الرماة لأمر رسوله الله، ولكن أيضاً

من الأسباب أن أحد جنود المشركين واسمه ابن قمئة كان قد قتل حمزة وكان حمزة يشبه النبي ﷺ كثيراً، فظن أنه قَتَل النبي ﷺ ، فذهب إلي المشركين وأشاع بينهم أن محمداً قد مات ولم يمض على هذا الصياح دقائق حتى شاع خبر مقتل النبي ﷺ في المشركين والمسلمين، وفي هذا الظرف الدقيق خارت عزائم كثير من الصحابة المطوقين، الذين لم يكونوا مع ﷺ ، وانهارت معنوياتهم، حتى وقع داخل صفوفهم ارتباك شديد، وعمتها الفوضى والاضطراب [1] وهذا مثال واضح بين لتأثير هذه العدوي وتملكها من النفوس حتي مع أفضل الخلق بعد الأنبياء ، فما بالك بالدهماء والغوغاء!!

٢- الصور والكلمات والعبارات والشعارات:

الصور هي أكثر محرك يستطيع أن يثير به القائد جمهوره ، وليس أقوي من الصورة شيء، وقد عشنا جميعـًا تجربة الثورة المصرية وعند نشر كل صورة من صور المواجهة بين مدرعة

(١) الرحيق المختوم صـ ٢٤٢

ومتظاهر تكون نواه جديدة لمزيد من المتظاهرين، واستطاع المتحكمون في عصا الثورة المصرية استخدام هذه الصور بنجاح شديد، مع تزيينها بمزيد من العبارات والشعارات، فصورة الشاب الذي واجه المدرعة ترافقها عبارة (بطل المُدرعة) وصورة البنت المعتدي عليها من قبل الجنود يصاحبها عبارة (ضحية) مع أننا لا نعرف ملابسات هذه الصورة وحقيقتها، ولا يهم معرفة الحقيقة في شيء ومحركوا الجماهير يعلمون ذلك جيداً، المهم هو أن تصل الصورة ويصل المعني الذي يريده المحرك حتي لو كانت الصورة ليس لها أي علاقة بالمضمون!

الكلمات المطاطة التي يصعب تحديد معانيها بشكل دقيق هي الأكثر تأثيراً علي نفسية الجماهير، فمثلاً الديمقراطية، الحرية، المساواة، الثورة، الشهداء، العبور، كلها مصطلحات تستخدم دون تحرير لمعانيها المقصودة منها، فمن هو الشهيد؟ هل كُل مقتول علي أرض الثورة شهيد؟ كيف ستكون

الديمقراطيـة؟ هـل آلياتهـا متـوفرة ومحـددة؟ مـا معنـي مسـاواه؟ كيف نحقق الحرية وما هي حـدودها؟ لا شـيء محـدد، لا شـيء مفهوم!

بـل إن مبـدأ كالمسـاواة غيـر مُمكـن التحقيـق أصـلاً قـال لوبون «لـم يكـد يمـر قـرن ونصـف قـرن علـي الـزمن الـذي قَـذَفَ العالَمُ فيه بمبدأ المساواة بين الأفراد والشعوب فلاسفةٌ جاهلون كـل الجهـل بتـاريخ الإنسـان الفطـري، وقـد انجـذبت جماعـات بشرية إلي ذلك المبدأ كثيراً فلـم يلبـث أن رَسَـخَ في نفوسـها وآتي أُكله، أي أنه زعـزع أُسـس المُجتمعـات القديمـة وأدي إلـي أشـد الثورات هولاً» [1] فالأمر لا يتعلـق بإمكانيـة فعـل هـذا الأمـر ولا بماهيته وإنما الأمر متعلق بقوة الكلمات وتوظيفها.

قـال لوبـون « أُنـاس الثـورة الـذين توهمـوا أنهـم يقلـدون الإغريـق والرومـان لـم يفعلـوا شـيئًا إلا أنهـم أعطـوا للكلمـات القديمة معني لا تعرفه أبداً ، فما هي أوجه التشابه بين مؤسسات

---

(1) السنن النفسية لتطور الامم صـ ٢٢

الإغريق والمؤسسات التي نعرفها حالياً حتي لو حملت نفس الأسماء؟!»[1] إذن الأمر بوضوح هو أن تخدع الناس بأشياء بغض النظر عن إمكانية تحقيقها، وبأسماء وشعارات بغض النظر عن صدق معانيها، وإذا كُنت تعلم أن الناس يهرولون خلف الأوهام فاصنع لهم وهماً يسعون إليه وشَيد إمبراطورتيك علي قواعد جهلهم وتاجر بعد ذلك بهم، وليس معني ذلك أنهم سيمقتونك يوماً ما، لا بالعكس تماماً ستكون أنت المُلهم الحقيقي لثورتهم.

٣- الأوهام:

الجماهير تحتاج إلي أوهام أكثر من حاجتها للحقائق، ومن يستطيع إيهامهم سيصبح سيداً لهم، ومن يصارحهم بالحقائق يصبح ضحية لهم، وكم رأينا وعوداً من رؤساء لم تتحقق، ولازال المواطنون ينتظرون تحقيقها حتي مع نهاية فترة الحاكم الرئاسية، ولا شك أنه سيكرر الوعود التي وعدها ولم

(١) سيكولوجية الجماهير صـ ٨٥

يحققها ولا شك أيضـاً أنهـم سيصـدقونه وينتخبونـه لفـترة ولايـة ثانية.

كُل ما سبق ذكره مبني علي علم سابق بطبيعـة الجمهـور ونزعته الغوغائية، فهو يقبل ويتأثر ويتحرك ويُوجَه ويُحَرض عن طريق العاطفة وليس العقل، عن طريق الأوهام ولـيس الحقـائق، عن طريق الصور وإن كانت مكذوبة، عن طريـق الشـعارات وإن كانت خرقاء لا حقيقة لها، وهكـذا تظهـر لـك حقيقـة الجمهـور، فليس معني أنهم جماعة أنهم علـي حـق ، فـالأمر أبعـد مـن ذلـك بكثير وجد خطير.

تأملات حول ما سبق:

حينما تعرف أن مبدأ المسـاواة وهـو أحـد المبـادئ التـي تقوم عليها الثورات هو الذي قلب الدنيا رأسـاً علـي عقـب وهـو الـذي أحـدث ثـورة عظيمـة وأوقـع أمريكـا في حـرب الانفصـال الدامية وغيرها من الطوام، ومع ذلك لا يجـرؤ كثيـر مـن العلمـاء

النفسيين أو غيرهم الاقتراب من هذا المبدأ بالسلب لأن الجماهير تقبلته علي ضعفه واستحالته، والجماهير المتقبلة لهذا المبدأ والمدافعة عنه وغيره من المستحيلات هي التي قتلت السود في أوروبا، وفتحت السجون في مصر، وهيجت الجيش ضد الشعب في سوريا بل ومكنت الصفويين من رقاب السنة هُناك وقسمت السودان إلي شمال وجنوب ومكنت الشيعة من اليمن والعراق، كُل هذا من فعل الجماهير بحجة أنها تدافع عن حقها بغض النظر عن ماهية هذا الحق وإمكانه! هل تعرف كيف حصل هذا؟ تابع.

– دعني أبدأ من البداية واترك النهايات لوقتها، ولنأخذ تجربة الثورة المصرية والسورية كمثال، وقد ألمح دُعاة هذه الثورات أنهم يحاكون الثورة الفرنسية دون معرفة حقيقية عن الثورة الفرنسية، ولو سألت شريحة عشوائية من الثوار عن أسباب قيام الثورة الفرنسية ووقت قيامها وكيف أثرت في المجتمع الفرنسي قد لا يعرف أحد منهم شيئاً إلا نسبة قليلة إن لم نقل لن يعرف

أحد منهم شيء عنها إلا أنها ثورة عظيمة نقلت فرنسا إلي مصاف الدول المُتقدمة، ومع ذلك ينتظرون نفس النتائج التي اعتبروها بدون معرفة المقدمات نتائجًا إيجابية، فهم يجهلون الأسباب والظرف العام التي كانت تعيشه فرنسا وطبيعة الفرنسيين، ولكنهم ينظرون إلي تقدم فرنسا اليوم علي أساس أنه نتاج ثورة قامت في وقت ما، ونحن نريد محاكاتها وفقط!

هذا في حد ذاته خطأ فادح، فالمجتمع يختلف اختلافًا جذريًا، فالثورة الفرنسية كانت علي كهنوت الكنيسة التي كانت مالكة لقدر كبير من الأراضي وظلم الإقطاع والطبقة البرجوازية الحاكمة والمتحكمة في المال بعد أن وصل القحط غايته علي حد زعم الداعين إليها، ولا يوجد أي تشابه بين الثورتين الفرنسية والمصرية والسورية لا في الأهداف ولا في الآليات والوسائل ولا حتي في الظرف العام الذي كانت تعيشه كُلا من سوريا ومصر مقارنة بالوضع الفرنسي ، فكيف تكون ثورة كالثورة ونتائج كالنتائج؟!!

ومع ذلك فالثورة الفرنسية لم يفقه أحد حقيقتها حتي من أتي بها و قد نشبت حروب علي إثرها وأثرت بشكل بالغ الخطورة علي الاقتصاد الفرنسي، وأُعدم أكثر من ١٦٠٠٠ شخص علي المقصلة بتهمة معاداة الثورة وانتقلت فرنسا من الملكية إلي عهد جديد هو عهد الإرهاب والفوضى والعنف، ومات فيه أكثر من ٤٠ الف مواطن فرنسي داخل السجون إما بالإعدام أو لسوء حال السجون، ثم تراجع التيار الثوري وعادت البورجوازية المعتدلة التي سيطرت على الحكم ووضعت دستورا جديدا وتحالفت مع الجيش، كما شجعت الضابط نابليون بونابرت للقيام بانقلاب عسكري ووضع حد للثورة وإقامة نظام ديكتاتوري توسعي وهكذا انتهت الثورة الفرنسية حتي لو قال بعضهم غير ذلك فهو من قبيل تمجيد الثورات وتضخيم إنجازاتها!

الثورة الفرنسية التي يتغنى بها الثوريون ويَدَعُون أنهم يحاكون أعظم الثورات في التاريخ وبعدما قطعت رأس الملك

وقطعت رأس الملكة، وألغت النظام الملكي، وأقامت الجمهورية، ونكلت بخصومها جميعًا، هذه الثورة أقامت المجلس الوطني الفرنسي الذي وصفه المفكر الفرنسي دومورير بأنه مكون من ثلاثمائة وغد، وأربعمئة معتوه!!

كان القتل أمراً عاديًا لكُل من يعارض، وأصبحت الرؤوس تتساقط حتى أصبحت التسمية لهؤلاء القتلى في الأدبيات السائدة إبان الثورة الفرنسية اللطيفة أن هؤلاء الذين يُعدمون على المقصلة كانوا يُسَمَوْن العاطسين في الزكائب؛ تعرفون ما معنى العاطسين في الزكائب؟ الزكيبة حقيبة من جلد توضع في أسفل المقصلة حتى إذا نزلت السكين على الرأس ففصلته عن الجسد سقط الرأس في الحقيبة، والرأس حين يسقط أثناء القطع يتحرك الفم وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، فمن باب النكتة سماهم الفرنسيون العاطسين في الزكائب، لو تتبعنا هذه السلسلة المخيفة من العاطسين في الزكائب أثناء الثورة الفرنسية لوقفت شعور رؤوسنا لفظاعة الإرهاب ولفداحة العنف الذي

أصبح يسود المجتمع الفرنسي، ويكفي من شرها أنها خَلَقَتْ شرهاً وطمعاً في انتهاب البلاد وغزوها، حتي في الروايات ذكروا شر هذه الثورة ومثال ذلك رواية الهروب إلي الخطر لأجاثا كريستي وعلي لسان احد أبطال الرواية يقول «وفي عهد الثورة الفرنسية ساد حكم الإرهاب وتلقاه الناس بالترحيب دون بادرة من السخط والاستنكار، ولعلهم رأوا في الدماء المُراقة نوعاً من الإثارة والبهجة ، ثم أطلقوا علي ذلك كله أوصاف الديمقراطية» (١)

ولك أن تعرف أن الثورة الفرنسية الذين قاموا بها لم يبق منهم ولا واحد، أكلتهم نيران التصفية فالثورات كالهرة تأكل أبناءها؛ فالذي يقوم بالثورة اليوم يمارس العنف على خصومه وكل فعل يتطلب رد فعل يوازيه ويكافئه وهذا القانون صادق في الإنسانيات كما هو صادق في الطبيعة فحين يمارس المنتصر العنف على خصومه ينتظر بالمقابل رداً لهذا الفعل موازياً

(١) الهروب للخطر صـ ٧

لمقدار العنف الذي مارسه على الخصوم ومن هنا كان قانون الثورات الذي يحكمها باستمرار التصفيات المستمرة [1] هذه قوانين لا تتغير، فلابد للثوريين من مجابهة الأعداء بالمشانق، وبعدها تعود الأنظمة القديمة للقمع السياسي والعمل مع كل مضاعفاتها الكلاسيكية ومن أولها الالتفاف علي الثوريين أنفسهم. [2]

الثورة الروسية عام ١٩١٧ قامت هي الأخرى علي أكتاف الدهماء والرعاع، وإن كان فيها من المثقفين بعض أفراد، ولكن الأداة المنفذة كانت من الرعاع وكُل الثورات يتحمل القيام بها الرعاع ومنذ نشبت الثورة وإلى أن استتب الأمر خسرت روسيا سبعة ملايين نسمة قتلوا في أثناء هذه الثورة، و الذين قاموا بالثورة الروسية والذين شكلوا المكتب الأعلى للجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي لم يأت عام ١٩٣٦

---

(١) أرضية العنف روسيا وفرنسا

(٢) مركز دراسات الوحدة العربية - الربيع العربي إلى أين صـ ٢٦٦

إلا كان جميع أعضاء هذا المكتب -ما عدا ستالين- إما مقتولاً وإما منفياً إلى مجاهل سيبريا يتجمد في البرد والثلج ومن العجيب أن تعلم أن الثورة الروسية قام بها مئتا الف مواطن من أصل مئتي مليون! يعني لا وجه للمقارنة بين من قاموا بها وجموع الشعب الروسي ومع ذلك سُميت ثورة! [1]

خلاصة: الجماهير من السهل اقتيادهم إلي المذبحة والقتل باسم النضال من أجل عقيدة أو فكرة ما، ومن السهل تحريكهم وبث الحماسة في مفاصلهم من أجل الدفاع عن الشرف [2] وكذلك يمكنك اقتيادهم إلي المذبحة والقتل باسم الدفاع عن الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية.

الثورة السورية: لم يسأل أحد ممن انخرطوا في الثورة السورية كنموذج عن آليات هذه الديمقراطية أو الحرية أو المساواة التي يطالبون بها وكيف ستكون، هل لها قاعدة حقيقية وشكل حقيقي

(١) أرضية العنف روسيا وفرنسا

(٢) سيكولوجية الجماهير صـ ٦١

أم أنها مجرد شعار، ولا عن معني الحرية وحدودها، ولا عن أي تفاصيل، فحتي الداعين إلي الثورة ليس لديهم إجابات، فقط لديهم محفزات بدأت من التعامل الأمني مع مجموعة من المتظاهرين واعتقالهم من قبل السلطة السورية، فخرج علي الفور الشباب وكتبوا علي الجُدران يسقط بشار الأسد، ولقد أصبحت قارئي العزيز تعرف الآن، الأمر لا يحتاج لحجج عقلية، الأمر يحتاج لشعارات! وأياً كانت أسباب اندلاع الثورة في سوريا فقد قام بها مجموعة من الحماسيين في بداية الأمر، ودخلت قناة الجزيرة لتصف التظاهرات التي بدأت للتو في سوريا بأنها نواة ثورة! فكيف للجزيرة أن تعلم أنها نواة ثورة؟ لأن الأمر ليس إلا خطط مرسومة بدأت من تونس من باب الصدفة حينما أحرق بوعزيزي نفسه واندلع علي إثر ذلك الثورة التونسية التي بدأت بمئات المُتظاهرين! ثم بتوجيه من أحد الجهات والتحريض وجمع الشباب عبر الصفحات والمنديات لتبدأ الشرارة فجأة وبشكل مباغت، ثم بمجرد محاكاة ما حدث

في تونس في مصر أطلقت الجزيرة عليها الثورة المصرية!!! ثم السورية ثم اليمنية والليبية واحترق العالم العربي وقناة الجزيرة تُصور وتُشجع الربيع العربي.

عودة إلي الثورة السورية، تعامل النظام الأسدي مع الثورة بقوة وعنف بل وإجرام، وظهر من بداية الثورة أن النظام لن يستسلم لكن المُحرك للثورة أيضاً ليس لديه النية للاستسلام وليس لديه ما يخسره، فدائماً المُحرك يكون في أمان وغالباً يكون المحرك خارجي، فاستمر المحرك في التحريض حتي سُفكت الدماء بالآلاف فظهرت علي إثر ذلك الفصائل السورية للدفاع عن الثورة ومكتسباتها ولن تعرف ولا من حقك أن تعرف ما هي هذه المُكتسبات، وبعد سبع سنوات من اندلاع الثورة السورية أصبح لدينا أكثر من عشرة فصائل تُحارب في سوريا، الجيش النظامي أولها وهو الحاكم الفعلي حتي الآن، ثم الدولة الإسلامية المُسماة بداعش وهي المدعومة من الغرب ولا علاقة لها بالإسلام، ثم حركة أحرار الشام، وجيش

الإسلام، جبهة فتح الشام، وفيلق الشام، وجند الأقصى، و حركة نور الدين زنكي، وجيش خالد بن الوليد، وغيرها ..! كل هذه الانقسامات والحركات والثورة مستمرة! وننتظر النتائج التي ليس عند أحد تصور حقيقي كيف سنصل إليها غير أننا يجب أن نهتف (الثورة مستمرة!) ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إذا تأملنا السبب الحقيقي لما حدث ستعلم أنه التحرك الثوري الأعمى والمتهور وغير المنظم، فالنتيجة النهائية بشار موجود بجيشه وعدته، الاف القتلى، مئات الآلاف من المشردين، دمار البنية التحتية، تدخل دولي كالعادة للحل وحماية المكتسبات وحماية المصالح ينشأ عنه قتل وتدمير وهتك أعراض، والفاتورة دائماً يدفعها المسلم السُني، وبغض النظر عن أهداف الثورة التي يرددها أصحابها، فإن النتائج دائماً هي المتحدث الرسمي الوحيد الذي يجب أن يُسمع له.

تطبيقاً لما ذكرنا من أطروحات لوبون فإن الحراك الثوري في سوريا كان همجياً غير مبني علي أي أسس علمية،

ولا يوجد أصلاً أسساً علمية للقيام بثورة ناجحة، بل هي عبارة عن مُحرك استطاع أن يستخدم الشعارات المناسبة مع تقبل جمهور ما لكل ما يُطرح عليه من خيارات ثورية بالطبع دون غيرها، مع إلغاء دور العقل وتغليب الخيال والسباحة في مستقبل مُنتظر يعمه الخير والبركات تكثر فيه الأموال وتحقق فيه العدالة، كل ذلك دون منطق معقول أو الإمساك بطرف خيط يوصل إلي أي حقائق! هل علمت الآن كيف أن الجماهير تسببت في دمار سوريا كمثال!

سينتقد من يعارض هذا الرأي كلامي لأنه يري من الحاكم الظالم وحده السبب في دمار البلاد، والحق أن الحاكم الظالم لا شك أنه ترس أصيل في منظومة الخراب، لكني هُنا أتكلم عن من يدفعه للقتل دون وضوح ورؤي أو وجود منطق عاقل، لا أتكلم هُنا عن سوء إدارته، فإن كان سيء الإدارة فهل يكون الحل في تهييجه علي العوام واستعداءه عليهم فيكون كما يقولون في المثل (موت وخراب ديار!؟) كما أننا لو تحدثنا

الحاكم وإدارته السيئة هي جزء منا ونتاج لثقافتنا بل أقول هو بنظامه وإدارته السيئة مرآة لحقيقتنا لكننا نكره النظر في المرآه لبشاعة الحقيقة ونختار أن نتعامل مع الخيال لجمال صورته.

هذه النتائج التي عاصرناها بعد التجربة الثورية هي ما جعلت غوستاف لوبون قديماً يقول حتي عن الثورة الفرنسية التي تَغني بها بعض الثوريين «إن عواقب هذه الثورة لا تساوي أعباءها». [1]

تعالي إلي الثورة المصرية لنري مثالاً أكثر وضوحاً، وقد ذكرنا طرفاً من دور الإعلام وقناة الجزيرة في قيام الثورة المصرية، كيف أثر الإعلام علي الرأي العام وخلق من مجموعة داخل وطن كبير ثورة لا يُمكن التنازل عن مكتسباتها وما النتائج التي وصلت إليها تلك الثورة!؟

الثورة المصرية نموذج آخر :

(١) روح الثورات والثورة الفرنسية صـ ١٥

يقول لوبون «لا تتم الثورات إلا إذا دعمها فريق كبير من الجيش، فلم تأفُل الملكيةُ في فرنسا يوم قطع رأس لويس السادس عشر، بل يوم امتنع جُنده عن الدفاع عنه»[1] وبناءً عليه فالجيش يستطيع تسليمها باليمين ثم استلامها باليسار!

لنأخذ فرصة نكون فيها صادقين مع أنفسنا، فنقول لماذا لم تسقط مصر في النفق المظلم الذي سقطت فيه سوريا؟

الذي حصل والذي كان مُعداً له كان نفس السيناريو الحاصل في سوريا، ولكن ما حصل في مصر خالف التوقعات التي بُنيت عليها خطة من حركوا الثورات وكانوا سبباً في اندلاعها، فكان المُتوقع حدوثه أن يدافع مبارك عن كرسيه ويقف الجيش حامياً له ومدافعاً عنه فتكون الحرب الأهلية بين الجيش والشعب ثم انقسامات وفصائل ومن ثم دمار وخراب، وهذا ما لم يحدث لأن الجيش تخلي عن مبارك وساند الثوار، ولكن انتبه هذا لم يحدث لأن الجيش ثوري بطبيعته ولا لأنه

(١) روح الثورات صـ ٢٨

يري أن الحق مع الثوار وأن نظام مبارك علي الباطل، ولكن لعلمهم أن الوضع خطير وأن الصدام سيكون رهيب اختاروا التخلي عن مبارك ومساندة الثوار لحين وضع خطة بديلة، ولولا ذلك لكانت مصر اليوم تعيش نفس مأساة سوريا ولكن الله سلم.

لكن السؤال الهام حتي لا نخرج بعيداً عن أصل موضوعنا، كيف صُنع الجمهور، كيف صُنعت الثورة المصرية؟

بالرغم من فساد دولة مبارك لكن الشعب المصري شعب مسالم بطبعه، لا يميل إلي الثورات، لكنه يميل إلي الاستقرار، لكن دولة كالولايات المتحدة الأمريكية والتي تعيش علي الجانب الآخر من العالم تسعي دائماً لتأمين اقتصادها القائم في المقام الأول علي بيع السلاح للشرق الأوسط وسرقة النفط من دول الخليج، واعادة إعمار الدول بعد الحرب، ولذا يجب أن لا تهدأ الأمور في هذه المنطقة أبداً.

إذا أردت احتلال أمة ما فأمامك الخيار العسكري لكنه خيار مُكلف جداً، وينتج عنه خسائر كبيرة، لكن لديك خياراً آخر بدون خسائر، وهو نشر الفوضى، وبدلاً من ارسال القوات للحرب علي أرض مصرية أو سورية أو عراقية أو غيرها وتفقد فيها جنوداً وتُكلف نفسك عناء التسليح عليك فقط نشر الفوضى بينهم ثم بيع السلاح لهم! وحينما تنهدم البنيات التحتية من سيبنيها غير الغرب؟ هذه لعبة إبليس، لن يكون لدي العرب خيار إذا نجحت الخطة إلا شراء ما تريد بيعه لهم أو أن يكونوا حُلفاء طائعين تحركهم كيف تشاء، إذن الفكرة أن تقتلهم بأيديهم ثم ابكي عليهم وقدم لهم يد العون ولا ترجع إلا إذا دفعوا لك ثمن دعمك لهم! هذا أمر عجيب لكنه حقيقي وفعال.

عام ٢٠١١ وبعد نجاح الثورة في ازاحة مبارك عُقد مؤتمر صحفي في الولايات المُتحدة الأمريكية وكان موضوع المؤتمر - الحرية والدروس المستفادة من الشرق الأوسط – وكان المؤتمر بحضور الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش

الابن ووزيرة الخارجية السابقة كوندليزا رايس صاحبة مشروع الفوضى الخلاقة في الشرق الأوسط أو الشرق الأوسط الجديد!

تكلم في المؤتمر **محمد صلاح** مؤسس حركة ٦ إبريل وكانت كلمته تستحق التأمل في هوية هذه الحركة المسماه بـ ٦ ابريل، شكر محمد صلاح الولايات المتحدة الأمريكية التي ساعدتهم في انشاء الحركة في ٢٠٠٤ ، ثم وجه اللوم لهم لأنهم تخلو عنها في فترة من الفترات، وقال بالنص أنهم (أي الحركة) كانت قريبة من تحرير مصر وربما العديد من الدول العربية!

كان رد **كوندليزا** رايس أنه ليس معني خذلان أمريكا لهم أنها لم تحاول مساعدتهم، فالولايات المُتحدة لا تستطيع دفع الأحداث دائماً في الاتجاه الذي تريد، ففي العراق حيث أسقطنا ديكتاتور كان يشكل خطراً علي السلام والأمن القومي العالمي، كان لدينا وسائل مباشرة للإصرار علي هيكلة ومساعدة الشعب العراقي للحصور المباشر علي الديمقراطية، أما في الدول التي توجد فيها أنظمة هادئة في السلطة كما هو

الحال في مصر [1] حيث تعاملنا مع نظام مبارك بشأن القضايا التي نتناولها مثل القضية الفلسطينية أو محاولة السيطرة علي حماس أو محاولة التعامل مع الملف النووي في إيران فلم تكن لدينا تلك الوسائل المباشرة للتعامل، حاولنا الحديث عن القيم وقد استمر الحديث عن القيم كل هذه الفترة بأكملها، حاولنا منح الشعب المصري الوسائل التي يحتاجها ليطالب بحريته، وكان من ضمن هذه الوسائل منح ٥٠٪ من المساعدات الأمريكية لتعزيز الديمقراطية في مصر لمجموعات ليست مسجلة لدي الحكومة المصرية وهذه كانت صفعة للحكومة المصرية، ولا أريد أن أحرج الرئيس جورج بوش حول سؤال لماذا لم يأت الرئيس مبارك إلي أمريكا طوال هذه الفترة منذ ٢٠٠٤، تخيل أن الرئيس الأمريكي الأمريكي لا يستطيع جلب الرئيس المصري إلي أمريكا!!

---

(١) لاحظ استخدام كلمة أنظمة هادئة لان المفروض أن تكون غير ذلك ، وبما أنها كذلك فنصنع ما يحرك هذا الماء الراكد يتصبح أنظمة غير هادئة ، عدوانية ، وحشية ، ومن ثم يمكن عمل شيء!

ثم قالت بعد قليل "وليس للموضوع علاقة بالصراع الإسرائيلي الفلسطيني بل بعلاقتنا بصناعة ثورة في مصر، وها نحن استخدمنا الأدوات التي نمتلكها، وقد وضعنا الأساس لشخص مثلك – تقصد مؤسس ٦ ابريل – من الشباب الذين هُم شجعان ووطنيون وصبورون للبناء علي هذا الأساس، حتي يأتي اليوم ويصبح واقعاً ونري تحقيق هذه الأهداف". [1]

إذن قبل الثورة كانت هُناك تجهيزات لإعدادها بطريقة ما، خصوصاً وأن العلاقات المصرية الأمريكية كانت قد اهتزت بعد حادث الحادي عشر من سبتمبر ولعل السبب أن الرئيس مبارك لم يكن مقتنعاً أن مجموعة من الشباب العرب يستطيعون مهاجمة برج التجارة العالمي، وكان مبارك يُلمح ألي اقتناعه بوجود مؤامرة تسمح بالتدخل الأمريكي في شئون البلدان العربية والإسلامية [2] وفي نفس الفترة كانت العلاقات

---

(١) مقطع من المؤتمر علي اليوتيوب تحت عنوان أمريكا تعترف بصناعة ثورة ٢٥ يناير

(٢) شهادتي أحمد أبو الغيط صـ ١٣٧

الأمريكية السورية علي المحك بسبب أن أمريكا كانت تسعي وقتها إلي تغيير النظام الحاكم فيها!

المحت إلي ذلك التوجه هيلاري كلينتون قالت (أن كودليزا رايس قالت في إحدى اللقاءات أنه طوال نصف قرن اختارت الولايات المُتحدة السعي إلي الأمن علي حساب الديمقراطية ولم تُحقق أيًا منها وأن الأمر سيختلف من الآن فصاعداً). [1]

كانت الدعوة إلي مظاهرات في مصر لم تتعدي صفحات الفيس بوك وكلنا عاصر تلك الفترة، ولم يكن المشاركين فيها سوي الشباب قليلي الخبرة تحركهم أيدي خفية، والساحة المصرية كانت قد أعتدت لاندلاع ثورة حتي قبل نزول شاب واحد إلي الميادين، وهُنا تكمن خطورة تكوين الجمهور النفسي التي تحدث عنها غوستاف لوبون، فيمكنك تجهيز هذا الجمهور النفسي وجمعه حول فكرة تكون هي قائده، وهذا هو سر قول البعض أن الثورة المصرية ليس لها

(١) خيارات صعبة ٣٢٤

قائد، صحيح أن لها أيقونة أو مُحرض، لكن ليس لها قائد إذا نجحت الثورة يتولى هو مهام الحُكم.

تم تهيئة هذا الجمهور استعداداً للنزول، ومع أول شرارة لأول تظاهرة كانت هيلاري كلينتون تتصل بوزير الخارجية وقتها الدكتور أحمد أبو الغيط وتقول « يجب أن تتعامل الحكومة المصرية مع الوضع بحكمة، واتاحة الفرصة للمظاهرات أن تمر بسلام!» [1]

هذا الجمهور النفسي الذي قد تم اعداده للثورة المصرية كانت مطالباته محددة، وكانت تدور حول إصلاحات وليس تنحي للرئيس عن منصبة، وخرج مبارك في خطابه العاطفي فأدار الدفة وغير الموقف، وتعاطف معه الكثير من المصريين بل ورُبما من المتظاهرين، وهُنا يجب التدخل من المُحرك، أقصد مُحرك الثورة، لا تنسي أن الثورة تُحركها يد خفية أبداً واستصحب معك هذا المعني دائمًا، ثم ظهرت علي

(١) شهادتي أحمد أبو الغيط صـ ٤٩١ – خيارات صعبة ص ٣١١

الساحة المصرية معركة الجمل فكانت هي الحاسمة والقاضية علي دولة مبارك، وهُنا نُلمح إلي غياب العقل والمنطق الذي تحدث عنها لوبون مرة أخري فنقول:

إذا كان الأمر بدأ في الهدوء، والتيارات الثورية كما تسميها قناة الجزيرة بدأت في التراجع، فما الداعي لضرب المتظاهرين بالجمال والخيول في معركة لا يصنعها شخص متهور فضلاً عن رئيس استطاع أن يسوس شعب كالشعب المصري لقرابة الثلاثين عاماً [1] ! لكن أحداً من الجمهور لم يُفكر عن ماهية هذه الحركة وبدأت المعركة بلا هوادة وتصعدت الأمور وتضاعفت المُطالبات حتي وصلت للتنحي، وهُنا تتجلي عبقرية لوبون في توصيفه لحال الجمهور في هذه المرحلة فقال غياب العقل والتهور هم سيد الموقف.

---

[1] أقصد أنه يستحيل عقلاً أن يكون مبارك أو حتى نظامه هو من نظم هذه المعركة السخيفة ، بم أن الثوار أمسكوا بالخيول والجمال وأصحابها فلماذا لم يصوروا اعترافات مثلاً منهم يوضحون من الذي أرسلهم ؟ الامر فيه مكر وخداع .

بعد خطاب التنحي الذي ألقاه عُمر سليمان هتف الثوار أن الثورة قد نجحت وحققت اهدافها، وهذا الهتاف هو نتاج الوهم الذي أَوحي به المُحرك ورسخه في عقول المتظاهرين، فالثورة لها أهداف محددة، عيش، حرية، عدالة اجتماعية، لكن كيف سيحدث ذلك؟ لا أحد يعلم، من سيقود الدولة لنصل إلي هذه الأهداف الرائعة؟ لا أحد يعلم، فالأمر كما سبق وذكرناه أن الأهداف لا يشترط أن تكون قابلة التنفيذ أو يكون هُناك خططاً لتنفيذها، بل لا يشترط أن تكون منطقية أصلاً، المُهم أن مُبارك تنحي فالخير قادم قادم.

هُنا نعود إلي ملامح الجمهور النفسي الذي تحدثنا عنه فكان من سمات الثورة المصرية أن ثوارها كانوا من جميع الفئات وجميع الأفكار بل وجميع الديانات الموجود في مصر، فالإخواني إلي جانب الليبرالي، والعلماني إلي جانب الإسلامي، المسلم يحمي المسيحي، والمسيحي يصب الماء لوضوء المسلم، هكذا كانت الثورة، روح واحدة إيد واحدة أهداف

واحدة، وهكذا كانت الصورة التي صُدرت للعالم وقالوا أن هذا هو سبب نجاحها.

لكن الأمر الذي غاب عن الجميع وقتها هو أن هذه السمة (وهي التنوع) داخل جمهور اتخذ سمة الجمهور النفسي كفيلة بإفشال هذه الثورة، إذ أن الاجتماع علي غير العقيدة أمر مستحيل، وإن حصل فإنه يكون مؤقتاً ثم يبدأ الخلاف عن توزيع الأدوار، وهذا ما حدث، فسرعان ما انقلب الجميع علي الإخوان المسلمين بعد تولي محمد مرسي الحُكم، وكذلك انقلب الإخوان علي الجميع حفاظاً علي مُكتسباتهم، وهذا الانقلاب من الإخوان علي الجميع أيضاً حَكَمَتْهُ روح الجماعة لأن الإخوان المسلمين أيضاً تشكل جماعتهم بذاتها جمهوراً نفسياً منفصلاً يحمل كُل ملامح الجمهور النفسي الذي تحدثنا عنه فتجد فيهم العُجب والتهور والانتماء والتعصب وعدم الرؤية الواضحة والتضحية بالغالي والنفيس من أجل نصرة

منهجهم، ولو أفردنا هذا الكتاب لتحليل ذلك ما كان كافياً فهي من أعقد الجماعات التي يُمكن الحديث عنها.

اعتصام رابعة نموذج أخير:

لا يُمكن مغادرة هذه الجزئية من كتابكم دون ذكر اعتصام رابعة، فقد يكفي تحليل هذا الاعتصام عن الباب بأكمله، فبعد عزل محمد مرسي وجد الإخوان المسلمون حُلمهم يضيع ولا ينبغي أن يضيع، وكانت الدعوات للاعتصام تحت شعار نُصرة الشرعية، وحماية مُكتسبات الثورة، لاحظ دائماً اختيار الشعارات، فنحن لا نُدافع عن الرئيس من أجل أننا ندافع عن الحُكم، لا بل ندافع عن عنكم في صورته وشخصه، وبالرغم من ضعف الرئيس السابق محمد مرسي إلا أنه يجب الا يعزل بأي ثمن.

الجمهور النفسي في اعتصام رابعة كان مُشكلاً قبل الاعتصام، إذ أن الشباب قد جمعتهم فكرة وتحكمت فيهم

بشكل كامل دون تفكير أو تأمل، ولذا مع أول نداء كان الاجتماع في الميدان.

حتي يتضح لك الأمر أكثر فيجب عليك أن تتابع بعض مقاطع اليوتيوب الآن وبعد مرور أربع سنوات علي فض الاعتصام، وتشاهد كيف سحر قادة الإخوان عقول الشباب المسكين، لكن اعلم أنه من حُسن حظك أنك لم تكُن هُناك، لأنك ببساطة كُنت ستهتف معهم! فالجمهور لا يُقاوم.

لكنك باعتبار أنك لم تكُن هُناك، بعدما تشاهد المقاطع ستتعجب، كيف كان هؤلاء المساكين يصدقون ذلك، ولك كُل الحق في ذلك، لكن الامر كما ذكرت لك خارج الإرادة.

ولنتأمل قليلاً في الشعارات التي كانت تُردد، أول هذه الشعارات وأقواها (عيش – حُرية – شريعة إسلامية!)

كُن ذكياً ولا تُمرر هذه النقطة مرور الكرام، بل انتبه لاختيار الشعار، قُلنا أن في ثورة يناير كانت الشعارات التي يرددها الشباب (عيش – حرية – عدالة اجتماعية) لأن الجمهور إخوان

وغيـر إخـوان، فـلا يُمكـن أبـداً إدراج الشـريعة الإسـلامية في الشعـارات، بـل مـن الحكمـة تأجيلهـا أو إلغائهـا إن لـزم الأمـر فالغاية تبرر الوسيلة، وقُلنا أن مـن أهـم الوسـائل التي تُحـرك بها الجمهور (الشعارات) وفي مرحلة اعتصـام رابعـة لـن يتظـاهر إلا الإخـوان المسـلمين والمتعـاطفين معهـم، ومـا يتناسـب مـع هـذا الجمهور ربطهم بمؤثر نفسي قوي، وليس أقوي عند هـؤلاء مـن الشـريعة الإسـلامية التـي لـم تكُـن ضـمن شـعاراتهم في ثـورة ٢٥ يناير!

هل تعتقد أن أحداً من المتظاهرين سأل نفسه لمـاذا الآن أُدرجت الشريعة الإسلامية ضمن هتافاتنا ولم تُدرج في السـابق؟ لا ولـن يسـأل أحـد، فالكُـل الآن تحـت تـأثير مُخـدر كُلـي سـيطر علي العقـل وحجـب عنـه التأمـل والتفكيـر، فقـط العـواطـف هـي التي تعمل وهكذا الأمور دائمـاً تسير.

أما الشعار الثاني والذي لم يجرؤ أحـد علـي قولـه في ٢٥ يناير هو (يسقط حكم العسكر) والذي لـم يُفكـر فيـه أحـد

المتظاهرين هو كيف سيسقط؟! العسكر هم الجيش الذي اثبتت التجربة الثورية أن الثورات لا تنجح إلا إن كان الجيش حامياً لها أو علي الأقل محايداً، فماذا لو تولي هو الأمر؟

من الوهلة الأولي واللبيب يعلم أن الأمر قد حُسم طالما أن الجيش تولي، لكن الجمهور كما تعلمنا وحفظنا من كل ما سبق لا يعرف مستحيل.

ولشعار يسقط حُكم العسكر قوة أخري وهي خلق روح التحدي، فتخيل أن ذلك الشاب المسكين المُهمش، ورُبما الجبان ضعيف الشخصية تُتاح له الفرصة أن يقف ويهتف ضد جيش كامل، ياله من شعور رائع، صحيح أن هذه الشجاعة وليدة انخراطه في الجمهور ولو كان وحده لم يفعل لكنها لحظات لا يجب أن تُترك، الشعور بالشجاعة وبالقوة لا يُقاوم، فما بالك وانت تدافع عن الشريعة، تدافع عن الإسلام، ولذلك استمرت هذه الشعارات مع الإخوان حتي بعد فض الاعتصام.

إذا أردت أن تستجلي المعني الذي ذكرته لك في الفقرة السابقة وأن محركي هذا الاعتقام أرادوا بث هذه الروح القتالية والحماسية في المعتصمين فيكفيك أن تسمع منهم هذا الهتاف (قوة – عزيمة – إيمان – رجالة مرسي في كُل مكان) (١) أرادوا بهذا المشهد وهذه الهتافات إلي جانب تثبيت الشباب وتحميسهم أرادوا أيضاً إرهاب المجلس العسكري، وغاب عنهم أن المجلس العسكري والجيش هو أيضاً جمهور نفسي عنده ما عندهم من حماسة وإصرار وقوة حقيقية وليس مجرد شعارات، ولذا لما قامت المعركة كان الظفر فيها للجيش المصري، وفي اللحظة الذي أيقن فيها الشباب أن القادة هربوا من الميدان انفرط عقد الجمهور النفسي وهرب كُل واحد من طريق وعاد إلي حقيقته وشخصيته، ثم بدأت مرحلة جديدة من الحرب النفسية علي الصفحات والمنتديات علي الانترنت، فتحول الجهاد من الميدان إلي الفيس بوك وتويتر وهذه أيضاً

(١) مقطع علي اليوتيوب بحت اسم: من الذاكرة اقوى هتافات رابعة العدوية اجمل فديو ممكن تشوفه في حياتك

منصات تُشكل جمهوراً نفسياً يُمكن السيطرة عليه وتوجيهه بشكل من الأشكال.

<u>ننتقل إلي عصر مختلف ونذكر أمثلة قديمة من ثورات المصريين:</u>

فنذكر من ذلك أيضاً ما حدث في مصر عام ٩٤٧م، قامت ثورة بقيادة رجل يُدعي غليون، وكانت ضد كافور الإخشيدي، وانتهز فرصة تواجد الإخشيدي في الشام فحاول الاستقلال بمصر واستمرت هذه الحركة عام كامل حتي ٩٤٨م، ولكن قُضي عليها وكان من نتائجها اضطراب الأمور لدرجة أنه لم يستطع أحد من المصريين الذهاب إلي الحج فيها، ثم ثار محمد بن علي السلمي عام ٩٦٣م، لكن محاولته باءت بالفشل وانتهي مصيره بالاعتقال وانتقم لذلك بنو سليم من أهله وقاموا بقتل كثير من الحُجاج ونهبوا أموالهم وأمتعتهم ومات من الناس مالا يُحصي عدده. [١] وهكذا تكون الثورات.

---

[١] ثورات المصريين في العصر الفاطمي صـ ٣٥

كُل ما سبق مفاده أن الثورات تَرسخ في قلوب الدُعاة إليها والمشاركين فيها أنها سبيل للتغيير، والتغيير يبدأ من تغيير الحُكم ثم تغيير المؤسسات بعد ذلك لصناعة نهضة ومواكبة العصر والتقدم، وغاب عن هؤلاء أن هذه الثورات لا تكون أبداً ذات نتائج مهمة لأن فكر الجمهور أن السعادة ستنبثق من النظام الجديد الذي سيقترحونه مجرد وهم ذلك لأن النظام الجديد إن خرج من اختيارهم فسيكون مبني علي عاطفة وليس عن عقل، وهُم مجموعة من الأشخاص بعيدي النظر عن حقائق الأمور، وهكذا تتبخر الآمال.

كُل ما سبق ذكره من نظريات ونقولات وأمثلة من واقعنا المعاصر ليس إلا نقل لصورة عاشها الكثير منا لكنه لم يفهمها ، مع محاولة لشرح ما أستطيع شرحه من وجهة نظري المتواضعة والتي لا تنفك أبداً عن فهمي لديني فهو قائدي دون غيره، ولذلك لا يُمكن الانتقال لنقطة أخري دون الإبحار في

رأي الإسلام العظيم في نظرية الجماهير وكيف عالجها النبي ﷺ وهذا هو الجزء الأهم بلا شك فالله المستعان.

الدهماء (الجمهور) في الإسلام:

من بديع ما قال الصحابي الجليل علي ابن أبي طالب رضي الله عنه في تقسيم الناس قوله (الناس ثلاثة فعالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل صائح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق) قال بن القيم رحمه الله (هذا علامة من عدم البصيرة فإنك تراه يستحسن الشيء وضده ويمدح الشيء ويذمه، فمن صاح بهؤلاء الهمج والرعاع ودعاهم تبعوه سواء دعاهم الى هدى أو الى ضلال فانهم لا علم لهم بالذي يُدعون اليه أحقٌ هو أم باطل فهم مستجيبون لدعوته وهؤلاء من أضر الخلق على الاديان والأوطان فإنهم الأكثرون عددا الأقلون علماً وفهماً وهم حطب كل فتنة بهم توقد) [1] وقطبا السعادة عند بن القيم هما

(1) مفتاح دار السعادة صـ ١٢٦ ، صـ ٣٠٣ بتصرف بسيط

العلم والقوة ، فالإنسان إن كان عالمـًا لكنه ضعيف قلَّت فائدته ، وإن كان قويـًا لكنه جاهل عظم فساده، فتخيل إن كـان جاهلاً وضعيفـًا ومتهوراً فكيف يكون؟! وغالب الدهماء يجمعون بين الجهل والضعف والتهور وما قوتهم إلا عند اجتماعهم علي أي فكرة أو أي هدف وإن كـان تافهـًا أو مستحيلاً، ولذلك كانت نصيحة بليغة قدمها إسحاق بن راهَوَيِه للمسلمين، فيقول: احذروا الغوغاء، فإنهم قتلة الأنبياء [1] وليس هذا التوجيه والنصيحة الغالية ببعيدة عن الهدي النبوي، فالنبي ﷺ حذر من الاجتماع علي غير هُدي، وقال في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه لما سأله عن الشر الذي سيكون في زمان من الأزمنة التي سيكون فيها الدخن، فلما سأل حذيفة رضي الله عنه عن الدخن ما يكون قال له النبي ﷺ "قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ" [2] قال النبي ﷺ (قوم) وهذا وصف جماعي، ومع أنهم قوم (أي

(1) سير أعلام النبلاء ١٢/١٧٨

(2) رواه البخاري ٣٦٠٦ ، ومسلم ١٨٤٧

جماعة) لكن أمر النبي ﷺ بمخالفتهم لأنهم ليسوا علي الهدي، فليس معني أنهم جماعة أن يُتبعوا .. ولم يشفع لهم أنهم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا كما قال النبي ﷺ فالحق أحقُ أن يُتبع، والرجال يعرفون بالحق وليس الحق يُعرف بالرجال، فكان التوجيه النبوي لحذيفة بكلمات واضحة (اعتزل تلك الفرق كُلها) إن لم يكُن للمسلمين جماعة ولا إمام.

بل من بليغ كلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قوله (الجماعةُ ما وافق الحق وإن كُنت وحدك) ومن الأنبياء من يجيء يوم القيامة وليس معه أحد كما قال النبي ﷺ في الحديث القدسي الذي رواه أحمد عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. (1)

واعلم أن الكثرةَ لم تأت ممدوحة قط في القرآن الكريم ، وأقرأ إن شئت قول الله ﷻ (وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ)

---

(1) رواه احمد برقم ١٥ - مسند أبي بكر الصديق

[1] وقال تعالي (مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [2] والآيات في ذم الكثرة كثيرة فليست الكثرة أبداً دليلٌ علي الحق ، بل من دقيق ما وصف الله به أهل الكثرة في أزمنة متأخرة ومتقدمة أنهم لا يتبعون إلا الظن قال بن كثير رحمه الله (يخبر تعالى عن حال أكثر أهل الأرض من بني آدم أنه الضلال ، كما قال تعالى: (وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ) [3] فهي سُنة من سُنن الله الكونية، وقال تعالى: (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) [4] أيضاً هذا من سُنن الله الكونية [5]، وهم في ضلالهم

---

(1) الانعام ١١٦

(٢) يوسف ٤٠

(٣) الصافات ٧١

(٤) يوسف ١٠٣

(5) السنن الكونية: هي آيات الله التي يحصل في هذا الكون، كالعقوبات السماوية للمشركين، والكفار، والنصر، والتمكين الذي يؤيد الله به المؤمنين، وسعة الرزق، والغنى للمتوكلين على الله، والابتلاء والامتحان لاهل الإيمان؛ ليظهر الصبر والاحتساب، وهكذا كل ما يحدث في هذا الكون من الايات، والعبر، والعقوبات، والنعمٍ (بن جبرين) فنقول من السنن الكونية أن أهل الحق قليه في كل زمان ، وأهل الباطل كثيرة في كل زمان ، ومن السنن الكونية

ليسوا على يقين من أمرهم، وإنما هم في ظنون كاذبة وحسبان باطل. [1]

أنه لا يؤمن بالله إلا خيار الناس وخيارهم قليل ، بينما يكفر به أكثر الناس وأكثرهم هالكين (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين)

(١) تفسير بن كثير ٣٢٢/٣

والخلاصة أن الجماعة التي لا يجوز لمسلم التخلف عنها هي جماعة المسلمين ما داموا علي الحق، فإن خالف الكُل الحق [1] ولزمه إنسان بمفرده فهو الجماعة وإن كان وحدة ، وهذا ممتنع في الأزمنة التي ينتشر فيها أهل العلم بالدين، فهم الآن جماعة المسلمين التي ينبغي أن يلزمها المسلم ولا يتخلى عنهم أبداً.

وأهل العلم دائمـاً يُفرقون بين ما يُقال أمام العُلماء والحُكماء وبين ما يُقال أمام الدهماء والغوغاء، وقيل في الأدب ليس كُل ما يُعرف يقال، وقال علي بن أبي طالب ﷺ (حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ) ومثله قول ابن مسعود ﷺ (ما أنْتَ بِمُحَدثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لا تَبْلُغُهُ عُقُولُهم إلا كانَ لبَعْضِهم فتنةً) [2] وفي الأثر قال عيسى بن مريم (يا بني إسرائيل لا تمنعوا الحكمة أهلها فتظلموهم ولا تبذلوها لغير

(١) هذا افتراض جدلي
(٢) رواه مسلم - حديث رقم ٥

أهلها فتظلموها)[1] كُل ذلك لما للدهماء والجماهير التي اجتمعت علي غير هدي ومن غير وعي من صفات يعلمها أهل العلم، ويخشاها أهل العقل، ولهم في التاريخ أحداثًا يندي لها الجبين، لكن لا ينقل تلك الأحداث إلا العلماء المخلصين ومن ذلك ما يلي من أمثلة كي تكون قائداً لعقلك وقلبك إذ أن المثال قائد أمين لمن عَقِلَهُ وفَهِمَهُ.

الثورة؛ الباب المفتوح لانتشار الفتن:

أهل الفتن والأهواء لا يتركون فرصة إلا اهتبلوها للوصول إلي غايتهم، ودائمًا يعتمدون علي رعاع الناس وغوغائهم لاغتنام هذه الجمهرة في إثبات أن هذا هو الشعب الذي يريد كذا وكذا، لكن هذه الجموع لا تُفلح غالبًا حتي لو حسُنت النوايا من بعض أفرادها، قال بن خلدون عن الثورة والثوار (ومن هذا الباب أحوال الثوار القائمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء فان كثيراً من المنتحلين للعبادة وسلوك طرق

(١) روضة المحبين ١/٣٠٦

الدين يذهبون إلى القيام على أهل الجور من الأمراء داعين إلى تغيير المنكر والنهي عنه والامر بالمعروف رجاء في الثواب عليه من الله فيكثر أتباعهم من الغوغاء والدهماء ويُعرِضون أنفسهم في ذلك للمهالك وأكثرهم يهلكون في هذا السبيل مأزورين غير ماجورين لان الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم وإنما أمر به حيث تكون القدرة عليه مع وجود داعيه القوي تحت إمرة أهل العلم والفقه) [1] وكلام بن خلدون صادر عن دراية ومُتابعة دقيقة للتاريخ وأحداثه، لكن في التاريخ القديم والحديث لم تهدأ الثورات علي الحُكام بغرض خلعهم بنية صالحة أو طالحة، وكُلما تولي حاكمٌ خرجت فئة من الناس تُظهر ما في حُكمه من مثالب، وما في إدارته من تقصير ومعايب ، وليس في الناس بعد عهد النبوة من كمال، فتبقي الحُكامُ غير مرضي عنهم، ويبقي الثوار في ثورتهم لعزل الحكام وتولي مكانه، فلا الحاكم يتنازل عن كرسيه، ولا الثائر يتنازل عن هدفه، وتبقي العامة من الناس

(١) ياريخ س خلدون ١٥٩/١

المساكين تدفع ثمن هذه الخلافات الأزلية من دماءهم وأموالهم دون جدوي حقيقية لمصلحة الأمة، بل إن الخسارة تلحق بالجميع في نهاية الأمر.

أمثلة من الثورات وأساليب الدهماء والغوغاء في التاريخ:

- نبدأ بأول ثورة حصلت في الإسلام وهي ثورة عبد الله بن سبأ علي عثمان بن عفان ﷺ، ولا تختلف ثورة عبد الله بن سبأ كثيراً عن الثورات التي حصلت في التاريخ، والتي لأغلبها مصالح سياسية أو مطامع في الحكم والرياسة، وكان بن سبأ يحمل حقداً كبيراً علي عثمان رضي الله عنه.

قال عبدُ الله بن سبأ لجمهوره المُعد نفسيًا: إن عثمان التف علي السلطة واختطف الحكم من علي بن أبي طالب وعليٌ أولي منه، فقوموا وثورا عليه وانتصروا لعلي صاحب الحق لتعود شرعيته وليحكم دولته، انتصروا لصاحب الحق وأفضل الجهاد عند الله كلمة حق عند سلطان جائر، وما فعله عثمان جور، وهل هناك جور أعظم من الالتفاف علي إرادتنا واختطاف ثورتنا! [1] ثم أيده في ذلك جماعة من الدهماء وعاهدوه علي إعادة الحق لأهله فهذه رسالة دونها الرقاب!

---

(1) طبعاً هذا ليس نص ما قاله ولكنه بالمعنى حتى تدرك أنه نفس ما يثار من قديم

بدأوا مع الناس حسب توجيه عبد الله بن سبأ بالأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر ليستعطفوا الناس، ثم بدأوا يؤلبون الناس علي عثمان ويطعنون فيه وفي ذمته المالية، ثم اتفق الجميع علي قتله رضي الله عنه بعدما صُدقت الإشاعات التي بثها ابن السوداء [1] في قلوب الجماهير الغافلة وكان دوره كبيراً حيث هيج الناس للثورة ووقف يشاهد ويصفق لهم علي روعة التنفيذ وجمال المشهد!

غياب المنطق العقلي عند الجماهير:

حصلت مناقشة بين عثمان ﵁ وبين الثوار فقال لهم (ماذا تنقمون مني) يعني ماذا تأخذون عليَّ في حُكمي؟ مال الذي لا يعجبكم في طريقة إداريتي للدولة؟

قالوا: ننقم عليك أنك خالفت سُنة النبي وصاحبيه [2] فأتممت الصلاة في مِني!

---

(1) ابن السوداء هو عبد الله بن سبأ ، وسمي بهذا الاسم لان أمه سوداء ، وهو يهودي أسلم في زمن عثمان ، وكان منافقا خالصا يظهر الإسلام ويبطن الكفر .

(2) صاحبيه يعني أبو بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما

تخيل أن حُجتهم في قتل أمير المُؤمنين أنه أتم الصلاة في منى واعتبروا أنه بذلك خالف النبي ﷺ في سُنته!

قال لهم عُثمان: أما إني في بلد فيه أهلي فاجتهدتُ وأتممت الصلاة، فماذا تنقمون عليا غير ذلك، قالوا: وحميت الحمى[1] قال: وإني والله ما حميت إلا حمى قبلي، وإني قد وليت وإني لأكثر العرب بعيراً وشاةً، فمالي اليوم غير بعيرين لحجتي، أكذلك[2] قالوا: نعم[3] قالوا: كان القرآن كُتُبًا فتركتها إلا واحداً[4] قال: ألا وإن القرآن واحد جاء من عند واحد، وإنما أنا في ذلك تابع هؤلاء، أكذلك قالوا: نعم[5]

---

(1) يعني جمعت المال ونهبت خزاين الدوله، على أساس أنهم خائفون على المال العام ويدافعون عن حقوق الشعب وحقه في الحياة الكريمة والعيش والحرية والعداله الاجتماعية! مع أن مـن أرسلهم لقتل عثمان كان يهودياً ، فتأمل .

(2) أكذلك : يعني أصدقت فما قلت .

(3) يعني لما ولي الحكم كان غنياً وهذا مشهود له ، فهو من حفر بئر رومية وجيش جيش العسرة ، وكان من أيسر العرب ، فما ولي الحكم صرف كل ماله وما بقي له إلا جملين ! ولك أن تقارن بين ذلك الحاكم أو رئيس الدوله وبين أصغر عضو في مجلس الشعب !

(4) يعني ينتقدون عليه جمع القرآن في مصحف واحد !

(5) تاريخ الاسلام ٤٣٧/٣

واستمر الجدال غير كثير حتي لم يُترك للثوار حُجة في قتله، وظن عثمان أنه بذلك أطفأ ثورتهم أو علي الأقل أمن شرهم، إلا أنهم اجتمعوا مرة أخري وحاصروا بيته ومنعوا عنه الماء وهو صاحب بئر رومية!

حاول الصحابة أن يُدافعوا عن عثمان لكنه رفض وقال (لا أُحب أن القي الله بقطرة دم لأمرئ مُسلم) وكان النبي ﷺ قد قال لعثمان (يا عثمان لعل الله أن يُقمصك قميصاً – يعني الخلافة – فإن أرادك المُنافقون علي خلعه فلا تخلعه حتي يخلعونه ، يا عُثمان إنك ستُبتلي بعدي فلا تقاتلن) [1] واستجاب عثمان لذلك ولم يُقاتل واختار حقن الدماء وضحي بنفسه.

هاجم الثوارُ بيتَ عُثمان وقتلوه ولم يُشارك في قتله صحابي واحد، وكل من شارك في قتله هم السوقة والدهماء، قال شيخ الإسلام (وإن خيار المُسلمين لم يدخل واحد منهم في دم عثمان، لا قَتَل ولا أمر بقتل ولا حرض عليه، وإنما قتله

(١) رواه أحمد والترمذي وصححه الالباني في صحيح الجامع تحت رقم ٧٩٤٧

طائفة من المُفسدين في الأرض من أوباش القبائل وأهل الفتن) [1] وبعد قتل عثمان ﷺ وُجد من تباهي بأنه شارك في هذه الجريمة فقال طعنت عثمان تسع طعنات، منهم ثلاث طعنات لله، وست طعنات لما في نفسي من عثمان!

قُتل عثمان رضي الله عنه وهو يقرأ القرآن، وقد سقطت نقطة من دمه علي قول الله تعالي (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [2]

---

(١) مهاج السنة النبوية ١٧٤/٤

(٢) البقرة ١٣٧

المُستفاد من قصة قتل عُثمان :

مُحـرك الثـورة اسـتخدم الفاظـًا وعبـارات وشـعارات بعنايـة شديدة، فلاحظ أن عبد الله بن سبأ لـم يُظهـر أي أطمـاع، ولا أي مجد شخصي، بل قال إننا نفعل ذلك من أجل حق علي بـن أبـي طالب في الخلافة ، نحن نريد إرجاع الحق إلي أهله.

ثم تحدث تلاميذه أن ثورتهم من أجل أن عثمان عاث في الأرض فسـاداً وضـيع أمـوال المسـلمين، ونحـن مـا خرجنـا إلا طلبـًا للحرية والعيش والعدالة الاجتماعيـة، لا كراهيـة في عثمـان ولا عداء للإسلام.

ثم لما ظهرت المُحاجة العقليـة، والنقـاش المنطقـي لـم يقبلوه، إذ المطلوب إحداث فتنة وليس علاج مشكلة ولا إرجاع حـق لأهلـه، وهُـم يعلمـون أن الـدهماء إذا حُركـت عـواطفهم لا تسـتجيب لخطـاب العقـل، فـأبوا إلا إكمـال جـريمتهم حتـي بعـد قيام الحُجة العقلية عليهم.

ولما بدأوا في قتل عثمان ظهرت طبيعة الإنسان الوحشية حينما ينخرط في جماعة، فكان يكفي طعنة أو طعنتين قاتلتين، لكن طعن عثمانَ شخصٌ واحدٌ تسع طعنات! وذلك لأن الأمر فيه بُعد نفسي غير الكراهية، وهو إظهار القوة والشجاعة التي افتقدها هذا الإنسان وقتما كان منفرداً وكان يجبن عن الحديث مع عثمان فضلاً عن قتله، ثم وجد نفسه أمام رئيس الدولة ويستطيع طعنه وقتله، فهل كان يجرؤ علي فعل هذا بمفرده؟ انتم صرتم أخبر مني بالإجابة.

نتائج الثورة علي عُثمان:

يكفي أن تعلم أن حربـًا قامت بين طائفتين من المسلمين بسبب قتل عثمان بن عفان، إذ أن الولاية كانت لعلي بعده، فخرج طلحة بن عُبيد الله والزبير بن العوام وعائشة رضي الله عنها يطلبون بدم عثمان دون إذن علي وهو ولي أمر المؤمنين وقتها والصحيح أن الأمر يكون له، وبلغ ذلك عليا فخرج إلى العراق وحصلت مقتلة عظيمة راح ضحيتها ثلاثة

عشر الفاً من المسلمين، وقُتل في هذه المعركة طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام! [1] وبغض النظر عن الأحداث التاريخية وأسباب هذه الحرب وتفاصيلها فهذا مكانه كُتب التاريخ لكن الذي يعنينا هُنا هو تبيان ما لهذه الحركات التي تعتمد على الدهماء من أثر بالغ، وأنه لا يَعتمد عليهم إلا الباحثين عن الفتن أو الجهلة الذي لا يُدركون مآلات الأمور.

الثورة على علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

لا تتوقع أبداً أن الثورة ستهدأ وفي الحُكم ولي أمر للمسلمين، فالحرب كانت ولا زالت من أجل الوصول للسلطة ولا شيء غير ذلك.

عام ٣٨هـ ثار الخوارج على علي بن أبي طالب وقالوا له لقد كفرت بالله، وصاروا يصيحون في المسجد لا حُكم إلا لله، وتخيل أن علي بن أبي طالب جالس في المسجد وهُناك من يقول له يا علي ما حكَّمْتَ كتاب الله (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ

[1] ياريخ الجلفاء صـ ١٥٥

فَأُولَئِكَ هُـمُ الْكَـافِرُونَ) [1] فقـال لهـم علـي قولتـه الخالـدة (كلمـة حق أُريد بها باطل) [2]

(1) المائدة ٤٤

(2) ياريخ الإسلام ٥٩٠/٣

بداية النقاش العقلي:

جمعهم عبد الله بن عباس ﷺ لمناظرتهم، وقال لهم ما تنقمون من ابن عم رسول الله ﷺ وصهره؟ قالوا: ننقم عليه ثلاث خلال: إحداهن أنه حكم الرجال في دين الله وما للرجال ولحكم الله، والثانية أنه غلب فلم يسبِ [1] ولم يغنم، فإن كان قد حل قتالُهم فقد حل سبيُهم، وإلا فلا، والثالثة، محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أميرَ المؤمنين، فهو أميرُ المشركين. قال عبد الله بن عباس: هل غير هذا قالوا: حسبنا هذا.قال: أرأيتم إن أجبتكم من كتاب الله وسنة رسوله أراجعون أنتم قالوا: وما يمنعنا، نرجع! قال: أما قولكم إنه حكم الرجال في أمر الله، فإني سمعت الله يقول في كتابه: (يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) [2] وذلك في ثمن صيد أرنب أو نحوه قيمته ربع درهم فوض الله الحكم فيه إلى الرجال، ولو شاء أن يحكم لحكم، وقال (وَإِنْ

(١) يقصدون يوم معركة الجمل أن عليا غلب فيها لكنه لم يستحل الاموال والنساء حسب قانون الحرب أن من انتصر فمن حقه المال والسبايا.

(٢) المائدة ٩٥

خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا) فجعل الله الحُكم بينهم للرجال ولو أراد أن يحكم لحكم [1] أخرجتُ من هذه قالوا: نعم. قلت: وأما قولكم: قاتل فلم يسب، فإنه قاتل أمكم، لأن الله يقول (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) [2] فإن زعمتم أنها ليست بأمكم فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها واعتقدتم أنه يحل سبيها فقد كفرتم ، فأنتم بين ضلالتين، أخرجتُ من هذه قالوا: نعم.

قلت: وأما قولكم إنه محا اسمه من أمير المؤمنين، فإني أنبئكم عن ذلك ، أما تعلمون أن رسول الله ﷺ يوم الحديبية جرى الكتاب بينه وبين سهيل بن عمرو، فقال يا علي أُكتب: هذا ما اتفق عليه محمد رسول الله فقالوا: لو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فقال اللهم إنك تعلم أني رسولك، ثم أخذ الصحيفة فمحاها بيده، ثم قال: يا علي

(١) النساء ٣٥

(٢) الاحزاب ٦

اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، فو الله ما أخرجه ذلك من النبوة، أخرجت من هذه قالوا: نعم. [1]

بعد هذه المناظرة الشرعية العقلية المُفحمة رجع أربعة الاف من الثوار عن رأيهم، وبقي الفان، وتركهم عليٌ وأعطاهم الفرصة ليعيشوا ويتوبوا، لكن ثورة التكفير تجري في عروقهم، فكانوا يكفرون الناس إن خالفوهم بل ويستحلون دمائهم.

قابل طائفة من هؤلاء الخوارج عبد الله بن خباب الصحابي الجليل وكانت معه زوجته وكانت في شهرها الأخير، فقالوا له يا عبد الله حدثنا بحديث سمعتَه من رسول الله، قال سمعته يقول تكون بعدي فتنة القاعد فيها أفضل من القائم، والقائم فيها أفضل من الساعي [2] ، قالوا كأنك تقصدنا، قال نعم.

قتلوه في ساعتها، وقتلوا زوجته وبقروا بطنها وأخرجوا الطفل وألقوه في البحر، ولما بُلغ عليٌ ﵁ ما حصل أرسل إليهم

---

(١) ياريخ الاسلام ٤١٨/٣

(٢) صحيح البخاري رقم ٣٦٠١ - جزء ١٩٨/٤

وقال لهم من الذي قلتهم، فقالوا كُلنا قتلهم! فجهز عليٌ جيشًا وغزاهم في معركة النهروان وانتصر عليهم.

سنة ٣٩ هـ هدأت الأمور بعض الشيء، لكن لا ينبغي أن تهدأ، ثم سنة ٤٠ هـ خرج ثلاثة من الخوارج وقالوا نريد أن نريح المسلمين من ثلاثة، علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، فقال عبد الرحمن بن مُلجم، أنا أكفيكم عليًا، وترصد له وقت صلاة الفجر فطعنه في ظهره ومات رضي الله عنه .

نتائج الثورة علي علي بن أبي طالب:

بعد موت علي رضي الله عنه بدأت البدع تُطل بقرنها ، فغلا في عليٍ أُناس حتي أَلَهُوه، وقلاهُ أخرون حتي كفروه، وخرجت لنا فرقتين هم من أسوأ الفرق علي الإطلاق، وهم الخوارج والشيعة! ثم وُلي الحسن بن علي بن أبي طالب أمر المسلمين.

الثورة علي الحسن بن علي:

ومن التاريخ أيضـًا نذكر ما حدث للحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ ، وكيف أن الدهماء تُدمر وتُخرب، فلما قُتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ، بايع أهل العراق ابنه الحسن، وكان الحسن سيدا كبير القدر يرى حقن الدماء، ويكره الفتن، سار الحسن حتى نزل المدائن، وبعث على المقدمة قيس بن سعد في اثني عشر ألفا من الجنود، فبينما الحسن بالمدائن إذ صاح صائح، ألا إن قيسا قد قتل [1] فاختبط الناس [2] ، وانتهب الغوغاء سرادق الحسن، حتى نازعوه بساطًا تحته، وطعنه خارجي من بني أسد بخنجر، فقتلوا الخارجي، فنزل الحسن القصر الابيض، وكاتب معاوية في الصلح. [3] ولاحظ هُنا استعدادهم الكبير للفوضى وانتهاب الأشياء التي ليست ملكهم لمجرد أنهم أمنوا العقاب لأن قائد المعركة أو قائد الجيش قد قُتل، ولاحظ أيضـًا أن أحداً لم يسأل عن صحة الخبر، وإنما

(١) الصائح هذا هو المحرك الذي يحدثنا عنه ، وانظر كيف استجاب الجمهور واربط ما حدث بكل ما ذكرناه .

(٢) اختبط الناس أي فرحوا !

(٣) سير أعلام النبلاء ١٤٥/٣

بادر الدهماء إلي الفوضى بلا هوادة، ولكن الحسن ﷺ حسم أمر الخلافات التي كانت من المفترض أن تؤجج بينه وبين معاوية بن أبي سفيان ﷺ وقدم الصُلح وتنازل عن الإمارة لمعاوية رغم قوته وشرعيته حقناً للدماء ولئماً للصدع ولماً للشمل، وتحقق في زمنه نبوءة جده النبي ﷺ لما قال (إن ابني هذا سيد يُصلح به الله بين فئتين عظيمتين من المسلمين) ولم يسلم الحسن من الخيانة فبعد أن قرر الصلح وحسم الخلافات كانت هُناك محاولة لاغتياله فور الكشف عن نيته في الصلح مع معاوية رضي الله عنه والتنازل عن الحكم، ثم بعد نجاح الصُلح كانت هُناك محاولة أخري لاغتياله لكن الله سلمه من الأولي ومن الثانية. [1]

ثورة عبد الرحمن بن الأشعث:

عبد الرحمن بن الأشعث كان قائداً لجيشٍ من المسلمين قد جُهز من العراق في زمن عبد الملك بن مروان

(1) الدولة الاموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار ١٨٧/١

لغزو سجستان، وكان والي العراق وقتها الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان بن الأشعث عنيداً متمرداً حتي قال عنه عمُه إسماعيل بن الأشعث (والله ما جاز جسر الفرات قط فرأي لوالٍ من الولاة عليه طاعة ولا سلطان) يعني لا يحترم الولاة ولا يري لهم طاعة عليه وكان ذلك عام ٨٠هـ .

حقق بن الأشعث في غزوته نصراً كبيراً، فكتب إلي الحجاج بن يوسف والي العراق يخبره عن ما وصل إليه وأنه يري وقف الزحف والتوغل في أرض العدو، لكن الحجاج أمره بالاستمرار فأبي فهدده الحجاج بعزلة إن لم يطيع أمره فغضب بن الأشعث غضباً شديداً. [١]

حرك كلام الحجاج ما في نفس بن الأشعث، وازكي نار ثورته علي الدولة الأموية بكاملها وليس علي الحجاج وحده، فخطب في الناس وهيجهم علي الحجاج وسفه قوله، فثار الناس وقالوا لا نسمع ولا نطيع للحجاج وقام أحدهم وهتف: اخلعوا

(١) ياريخ س خلدون ١٠٠٨/٢

عدو الله الحجاج وبايعوا الامير عبد الرحمن فتنادى الناس من كل جانب فعلنا فعلنا. [1] وسرت العدوي بينهم والتفوا حول بن الأشعث ضد الحجاج وبعد الملك بن مروان.

هددت هذه الثورة الدولة الأموية برمتها بما لم يُهددها من قبل أي ظرف تاريخي، واضطرت الخليفة إلي مساومة الثوار بما لم يُساوم به غيرهم قط، لكن الثورة لم تهدأ، فجيش بن الأشعث جيشه متجها إلي العراق لخلع الحجاج بن يوسف الثقفي والانقلاب علي الحُكم.

وفي طريقه إلي العراق خدعته ثورته، وغرته قوته، ففكر في خلع الخليفة عبد الملك بن مروان وجعلها في نفسه ولم يُبدها لأحد.

وصل بن الأشعث العراق ودارت الحرب وخرج الحجاج فاراً بنفسه ومن معه من أهل الشام، ولحقه بن الأشعث ولكن الحجاج استطاع الغلبة في مرحلة علي إثرها تراجع بن

(١) المصدر السابق

الأشعث وسار نحو الكوفة تاركًا البصرة، وانضم إليه خلق كثير بلغ عددهم مئة الف ومعهم مثلهم من مواليهم وهم الغوغاء والسوقة والرعاع.

أحس عبد الملك بن مروان بخطورة الموقف، فعرض علي أهل العراق تنحية الحجاج عن الحُكم إرضاءً لابن الأشعث، لكن أهل العراق رفضوا مع أن ابن الأشعث وافق علي ذلك العرض علي أن يُولَي ولاية الشام أو غيرها، وظن أهلُ العراق أنها فرصتهم لعزل عبد الملك بن مروان والخلاص من الحُكم الأموي، فأنكروا علي بن الأشعث قبوله عرض عبد الملك بن مروان وشجعوه علي الاستمرار في طريق عزل الحجاج وخلع الخليفة، فتراجع عبد الملك بن مروان عن خلع الحجاج وبدأت الحرب.

استعد الجيشان للقتال، وبدأ القتال في مواقع متفرقة وزادت المواقع عن ثمانين موقعه في دير الجماجم وغيرها، وكانت الهزيمة لعبد الله بن الأشعث آخر الأمر، وفر ابن

الأشعث إلي سجيسان واحتمي بأميرها، لكن الحجاج هدده لئن لم يُسَلم عبد الله بن الأشعث له ليغزون بلادة في الف الف مقاتل، فخاف ورضخ للتهديد وعزم علي تسليم بن الأشعث للحجاج، فلما أحس بن الأشعث بالغدر ألقي بنفسه من أعلي القصر فمات! فأُرسلت رأسه للحجاج سنة ٨٥هـ.

نتيجة هذه الثورة:

ككل الثورات أهدافها سياسية وأطماع في الحُكم والرياسة، والنتيجة عشرات الآلاف من القتلي ومات بن الأشعث منتحراً! ومات الحجاج بعدها وترك ملكه، فماذا استفاد المسلمون؟ وماذا كسب ابن الأشعث والحَجاج؟ [1]

وكذلك كُل الثورات التي حصلت في التاريخ لم تؤتي ثماراً طيبة وإن حسُنت نوايا البعض، فالثورة تأتي بالدم، وذلك لأن الحُكام لا يضيعون مكاسبهم، والدهماء لا يدركون عواقبهم، فإذا حصل الصدام غالباً ما تكون الغلبة للحاكم حتي لو ظهر غير

---

[1] الدوله الاموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإبهيار ٨١٠/١

ذلك في البداية فالمعارك لا تُحسم في بداياتها، ويكون الدهماء في آخر الأمر إما في السجون أو معلقين علي المشانق!

الثورة علي الأمين:

ثار العباس بن عيسى بن موسى علي الأمين فأخرجه من قصر الحكم وحبسه في مكان آخر ومعه أمه زبيدة فلما جاء اليوم التالي وقد تغلب العباس وأصبح الحاكم الفعلي للبلاد طلب الناس أرزاقهم من منه لكنه لم يوفي ما قد وعدهم، فقد وعدهم أنه جاء للعيش والحرية والعدالة الاجتماعية، لوكن شيئًا من ذلك لم يكُن، وماج بعضهم في بعض وقام احد الناس فأنكر استبداد الحسين بخلع الامين وليس بذي منزلة ولا حسب ولا نسب ولا غنائم، وقال آخر، قد ذهب أقوام بخلع الامين فاذهبوا أنتم بفكه يا معشر الناس فرجع الناس على أنفسهم باللائمة وقالوا ما قَتَل قوم خليفتهم الا سلط الله عليهم السيف، ثم نهضوا إلى الحسين وتبعهم أهل الارض فقاتلوه

قتالا شديدا وأسروه ودخل أسد الحربى إلى الامين وكسر قيوده وأجلسه على أريكته وعاد إلي الحُكم.[1]

الثورة علي المأمون:

من هذه الثورات الثورة علي المأمون حين هب بنوا العباس بالثورة عليه وخلعه، فبويع بعده إبراهيم بن مهدي، فوقع الهرج ببغداد وانطلقت أيدي الغوغاء على أهل العافية والصون وقطعوا السبيل وامتلات أيديهم من أموال الناس التي انتهبوها.

هذه الفترة كان عدم الاستقرار هو السائد، ومظاهر الفوضى انتشرت في البلاد وباتت الأرض خصبة لكل جماعة منحرفة تُريد أن تظهر، فظهر في الناس شخص يُدعي خالد الدريوس، فدعي الناس إلي الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر واتبعه خلقٌ كثير، ثم ظهر بعده شخص آخر يدعي سهل بن سلامة الأنصاري، فعلق المُصحف في رقبته ودعي الناس هو

(١) ياريخ س خلدون ٢٣٦/٣

أيضـاً إلي الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر واتبعه خلقٌ كثيـر، فأصبح لدينا طـائفتين كـلٌ منهمـا تَـدْعِي أنهـا تـدعوا إلـي الكتـاب والسُـنة وأنهـا علـي الحـق المُبـين، وكـلا الطـائفتين لـيس فـيهم عالمــاً، فقـال خالـد الـدريوس لسـهل بـن سـلامة الأنصـاري في حديث دار بينهما: أنا لا أنـتقص السـلطان، فقـال لـه سـهل لكنـي أقاتل كل من خالف الكتاب والسنة كائنا من كان! [١] فجعل نفسه قاضيـاً علي الخلق حاكمـاً بأمر الله وأعطي لنفسه الحـق حتـي في القتال وازهاق الأرواح دون علم أو بينة!

جهز إبراهيم بن مهدي جيشـاً وحارب سهل الأنصـاري وغلبه وفر سهل هاربـاً بنفسه وانقطع خبره، قال بن خلـدون (ثـم اقتدى بهذا الرجل كثير من الموسوسين يأخذون أنفسـهم بإقامـة الحق ولا يعرفون ما يحتاجون إليه في إقامتـه ولا يشـعرون بمغبـة أمرهم ومآل أحوالهم) [٢]

(١) داعشي قديم!

(٢) تاريخ ابن خلدون ١٥٩/١ (مع تعديل بسيط في المفردات ليسير المعنى)

هـذه مجموعـة مـن الأمثلـة لـم استقصـي فيهـا كُـل مـا حدث، وإنما اختصرتها لك اختصاراً فليس في الإطالة فائدة هُنا، ولكن لا يُستغني أبداً عن الرجوع إلي المصادر الأصلية لمعرفة تفاصيل أكثر دقة عن كُل ما ذكرت لك، فقد ألمحت لك إلماحًا ويبقي عليك دور عظيم في طلب المزيد من التفاصيل.

تساؤل هام: هل تنجح الثورة في التغيير؟

تسـاؤل يطـرح نفسـه، هـل ظـواهر الحيـاة الاجتماعيـة الإنسـانية شـيءٌ يَنْـزِلُ مـن السـماء أو يـنجُم مـن الأرض مبتـوت الصـلة بمـا قبلـه مـن تجـارب، مبتـوت الصـلة بمـا حولـه؟ أم أن الظواهر الاجتماعيـة حصيلة تفـاعلات طويلـة وعديـدة ومعقـدة تـربط بينهـا عوامـل شـديدة التعقيـد؟ لا شـك أن الظـاهرة الاجتماعية هي حصيلة عوامل تمتـد في الزمـان والمكـان طـولاً وعرضـًا.

من المسؤول عن بروز الظاهرات الاجتماعية الشاذة سواء في الحياة الاجتماعية أو في الحياة السياسية أو في الحياة الاقتصادية؟

المسؤول ليس الحاكم وحده فالحاكم هو المحصلة النهائية لهذا العدد الذي لا يتناهى من الأسباب، الحاكم طرف من جملة أطراف ولعله أن يكون الطرف الذي يستدعي الشفقة والرثاء أما الطرف الذي يستوجب المحاسبة ويستوجب التدقيق ويستوجب طول الوقوف في الأخذ والرد معها فجمهور الشعب الذي سمح باللامبالاة، بالتخفف من المسؤوليات، بالجبن بالانهزامية والهروب [1] ولا شك أن للحاكم دوراً في هذه السلبيات، لكن الأسباب دائماً إما تكون ظاهرة تطفو علي سطح الواقع، وإما تكون قد وضعت رأسها تحت الماء فلا يراها أحد، أو لا يريد أن يراها أحد، نحن نحتاج إلي أقصي درجة من

(١) ارضية العنف فرنسا وروسيا – محمود مشوح

مواجهة الواقع لنعرف لماذا وصلنا إلي ما وصلنا إليه وهل بالثورات سيكون التغيير أم بالتغيير ستكون الثورات؟!

وإنما أقصد بكلامي السابق معني استلهمته من كتاب الله، فأقول هل بالثورات يكون التغيير، أي بإحداث الثورات والخروج إلي الميادين سيكون التغيير وتتحسن الأوضاع، بل أقول صراحة هل بتغيير الحاكم سيكون التغيير؟ أم بتغيير ما بنا من عيوب، يجب أن تبدأ الثورات علي النفس قبل الثورة علي حاكم أو نظام، قال تعالي (إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) [1] فالتغيير حسب هذا التوجيه الرباني يبدأ من النفس وليس من الحاكم، يبدأ من القاعدة وليس من الرأس، وقال الله تعالي (ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) [2] فالأصل أن الله أسدي إلينا النعم، لكنه رسم لنا الطريق حتي لا تزول هذه النعم أو تتبدل، فإذا ضللنا

(١) الرعد ١١

(٢) الانفال ٥٣

تغيرت النعم وتبدلت وهذا من صنع أنفسنا كما قال الله، قال بن القيم رحمه الله (آفتك من نفسك وبلاؤك من نفسك وأنت في الحقيقة الذي بالغت في عداوتك وبلغت من معاداة نفسك ما لا يبلغ العدو منك).

والذي أعتقد أن الأنظمة والحُكام هي جزء منا، هُم مثلنا تماماً، إن كان النظامُ فوضوياً فهو مرآه لفوضويتنا، وإن كان فاشلاً فهو يعكس فشلنا ، حتي وإن كان وحشياً فهو أيضاً يعكس وحشيتنا، لا أقول ذلك لجلد ذواتنا، ولكن تأمل فيمن حولك من البشر، وابدأ بنفسك، ستجد أن فيها عشوائية وفوضي عارمه في كثير من الأمور، وكذلك وحشية في أمور أخري.

وما أرومه من كُل هذا الحديث حول الثورة وما ينتج عنها من فوضي أن الإنسان إذا فقد الأمن وانتشر العنف فقد أمست حياته بلا قيمة، وخُذ مثالاً لانعدام الأمن لتعلم قيمته، عام ١٩٤٥ وصلت ألمانيا إلى القاع حتى إن وزيراً من كبار

الوزراء الحلفاء قال بكل مرارة وألم إنه وخلال قرون طويلة لم يسبق أن عانى شعب أوروبي هذه الحالة من الدمار والضياع والبؤس والشقاء شاعت على ألسنة الألمان وقتها مقطوعة شعرية يغنونها في الطرقات بعد أن فقدت ألمانيا عشرين بالمئة من سكانها وبعد أن دُمرت فيها ثلاث مئة ألف مسكن، وبعد أن فقدت تسعين بالمئة من الرأسمال، كان الرجل منهم يمشي ويغني ويدندن بمقطوعة يقول (سقط الرجلُ في قبرَ جندي وسقطتْ المرأةُ في سرير زنجي) الرجل سقط في سبيل الوطن والمرأة سقطت في سبيل سيجارة، عِرض المرأة كان يباع ويشترى بسيجارة أمريكية، هذا الشقاء الرهيب من المسئول عنه، هل المسئول عنه الأبالسة الذين يسيطرون على العالم اليوم؟ أم المسئول عنه جماهير الشعب؟

الأبالسة باستمرار يحضرون طائراتهم التي تنقلهم وما سرقوا من أموال الأمة خارج مناطق الخطر -عند اللزوم- والشقاء والبلاء ينزل على الأمم، اليس هُناك طريقة أخرى لحل

المشاكل نتفادى بها كل هذه المآسي، نقول نعم وفرق المسألة كله أن الإسلام يرى أن حل المشاكل بإماتة نوازع العنف في ذات الإنسان الفرد، بينما لا يصحو الناس على العنف إلا بعد أن يستشري وبعد أن يصبح شيئًا لا سبيل إلى علاجه بحال من الأحوال. (١)

القول الفصل أن الثورات لن تنجح في التغيير، ومع أننا أثبتنا أن الثورات لم تنجح تاريخيًا في إقامة دولة عادلة ونظام سليم، لكن حتي وإن ثبت تاريخيًا تجربة أو أكثر كُللت بالنجاح فهذا مُمتنع في دولنا الإسلامية، إذ أن الإسلام ليس من وسائله الثورات علي الحُكام، وكم سَخِرَ الثوريون من هذا الكلام وقالوا أنه من باب معاونة الظالمين وتأييد الطُغاة، لكن والله التاريخ لا يكذب ونتائج الثورات تحكي آلامها، فمن أراد أن يعتبر فبها ونعمت، ومن أراد أن يُكمل ثورته فلا يلومن إلا نفسه.

---

(١) أرضية العنف فرنسا وروسيا - محمود مشوح

وخلاصة ما ذكرت في أسطر قليلة أن الآلة الإعلامية الضخمة تحكمت بشكل رهيب في عقول الجماهير وللأسف استطاعت أن ترسم خطتها علي خلايا عقول الناس حتي أن الكثير من الناس لم يعودوا يستطيعون المُقاومة، وبات الحق هو ما شهد به الإعلام، والواقع هو ما أنتجه السُبكي في الأفلام، وشُردت العقول بين برامج الإعلاميين يرمون بها أقصي اليمين، ثم أقصي اليسار، ولا يكاد الإنسان يفيق من صدمة حتي تتبعها صدمات، وأخبار تتبعها أخبار، وفيلم يلحقه مسلسل، وكُل شيء من أجل أخذ المال من جيبك وأنت تدفع لهم مطيعاً دون إرادة، فأنت تدفع ثمن الإعلانات بالمشاهدة، وتدفع ثمن زيادة الأسعار وجشع الشركات بتكثير ومضاعفة المشاهدات لهذه القنوات، الكُل يتجمل لك، والكُل يُتاجر بك.

❊❊❊❊❊

خاتمة

هـذا الكتـاب هـو مجـرد مـدخل لهـذين الموضـوعين الخطيـرين، فموضـوع الإعـلام وتناولـه باستفاضـة يحتـاج إلـي مجمع علمي ومتخصصين ولا يكفيه كتاب ولا عشرة كتب ، فموضـوع البحـث خطيـر وتنـاول مـا يُطـرح في الإعـلام مـن موضوعات وأفكار يحتاج إلي آلاف الأوراق وجهد عشرات الباحثين المنصفين، لكني أحببت أن أُساهم بجهد المُقل، وخير الكـلام مـا قـل ودل، وأسـأل الله أن يكـون مـا كتبـت في ميـزان حسناتي وأن يدل علي الخير كل من قرأه واطلع عليه، وقلب أخيكم مفتوح لكل نصيحة أو انتقاد أو توجيه حول موضوع الكتاب.

أخيـراً: مـن أبـواب الخيـر أن لا تبخـل علـي إخوانـك وأصدقاءك باطلاعهم علي موضوع الكتاب، فإن انتهيت من قراءته وأتممت الفائدة منه فلا تبخل أن تعطيه لغيرك، ويكون

لك بإذن الله أجر عظيم عند الله وهذا باب من أبواب نشر العلم والمعرفة.

اصنع لنفسك فهرساً خاصاً في نهاية الكتاب ودون فيه ما لفت انتباهك من معلومات، فهذا يُسهل عليك استرجاع المعلومة إن احتجت إليها، وقد صنعت لك صفحتان في آخر الكتاب لتسجيل الفوائد والملاحظات.

الفهرس